اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البصرة/كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية

التقابل في العبارات القصيرة في نهج البلاغة
دراسة تحليلية

اطروحة تقدمت بها الطالبة

أنوار عزيز جليل الأسديّ

إلى

مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية ــ جامعة البصرة

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه/ فلسفة

في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ المساعد

الدكتورة سليمة جبار غانم

رجب ١٤٣٦هـ **آيار ٢٠١٥م**

عن أمير البلاغة ونهجها، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال:

((كل وعاء يضيق بما جُعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع))

نهج البلاغة: ٥٢١، حكمة: ١٩٥

الإهداء

الى من أرجو الثبات على ولايته والشفاعة في آخرته ... أميري علي

الى من عاصرتُه في حياته ونال ثوابها بعد وفاته ... أبي

الى من دعائها بحضرته وحاجتها أن أكون في خدمته ... أمي

الى من مسيرتي من مسيرته وفرحتي من فرحته ... زوجي

الى من أخذت من وقتهما فأعطياني كل أفراحهما ... ولديَّ حسن وزينب

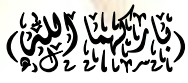

الى من دائماً في سؤالهم يتواصلون وكل خير يتمنون ... إخوتي وأخواتي

أنوار

شكر وعرفان

إلهي قصرت الألسن عن بلوغ ثنائك كما يليق بجلالك، وعجزت النفوس عن إقامة شكرك كما يليق بجمالك، وتصاغرت الكلمات عن ذكر محامدك كما يليق بإنعامك، فلك الحمد والشكر أولاً وآخراً.

ثم الشكر والعرفان الى من يسر لي كل عسير، وأعانني على كل خير، وقدم ليّ الكثير زوجي وشريك حياتي أشكره الشكر الوفير.

وأتقدم بالشكر والاحترام الى أستاذتي الفاضلة الدكتورة سليمة جبار غانم، لإشرافها على الأطروحة ومساندتها المستمرة لي مادياً ومعنوياً.

والشكر موصول الى عمادة كلية التربية ورئاسة قسم اللغة العربية والأساتذة الكرام، وأخص بالذكر منهم الأستاذ الدكتور سامي علي جبار، والأستاذ الدكتور فاخر هاشم سعد الياسريّ، والأستاذ الدكتور فالح حمد أحمد، والأستاذ الدكتور صيوان خضير خلف، والأستاذ الدكتور حامد ناصر الظالميّ على ما بذلوه من معلومة وما قدموه من مشورة. وأخص بالشكر ثانياً الأستاذ الدكتور فاخر هاشم سعد الياسريّ، الذي تكرم بالأصغاء وتفضل بالاطلاع، فكان ما وصلت إليه بتكرمه وفضله.

وأقدم خالص شكري وتقديري الى كل الأساتذة والزملاء الذين أعانوني في إكمال مسيرة الدراسة وتسهيلها، وأخص بالذكر منهم الدكتور مرتضى عباس في جامعة البصرة، والدكتور أحمد حسين عبد السادة في جامعة المثنى. وفقهم الله لخدمة الغير ويسر عليهم العسير.

وأشكر صديقتي وأختي الكريمة التدريسية في كلية الصيدلة منال خليل إبراهيم على ما زودتني به من مصادر أوضحت معالم دراستي، فجزاها الله عني كل خير.

والشكر والعرفان لابنة خالتي سعاد (رحمها الله) لإسهامها في توفير المصادر رغم بعد المسافات وكثرة المسؤوليات، لتشارك بذلك فيمن ذكرتهم بالإهداءات.

ويسرني أن أشكر منتسبي مكتبات كلية التربية، وكلية الآداب، والمكتبات المركزية في جامعة البصرة وجامعة كربلاء وجامعة الكوفة وجامعة بغداد على حسن تعاونهم وطيب سلوكهم.

شاكرة كل من أعانني وشجعني سائلة المولى جلّ وعلا أن يجزي الجميع عني خير الجزاء إنه مجيب الدعاء.

الباحثة

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد الاطروحة الموسومة بـــ (التقابل في العبارات القصيرة في نهج البلاغة دراسة تحليلية) للطالبة (أنوار عزيز جليل الأسدي) قد جرى بإشرافي في كلية التربية للعلوم الإنسانية ــ جامعة البصرة، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه/ فلسفة في اللغة العربية وآدابها.

الإمضاء

أ.م.د. سليمة جبار غانم

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الاطروحة للمناقشة

الإمضاء

م.د. علي عبد رمضان

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ / /٢٠١٥

إقرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد أننا قد اطلعنا على اطروحة الطالبة **(أنوار عزيز جليل الأسديّ)** الموسومة بـــ **(التقابل في العبارات القصيرة في نهج البلاغة دراسة تحليلية)** وناقشنا الطالبة في محتوياتها وفي ما له علاقة بها، ونعتقد أنها جديرة بالقبول لنيل شهادة دكتوراه/ فلسفة في اللغة العربية وآدابها بتقدير ( ).

رئيساً

الإمضاء

أ.د. سامي علي جبار

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة

التاريخ / /٢٠١٥م

عضواً

الإمضاء

أ.د. عبد الواحد زيارة اسكندر

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة

التاريخ / /٢٠١٥م

عضواً

الإمضاء

أ.د. حامد ناصر عبود

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة

التاريخ / /٢٠١٥م

عضواً

الإمضاء

أ.م.د. محمد جعفر محيسن

كلية الآداب/ جامعة القادسية

التاريخ / /٢٠١٥م

عضواً

الإمضاء

أ.م.د. مؤيد عبيد صوينت

كلية الآداب/ جامعة المستنصرية

التاريخ / /٢٠١٥م

عضواً ومشرفاً

الإمضاء

أ.م.د. سليمة جبار غانم

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة

التاريخ / /٢٠١٥م

صادق على هذه الاطروحة مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية بتاريخ: / /٢٠١٥

الإمضاء

أ.م.د. حسين عودة هاشم

عميد الكلية

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	**أ – ج**
التمهيد ــ بين التقابل والطباق وتوسيع المصطلح	**١ – ٣٦**
المبحث الأول: التقابل لغة واصطلاحاً	١ – ٤
المبحث الثاني: الطباق لغة واصطلاحاً	٥ – ١٢
المبحث الثالث: ثنائية التقابل والطباق	١٣ – ٢٥
المبحث الرابع: التقابل في علم الدلالة الحديث وتوسيع المصطلح	٢٦ – ٣٦
الفصل الأول: تقابل المتضادين :	**٣٧ – ٧٤**
المبحث الأول: تقابل الأضداد الحقيقية	٣٩ – ٥٧
المبحث الثاني: تقابل الأضداد المجازية	٥٨ – ٧٠
المبحث الثالث: إيهام التضاد	٧١ – ٧٤
الفصل الثاني: تقابل المتماثلين:	**٧٥ – ١١٣**
المبحث الأول: التقابل التماثلي مفرد بمفرد	٧٩ – ٨٧
المبحث الثاني: التقابل التماثلي جملة بجملة	٨٨ – ٩٥
المبحث الثالث: التقابل التماثلي المعنوي	٩٦ – ١١٣
الفصل الثالث: تقابل المتناقضين	**١١٤ – ١٤٤**
المبحث الأول: تقابل السلب والإيجاب	١١٨ – ١٢٦

المبحث الثاني: التقابل التراجعي	١٢٧ – ١٣٥
المبحث الثالث: تقابل المتضايفين	١٣٦ – ١٤٤
الفصل الرابع: تقابل المتخالفين	**١٤٥ – ١٧٧**
المبحث الأول: التقابل التخالفي الظاهر	١٤٩ – ١٥٧
المبحث الثاني: : التقابل التخالفي الخفي	١٥٨ – ١٦٦
المبحث الثالث: التقابل التخالفي التناقضي والتضايفي	١٦٧ – ١٧٧
نتائج الدراسة	**١٧٨–١٨٤**
قائمة المصادر والمراجع	**١٨٥–٢٠٦**
ملخص البحث باللغة الانجليزية	**A - B**

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نتمنى منه إتمام العمل بالقبول، على ما يرضاه جلّ جلاله ويرضاه الرسول، محكم بقبول الوصي زوج البتول، والحمد لله وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى أبي القاسم محمد وعلى آله الطاهرين.

أما بعد ــ فعند دراستنا في السنة التحضيرية وبعد اطلاعنا على المناهج اللغوية التي تدرس النصوص الأدبية، عرفنا أنها في حركة مستمرة لا تعرف الهدوء، وفي دوران دائم لا يعرف السكون، فهي الى الآن ــ أي المناهج اللغوية ــ تتجدد وتتحرر من القديم ولكن بلا انفكاك عنه، لأنها دائماً بحاجة إليه مهما امتد بها الزمن. فكان أن وصلتَ الى دراسة النص كلاً متكاملاً بلا تجزئة وبلا تقطيع أو تقسيم، أي لا تدرس المستوى الصوتي في مبحث مستقل عن المستوى النحوي، ولا تدرس المستوى الصرفي في مبحث منفصل عن المستوى الصوتي. وإنما تدرس المستويات جميعاً في موضع واحد وعلى نص واحد، لذا كانت الدراسة تحليلية في ضوء نحو النص أو لسانيات النص أو علم اللغة النصي، الذي الذي يهتم بوصف النص وتحليله، من جانبين هما: الترابط والتماسك، أو ما يسمى بالسبك والحبك. والسبك: هو رصد العلاقات الدلالية الاستمرارية الحضورية المتحققة على مستوى سطح أو ظاهر النص، وهو على نوعين: السبك النحوي، والسبك المعجمي. أما الحبك فهو رصد العلاقات الدلالية الاستمرارية الاستبدالية المتحققة على مستوى داخل النص أو العلاقة الغيابية، أوعلاقات المعنى المنطقية، وما يؤديه هذان المعياران من شد لأجزاء النص بعلاقاته اللغوية والمنطقية.

وقد طبقت الدراسة هذا المنهج على العبارات القصيرة في نهج البلاغة، إذ يأتي بعد القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) في سموهما وعلو منزلتهما، نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام)، وقد كانت أمنيتي أن تكون دراستي للدكتوراه في هذا السفر العظيم، فكان أن حقق الله أمنيتي على يد الأستاذ الدكتور فاخر هاشم الياسريّ، إذ اقترح هذا العنوان على اللجنة العلمية فحاز على قبولهم. وبعد إشراف الدكتورة سليمة جبار غانم كانت اطروحتي (التقابل الدلالي في حكم الإمام علي (عليه السلام) ومواعظه في نهج البلاغة)، إلا أنه بعد المناقشة العلمية ارتأت اللجنة تغيير العنوان إلى: (التقابل في العبارات القصيرة في نهج البلاغة، دراسة تحليلية).

وكأي عمل لابد أن تواجهه بعض الصعوبات، وكانت الصعوبة الوحيدة التي واجهتها هي تعدد الدراسات المشابهة وكثرتها التي تناولت هذا الموضوع وإن اختلفت في العرض والتخطيط، فهناك ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية (رسالة ماجستير) للباحث عبد الكريم محمد حافظ العبيدي ــ جامعة المستنصرية ــ ١٩٨٩، والطباق في القرآن الكريم (رسالة ماجستير) للباحثة نِعَم هاشم الجماس ــ جامعة الموصل ــ ٢٠٠٢، والتقابل في الحديث النبوي الشريف (اطروحة دكتوراه) للباحثة أسماء سعود ــ جامعة الموصل ــ ٢٠٠٥، والتقابل الدلالي في الصحيفة السجادية (رسالة ماجستير) للباحثة حوراء غازي عناد ــ جامعة الكوفة ــ ٢٠١٠، وأسلوب التقابل في الربع الأخير من القرآن الكريم (رسالة ماجستير) للباحث عماري عز الدين ــ الجمهورية الجزائرية ــ ٢٠١٠، كما أن هناك من الرسائل والأطاريح الجامعية التي طبقت التقابل على نهج البلاغة، ومنها: التقابل الدلالي في نهج البلاغة (رسالة ماجستير) للباحثة تغريد عبد فلحي ــ جامعة الكوفة ــ ٢٠٠٧، وأساليب البديع في نهج البلاغة (اطروحة دكتوراه) للباحث خالد كاظم الحميداوي ــ جامعة الكوفة ــ ٢٠١١. فضلاً عن الكتب والمؤلفات في هذا الموضوع، ومنها: التقابل والتماثل في القرآن الكريم للدكتور فايز عارف القرعان ــ ٢٠٠٦، وتقابلات النص وبلاغة الخطاب للدكتور محمد بازي ــ ٢٠١٠. إلا أننا حاولنا أن نخرج من ذلك كله بالخطة الآتية:

التمهيد: وكان الأساس في وضع ملامح الاطروحة ولاسيّما أنه المادة النظرية لها، وجاء بأربعة مباحث: تناولت في المبحثين الأول والثاني التقابل والطباق لغة واصطلاحاً، ثم ثنائية التقابل والطباق في المبحث الثالث، وفيه بيّنت فيما إذا كانت هناك ثنائية بين المصطلحين أم أنهما مفهوم واحد. بعده جاء المبحث الرابع ودرست فيه التقابل في علم الدلالة الحديث وتوسيع المصطلح.

أما الفصل الأول: ففيه دخلت في أول التطبيقات، وهي: تقابل المتضادين، ويكون التقابل فيه ــ بعد أن بينت المقصود بتقابل الضدين لغة واصطلاحاً ــ على ثلاثة أقسام؛ الأول: تتقابل فيه الأضداد الحقيقية. والثاني: تتقابل فيه الأضداد المجازية. والثالث: يتقابل فيه الضد الحقيقي مع ضده المجازي أو ما يسمى بإيهام التضاد.

والفصل الثاني: تقابل المتماثلين، وجاء بثلاثة مباحث؛ الأول: التقابل التماثلي مفرد بمفرد أو ما تعارف عليه البلاغيون باسم (المشاكلة). والمبحث الثاني: التقابل التماثلي جملة بجملة أو ما عرف في فنون البديع المعنوية باسم (العكس والتبديل). أما المبحث الثالث: فعرف باسم التقابل التماثلي المعنوي، وفيه دخلت فنون البديع الآتية: مراعاة النظير، وتشابه الأطراف، والتفويف. وإنما دُرست ضمن هذا التقابل، لأنها جميعاً تحمل معناه.

يأتي الفصل الثالث: بتقابل المتناقضين، والذي يعرض ثلاثة محاور؛ الأول: تقابل السلب والإيجاب، وهو عينه طباق السلب والإيجاب. والمحور الثاني: تناول الرجوع، لأنه في معناه الاصطلاحي يعني التناقض، ولهذا أسميته تقابل النقيضين. أما المحور الثالث: فبحث تقابل المتضايفين، وهو كمفهوم مختلف عن تقابل النقيضين، وإنما درسناه هنا لقلة التطبيقات على كليهما، ولأسباب أخرى ذكرناها في مكانها.

والفصل الأخير: كان عن تقابل المتخالفين، ويضم المباحث الآتية؛ المبحث الأول: التقابل الخلافي الظاهر أو (الطباق المعنوي). والمبحث الثاني: التقابل الخلافي الخفي أو (الطباق الخفي). أما المبحث الثالث: فنظراً لسعة التخالف دخل تقابل المتناقضين والمتضايفين ضمنه ليكون العنوان: التقابل الخلافي النقيضي والتضايفي. وهذه الفصول جميعها طُبقت على حكم الإمام علي (عليه السلام) ومواعظه، وهنا لابد أن أُشير الى أن الدراسة غالباً ما استبعدت الحكم والمواعظ الطويلة في تطبيقاتها على نهج البلاغة ــ إلا ما ندر ــ لخروجها عمّا تريد الدراسة أن تثبته، وهو قصر الكلام ونصيته.

أما الخاتمة أو نتائج البحث، ففيها تعرضت لأهم النقاط التي توصل إليها البحث أو الدرس. انتهاءً بقائمة المصادر والمراجع، والملخص باللغة الانجليزية. على أنني اعتمدت في توثيق حكم ومواعظ أمير المؤمنين (عليه السلام) على ما حققه السيد هاشم الميلاني ــ طبعة العتبة العلوية المقدسة ــ وذلك لما تميز به هذا التحقيق من دقة في نقل النصوص. أما بقية شروح نهج البلاغة فقد أدرجتها في الهامش باسم شارحها، وذلك بغية الاختصار.

ونختم عملنا هذا بقوله عظُمت آلاؤه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، (البقرة: ٢٨٦).

الباحثة

بين التقابل والطباق وتوسيع المصطلح

المبحث الأول: التقابل لغةً واصطلاحاً:

التقابل لغة: يدل الأصل الثلاثي لكلمة (ق.ب.ل) على معان كثيرة، منها: التلقاء، والمواجهة، والضم، والمعارضة. جاء عن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ) قوله: القِبَل: هو التلقاء[١] ومن هنا سميت المرأة بالقابلة ((يقال: قَبِلَت القابلة المرأة تَقبَلُها (قِبالة) بالكسر: إذا قَبِلت الولد، أي تلقته عند الولادة))[٢].

وكما تأتي بمعنى المواجهة ((تقول: لقيته قِبَلاً: أي مواجهة))[٣]، ومنه ((قوله تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾[٤] جاء في التفسير: أنه لا ينظر بعضهم في أقفاء بعض...هو قبالك وقبالتك: أي تجاهك))[٥]. وهذا نصه ما أورده ابن منظور (ت: ٧١١هـ) في لسانه[٦]. وجاء عن الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ) قوله: ((قابله: واجهه...وتقابلا: تواجها))[٧].

أما الضم فذلك ((إذا ضممت شيئاً إلى شيء، تقول: قابلته به))[٨] ومنه أخذ هذا المعنى أيضاً ابن منظور[٩].

---

[١] ينظر: العين : ١٦٦/٥، مادة (ق. ب. ل).
[٢] مختار الصحاح : ٢٥٥، المادة نفسها .
[٣] العين :١٦٦/٥ المادة نفسها.
[٤] الحجر :٤٧.
[٥] المحكم والمحيط الأعظم في اللغة :٢٦٣/٦، المادة نفسها.
[٦] لسان العرب :٢١/١١، المادة نفسها
[٧] القاموس المحيط :٩٦٤، المادة نفسها.
[٨] العين:١٦٨/٥، المادة نفسها.
[٩] ينظر لسان العرب :٢١/١١، مادة (ق. ب. ل).

والمعنى الرابع الذي دل عليه هذا الأصل هو: المعارضة تقول: ((قابل الشيء بالشيء مقابلة، وقِبالاً: عارضه. ومقابلة الكتاب بالكتاب وقِباله به: معارضته))[١] ومثله أيضاً جاء هذا المعنى في لسان العرب [٢].

أما المقابلة والتقابل فإنهما لا يخرجان عن المعنى اللغوي الثاني لمادة (ق.ب.ل)، وهو: المواجهة. جاء عن الجوهري (ت: ٣٩٣هـ) قوله: ((المقابلة: المواجهة والتقابل مثله))[٣]. والملاحظ أن المعنى الاصطلاحي للتقابل يدور حول هذه المعاني جميعاً، بل لا يكاد ينفك عنها.

فالتقابل اصطلاحاً: جاء عن الدكتور عبد العزيز عتيق أن قدامة بن جعفر (ت: ٣٢٧هـ) من أوائل من تكلموا عنه في كتابه (نقد الشعر)[٤]، وكان يطلق عليه (صحة المقابلة) ويعرفها بقوله: ((وهو أن يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض و المخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصحة، أو يشرط شروطاً ويعدد أحوالاً في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده، وفي ما يخالف بضد ذلك))[٥]. وقال القزويني (ت: ٧٣٩هـ) في إيضاحه: ((هو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل))[٦]، أي المراد بالتوافق: المناسبة بين الألفاظ المتقابلة، ذلك أن ((الأصل في هذه [المتقابلات] المناسبة، فإن لها تأثيراً قوياً في الحسن))[٧]، أي من حيث صحة المناسبة بين المتقابلات، فلا يقول مثلاً: فلانٌ شديدُ البأس* نقي الثغر**، أو جواد

---

[١] المحكم والمحيط الأعظم في اللغة :٢٦٣/٦، المادة نفسها.

[٢] ينظر لسان العرب :٢١/١١، المادة نفسها.

[٣] الصحاح في اللغة: ٢٥٥، ولسان العرب: ٢١/١١، المادة نفسها.

[٤] ينظر: علم البديع: ٥٨.

[٥] نقد الشعر:١٤١.

[٦] الإيضاح: ٣٤١/٢.

[٧] سر الفصاحة: ٢٦٧.

* البَأْس: ((الشدة في الحرب)). معجم مقاييس اللغة: ١٤٨، مادة (ب. أ. س).

** الثَّغْرُ: ما تقدم من الاسنان. ينظر: القاموس المحيط: ٣٣٦، مادة (ث. غ. ر).

الكف أبيض الثوب، أو ما صاحبت خيراً ولا فاسقاً، لأنه ليس ثمة موافقة بين شدة البأس ونقاء الثغر، ولا بين جواد الكف مع بياض الثوب، وكذلك ليس ثمة مناسبة بين مصاحبة الخيّر والفاسق، كما أنّ هذه المعاني جميعها ليست من باب المخالفة. ووجه الكلام أن يقول: فلانٌ شديدُ البأس عظيمُ النكاية*، وجوادُ الكف كثيرُ العُرْف**، وما صاحبتُ خيّراً ولا شريراً[1].

أما تعريف التقابل عند المحدثين، فيعرفه الدكتور أحمد نصيف الجنابي بقوله: ((تعني هذه الظاهرة [أي ظاهرة التقابل] وجود لفظين تحمل إحداهما عكس المعنى الذي تحمله الأخرى، مثل: الخير والشر، والنور والظلمة، والحب والكراهية))[2]

وبنظرة فاحصة على المعنيين، أي معنى التقابل لغةً، ومعنى التقابل اصطلاحاً، يتبين مدى التوافق والائتلاف بينهما، بل إن المعاني اللغوية مجتمعة يدل عليها مفهوم التقابل بمعناه الاصطلاحي. فالتلقاء والمواجهة تكون في المعاني المتقابلة، إذ إن كل معنى يقابل معنى آخر ــ إما بالمضادة، أو بالمخالفة، أو بالمناقضة ... إلخ كما سنأتي ــ فقد تلقاهُ وواجهه.

أما الضم فيتحقق بضم المعنى إلى نقيضه، أو نظيره ومقابلته به. وكذلك المعارضة فهي ــ كما سيبين البحث ــ مدار موضوع التقابل وغايته، إذ في مقابلة المعاني على كيفية من كيفيات التقابل، أو على نوع من أنواع التقابل إنما هو لقصد المعارضة بين هذه المعاني. ومن ثَمّ لا نجد هنا فرقاً بين معنى التقابل لغة ومعناه اصطلاحاً.

ثم أن لفظ (التقابل) جاء على وزن (تفاعُل)، الذي إحدى دلالاته المشاركة بين اثنين[3]، وهذا بذاته يؤكد التوافق بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للتقابل، إذ إن التلقي، والمواجهة، والضم، والمعارضة لا تكون إلا بين اثنين.

---

* النِكَايَة: نَكَى في العدو، قتل فيهم وجرح. ينظر: المصدر نفسه: ١٢٣٠، مادة (ن. ك. ى).

** العُرْف: ((المعروف، وسمي بذلك لأن النفوس تسكن إليه)). معجم مقاييس اللغة: ٧٣٢، مادة (ع. ر. ف).

[1] ينظر: الصناعتين: ٣٣٩، وسر الفصاحة: ٢٦٧، ومنهاج البلغاء: ٤٩.

[2] ظاهرة التقابل في علم الدلالة ــ مجلة آداب المستنصرية ــ العدد: ١٠: ١٥.

[3] ينظر: الكتاب: ٦٩/٤، والتقابل الدلالي في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ١٢.

وقد تنازعت هذا المصطلح قديماً أسماء عدة هي: صحة المقابلات أو صحة المقابلة[١]، والمقابلة[٢]، والتشطير[٣]. والغالب عليها هو الثاني إلا أن الدراسة ارتأت أن تستعمل مصطلح التقابل دون المقابلة واختياره عنواناً لها، فضلاً عن ذلك شيوعه في الدراسات الجامعية[٤].

أما المحدثون[٥] فالأعم الأغلب عندهم اختيار مصطلح المقابلة جرياً على عادة القدماء[٦]، فضلاً عن مجاراتهم في تقسيماتهم له، أي للتقابل، كما أنهم تناولوه منفصلاً عن الطباق، فماذا نعني بالطباق؟ وما هي علاقته بالتقابل؟.

---

[١] ينظر: نقد الشعر: ١٤١، وسر الفصاحة: ٢٦٧، وتحرير التحبير: ١٧٩.

[٢] ينظر: الصناعتين: ٣٣٧، والعمدة: ١٥/٢، والبديع في نقد الشعر: ١٢٨، ومفتاح العلوم: ٦٦٠، والمثل السائر: ١٤٤/٣، ومنهاج البلغاء: ٤٦، والمصباح: ١٩٢، والإيضاح: ٣٤١/٢، والطراز: ١٩٧/٢، والبرهان في علوم القرآن في علوم القرآن: ٢٨٠/٣، وخزانة الأدب:٢٤/٢.

[٣] ينظر: البديع في نقد الشعر: ١٢٨، وتابعه من المحدثين فقط د. مصطفى الجويني في كتابه (أوساط البلاغة العربية): ١٩٠.

[٤] ينظر: ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية، رسالة ماجستير، والتقابل الدلالي في الحديث النبوي الشريف دراسة بلاغية، اطروحة دكتوراه، والتقابل الدلالي في نهج البلاغة، رسالة ماجستير، والتقابل الدلالي في الصحيفة السجادية، رسالة ماجستير، وأسلوب التقابل في الربع الأخير من القرآن الكريم، رسالة ماجستير.

[٥] ينظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات: ٩٥، والبديع في ضوء أساليب القرآن:٣٤-٣٧، والبلاغة الاصطلاحية: ٢٩٥-٢٩٨، والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٣٧٨/٢، والبديع في شعر شوقي:٢٤٨-٢٥٠، والبلاغة الميسرة:٨٣، وأوساط البلاغة العربية: ١٩٠،ودراسات منهجية في علم البديع: ٥٣-٥٩، وعلم البديع دراسة تاريخية وفنية: ١٥٢-١٥٤، وعلم البديع رؤية جديدة:١٨٤-١٩٢، وفن البديع:٤٩-٥٠، وفي البلاغة العربية: ٥٠٢، وعلم البديع: ٥٨-٦٢.

[٦] ينظر: الصناعتين:٣٣٧، وسر الفصاحة: ٢٦٧، والبديع في نقد الشعر: ١٢٨، وتحرير التحبير: ١٧٩، ومنهاج البلغاء: ٤٦، والمصباح: ١٩٣-١٩٥، والإيضاح: ٣٤١/٢-٣٤٢، والبرهان في علوم القرآن في علوم القرآن: ٢٨٠/٣، وخزانة الأدب: ٢٤/٢-٣٣، ٧٤.

المبحث الثاني: الطباق لغةً واصطلاحاً:

نأتي الآن إلى توضيح موضوع آخر ظهر الخلاف والجدل حوله قديماً وحديثاً ألا وهو موضوع الطباق، ومدى اتصاله أو انفصاله عن موضوع التقابل، ونبدأ **بالطباق لغة:** إذ يأتي على معان مختلفة منها:

تأتي مادة (ط.ب.ق) تارة بمعنى التقابل بالمثل، عن ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) قال: ((الطاء والباء والقاف أصل صحيح واحد، وهو يدل على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه))[١]. وقال في موضع آخر: ((وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذو واحد، ولذلك سمّينا نحن ما تضاعف من الكلام مرتين مطابقاً، وذلك مثل: جَرْجَر، صَلْصَل، صَعْصَع))[٢] .

وتأتي تارة أخرى بمعنى الموافقة والمساواة، ومرده التقابل بالمثل أيضاً. جاء في لسان العرب ((طبق كل شيء ما ساواه... وتطابق الشيئان: تساويا، والمطابقة: الموافقة، والتطابق: الاتفاق))[٣]. ومنه قول الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): ((وافق شن طبقه*... وأطبقتُ الرَّحى إذا وضعت الطبق الأعلى على الأسفل، وطابق الغطاء الإناء وانطبق عليه وتطبق))[٤] ، وكما هو واضح فالمطابقة بين الشيئين كغطاء الإناء ليسا متساويين، إلا أنه لما طابقه وماثله قالوا: متوافقين ومتساويين أو بمعنى آخر: متماثلين. ومثله أيضاً قولهم: ((جواب يطابق السؤال))[٥] ، أي: يوافقه ويساويه، أو يماثله.

---

[١] معجم مقاييس اللغة:٦٠٧، مادة (ط. ب. ق).

[٢] معجم مقاييس اللغة: ٦٠٧، المادة نفسها.

[٣] لسان العرب: ١٢٠/٨، المادة نفسها.

* طبقة: قبيلة من إياد كانت لا تطاق، فأوقعت بها قبيلة شن، وهو شن بن أفصى فانتصفت منها، وأصابت فيها، فضربتا مثلاً للمتفقين في الشدة وغيرها. وقيل: كان شن رجلاً من دهاة العرب، وطبقة: اسم امرأته. (ينظر: جمهرة الأمثال: ٣٣٦/٢-٣٣٧).

[٤] أساس البلاغة: ٥٩٤/١، (ط.ب.ق).

[٥] مفردات ألفاظ القرآن: ٥١٦، المادة نفسها.

وكما تأتي المادة نفسها بمعنى التقابل بالخلاف، كقول الزمخشري: ((الناس طبقات: منازل ودرجات بعضها أرفع من بعض))[١]، أي على منازل مختلفة، و((تقول: لو تطبقت السماء على الارض ما فعلت))[٢] ، والسماء والأرض مختلفتان. والطبق أيضاً ((الحال على اختلافها ... وفي التنزيل: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾[٣]، أي حالاً عن حال يوم القيامة))[٤] ، وجاء في كتاب العين قوله: ((والطبقة: الحال، ويقال: كان فلان على طبقات شتى في الدنيا، أي: حالات. وقوله تعالى: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ أي حالاً عن حال يوم القيامة))[٥]، وفسره الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٣هـ) بقوله: ((أي: يترقى منزلاً عن منزل، وذلك إشارة إلى أحوال الإنسان من ترقيه في أحوال شتى في الدنيا... وأحوال شتى في الآخرة))[٦]. إذن فالطباق فيه معنى التقابل بالخلاف.

أما في الاصطلاح: فكما تعددت مسميات التقابل البلاغية، فكذلك تعددت المسميات البلاغية لهذا الفن، فقد أُطلق عليه: مجاورة الأضداد[٧]، والطباق[٨]، والمطابقة[٩]، والتكافؤ[١٠]، والمطابق[١١]، والمتضاد من معاني الألفاظ[١٢]، والتطبيق[١٣]،

---

[١] أساس البلاغة: ٥٩٤/١-٥٩٥، مادة (ط. ب. ق)

[٢] العين: ١٠٩/٥، المادة نفسها.

[٣] الانشقاق: ١٩.

[٤] لسان العرب: ١٢٢/٨، المادة نفسها.

[٥] العين: ١٠٨/٥، المادة نفسها.

[٦] مفردات ألفاظ القرآن: ٥١٦، المادة نفسها.

[٧] قواعد الشعر: ٥٨.

[٨] تحرير التحبير: ١١١، الإيضاح: ٣٣٤/٢، والتلخيص: ٣٤٨، البرهان في علوم القرآن في علوم القرآن: ٢٧٩/٣، خزانة الأدب: ٧١/٢.

[٩] البديع: ٣٦، والوساطة: ٤٤، والصناعتين: ٣٠٧، وإعجاز القرآن: ٨٠، والعمدة: ٥/٢، ومفتاح العلوم: ٦٦٠، المثل السائر: ١٤٣/٣، ومنهاج البلغاء: ٤٢، والمصباح: ١٩١، والإيضاح: ٣٣٤/٢، والتلخيص: ٣٤٨، والاتقان في علوم القرآن في علوم القرآن: ١٧٧٦/٥.

[١٠] نقد الشعر: ١٤٧، وإعجاز القرآن: ٩٧.

[١١] الموازنة:٢٨٨.

[١٢] سر الفصاحة: ١٩٩.

[١٣] أسرار البلاغة: ٢٠، والبديع في نقد الشعر: ٣٦، والطراز: ١٩٧/٢.

والبديع[١]، والمقابلة [٢]، والتضاد[٣]. وهذه المسميات جميعها تدل على معنى واحد هو: الجمع بين الشيء وضده* فـ((قد تقرر أن المطابقة الجمع بين الضدين عند غالب الناس سواء كانت من اسمين أو من فعلين أو من غير ذلك))[٤]، أي إلى غير ذلك من التقسيمات الموضحة في كتب البلاغة[٥]. فضلاً عن الجمع بين الشيء و خلافه، أو بين الشيء ومثيله اللذين أثبتتهما الدراسة عند ذكر المعنى اللغوي للطباق.

وقد وقع الخلاف بين القدماء في كيفية الموافقة بين المعنى اللغوي للطباق والمعنى الاصطلاحي، إذ إن من شروط المصطلح الجيد مراعاة التماثل والتشارك بين مدلولي اللفظة لغةً واصطلاحاً دون أدنى ملابسة بينهما[٦].

فمن الذين نفوا الموافقة ابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ) إذ يقول: و((من أرباب هذه الصناعة فإنهم سموا هذا الضرب من الكلام مطابقة لغير اشتقاق ولا مناسبة بينه وبين مسماه، هذا الظاهر لنا من هذا القول، إلا أن يكونوا قد علموا من ذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن))[٧]، وتبعه في ذلك ابن حجة الحموي[٨].

---

[١] المثل السائر: ١٤٣/٣.

[٢] المصدر نفسه: ١٤٤/٣.

[٣] التلخيص: ٣٤٨، والايضاح: ٣٣٤/٢.

* وإنما اكتفت الدراسة بذكر المصطلحات دون الدخول في تعريفاتها وتفصيلاتها خشية التكرار والإطالة، لأن الكثير من الدراسات التي سبقت تناولت ذلك بالتفصيل، لذا حاولت الدراسة هنا ان تذكر بعض القضايا التي لم تتطرق إليها الدراسات السابقة عليها. (ينظر في ذلك: ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية، رسالة ماجستير: ٥١-٥٤، والطباق في القرآن الكريم، رسالة ماجستير: ٢-١١، والتقابل في الحديث النبوي الشريف، اطروحة دكتوراه: ١٠-١٨، والتقابل الدلالي في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ١٢-٢٠، وأسلوب التقابل في الربع الأخير من القرآن الكريم، رسالة ماجستير: ١٢-١٦).

[٤] خزانة الأدب: ٧٢/٢.

[٥] ينظر: تحرير التحبير: ٣١، والمصباح: ١٩١-١٩٢، والإيضاح: ٣٣٤/٢، والتلخيص: ٣٤٨-٣٥٣، والبرهان في علوم القرآن في علوم القرآن: ٢٧٩/٣.

[٦] ينظر: مقدمة في علم المصطلح: ٢١٥.

[٧] المثل السائر: ١٤٤/٣.

[٨] ينظر: خزانة الأدب:٧١/٢.

أما من وفق بينهما فهو ابن سنان الخفاجي (ت: ٤٦٦هـ) في كتابه (سرّ الفصاحة) إذ يقول: ((على أن الذي أختاره تسمية الجميع بالمطابق، لأن الطبق بالشيء إنما قيل له طبق لمساواته إياه في المقدار إذا جُعل عليه أو غُطّي به وإن اختلف الجنسان، وفي المثل: وافق شنٌّ طبقة، ومنه طباق الخيل، يقال: تطابق الفرس إذا وقعت رجلاه في موضع يديه في المشي والعدو، وكذلك الكلاب، قال النابغة الجعدي[١]:

وخَيْلٍ يُطابِقْنَ بالدّارِعينَ طِباقَ الكِلابِ يَطَأْنَ الهَرَاسَا*))[٢]

وسبقه في التوفيق بين المعنى اللغوي (المشي المقيد) وبين المعنى الاصطلاحي (الجمع بين المتضادين) أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ) في كتابه (الصناعتين) مستشهداً بالبيت نفسه[٣]، وتبعهما في ذلك ابن أبي الأصبع المصري (ت: ٦٥٤هـ) في كتابه (تحرير التحبير)، وحازم القرطاجني (ت: ٦٨٤هـ) في كتابه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)، وابن الناظم (ت: ٦٨٦هـ) في كتابه (المصباح في المعاني والبيان والبديع)[٤].

وقد نقل ابن سنان في تفسير قوله تعالى:﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾[٥]، ((أي حالاً بعد حال، ولم يرد تساويهما في نفس المعنى، وإنما أراد تساويهما في المرور عليكم والتغيير لكم، فإذا كان هذا حقيقة الطباق ــ وهو مقابلة الشيء بمثله الذي هو على قدره ــ سموا المتضادين إذا تقابلا متطابقين))[٦]. وبذلك تتضح الموافقة.

---

[١] ديوان النابغة الجعدي: ٩٩.

* الهَراسَ: شجر ذو شوك. (ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٠٢٩).

[٢] سر الفصاحة: ٢٠٠.

[٣] ينظر: الصناعتين: ٣٠٧.

[٤] ينظر: تحرير التحبير: ١١١، ومنهاج البلغاء: ٤٣، والمصباح: ١٩١.

[٥] الانشقاق: ١٩.

[٦] سر الفصاحة: ٢٠٠، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٥١٦.

وكما وقع الخلاف بين القدماء في التوفيق بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للطباق، فكذلك هي الحال مع المحدثين، إذ كانوا ما بين موفق[١]، ومخالف بينهما[٢]، ومن هو مهمل لهذه المسألة[٣]، وإن كان إهمالهم من باب التسليم بالشيء والإقرار به، أي بالموافقة بين المعنيين، ولهذا نراهم يضعون مصطلح الطباق ضمن أبواب علم البديع ويعالجونه بالدرس والتمثيل.

ومن وفق بينهما من الدارسين المحدثين الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيّود إذ وضع عنواناً بذلك أسماهُ (وجه المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي) قال فيه: ((يرى بعض البلاغيين أنه لا مناسبة بين المعنيين ويرى آخرون ــ وهو الأرجح ــ أن هناك مناسبة تجمع بينهما، ومردها إلى أمرين: أولهما: أن الذي يجمع بين الضدين في كلام منثور، أو في ببيت شعر، فهو يوفق بين الضدين في هذا الكلام. ثانيهما: أن الطبق بالتحريك معناه في اللغة: المشقة، قال تعالى:﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾[٤]، أي: مشقة بعد مشقة، فلما كان الجمع بين الضدين على الحقيقة وفي الواقع شاقاً بل متعذر، سموا كل كلام جمع فيه بين الضدين طباقاً ومطابقة وتطبيقاً))[٥].

أما الدكتور أحمد أحمد فشل فقال معلقاً على كلام ابن حجة الحموي بعد أن ينقله: ((أما ابن حجة الحموي فقد استوعب الدراسات السابقة عليه، وعرضها عرضاً وافياً مؤيداً بالشواهد... قال: (وليس بين تسمية اللغة وتسمية الاصطلاح مناسبة، لأن المطابقة في الاصطلاح،: الجمع بين

---

[١] فمن الموفقين: د. الشحات محمد أبو ستيت في كتابه: (دراسات منهجية في علم البديع): ٣٣، ود. بسيوني عبد الفتاح فيّود في كتابه (علم البديع دراسة تاريخية وفنية): ١٣٦، وأحمد أحمد فشل في كتابه (علم البديع رؤية جديدة): ١٨٤-١٨٥، ود. عبد الرحمن الميداني في كتابه (البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها): ٣٧٧.

[٢] ومن المخالفين: د. عبد العزيز عتيق في كتابيه (علم البديع): ٥٣، و(في البلاغة العربية): ٤٩٥، ود. بدوي طبانة في كتابه (معجم البلاغة العربية): ٢٧١/١.

[٣] أما المهملون: فمنهم د. عبده عبد العزيز قلقيلة في كتابه (البلاغة الاصطلاحية): ٢٩٠، ود. منير سلطان في كتابه (البديع في شعر شوقي): ٢٤١، ود. عبد القادر حسين في كتابه (فن البديع): ٤٥، ود. أحمد مطلوب في كتابه (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها):٦٦/٣-٦٧.

[٤] الانشقاق: ١٩.

[٥] علم البديع دراسة تاريخية وفنية: ١٣٦.

الضدين في كلام أو بيت شعر، كالإيراد والإصدار، والليل والنهار، والبياض والسواد))[١]. وعندنا [والكلام للدكتور أحمد فشل] أن المناسبة لم يدركها ابن حجة فحركة ذوات الأربع تتم بتحريك اليد اليمنى مع الرجل اليسرى وتشتمل على مطابقة، ثم بتحريك اليد اليسرى مع الرجل اليمنى وهذه مطابقة أخرى. وتضع في الحركة الثانية قائمتيها في الموضعين اللذين أخلتهما من الحركة الأولى، وهذا شرح لقول الخليل*: يقال: طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذوٍ واحد))[٢].

أما من النافين للمناسبة فيطالعنا الدكتور عبد العزيز عتيق في كتابيه (علم البديع، وفي البلاغة العربية)، إذ يقول فيهما: ((وليس بين التسمية اللغوية والتسمية الاصطلاحية أدنى مناسبة))[٣].

وتابعتهما في رأيهما الكثير من الدراسات الحديثة كدراسة الباحثة نِعَم هاشم الجماس إذ تتبنى رأي الثاني وتنقله نصاً في رسالتها[٤]. ومن الدراسات السابقة عليها دراسة الباحث عبدالكريم حافظ العبيدي فيرى بعد إيراده موضوع الطباق ضمن عنوان (اشكالية المصطلح): ((أن تسمية مطابقة أو طباق غير مناسبة))[٥].

وممن نفى الموافقة أو المناسبة بين المعنيين الباحث عماري عز الدين في رسالته إذ قال ــ بعد أن أورد المعاني اللغوية والاصطلاحية السابقة ــ ((ومما سبق ذكره يتضح أنه لا توجد هناك أية مناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للطباق، ذلك أن الأول مبني على الموافقة بينما الثاني مبني على الجمع بين المتضادين))[٦].

---

[١] خزانة الأدب: ٢/٧١.

* ينظر: العين: ٥/١٠٩.

[٢] علم البديع رؤية جديدة: ١٨٤-١٨٥.

[٣] علم البديع: ٥٣، وفي البلاغة العربية: ٤٩٥.

[٤] ينظر: الطباق في القرآن الكريم دراسة بلاغية، رسالة ماجستير: ١٠.

[٥] ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية، رسالة ماجستير: ٥١-٥٢.

[٦] أسلوب التقابل في الربع الأخير من القرآن الكريم، رسالة ماجستير: ١٤.

تأتي بعد ذلك الباحثة أسماء سعود خطاب التي توصلت ــ بعد أن بينت معنى الطباق لغةً كما جاء عن ابن منظور وابن فارس[١] ــ إلى نتيجة مفادها أن ((حقيقة الطباق مطلق المساواة... والمثل في الاعتياد يقابل المثل ويساويه، ولا يزيد أحدهما على الآخر ولا ينقص، ومن هذا... الحذو المقطعي في الأفعال الرباعية المذكورة آنفاً))[٢].

أي أنها ترى أنَّ معنى المطابقة هو التقابل بالمثل لا غير، بعد ذلك تخالف[٣] ما جاء به الدكتور فايز عارف القرعان في كتابه (التقابل والتماثل في القرآن الكريم) الذي ذهب إلى أنَّ هناك معنى آخر للطباق غير معنى التقابل بالمثل ألا وهو التقابل بالخلاف، إذ قال بعد أن نقل نصوصاً عن بعض اللغويين، كالجوهري وابن سيدة فيها إشارة إلى أن المطابق من الخيل والإبل: الذي يجعل رجله موضع يده في جريه[٤]، وعلق على هذه النصوص بقوله: ((وذلك أن موضع الرجل عند الإبل أو الخيل لا يتماثل تماماً مع مواضع أيديها، فالرجل خلاف لليد من حيث المعنى، ومن ثَم فإن الجمع بينهما في موضع واحد هو تقابل بالخلاف وليس بالمثل))[٥].

وهذه النتيجة نفسها أيدتها الباحثة تغريد عبد فلحي، بل نراها تنقلها نصاً دون أن تشير إلى دراسة فايز القرعان، كما أنها ذكرت نصوصاً تشير إلى معنى التقابل بالخلاف، ولكنها خلطت بين النصوص اللغوية ــ وهي لم تشر إلا إلى قول الزمخشري في أساس البلاغة ــ والنصوص الاصطلاحية الواردة في الطباق[٦].

---

[١] تُراجع صفحة: ٦.

[٢] التقابل في الحديث النبوي الشريف، اطروحة دكتوراه: ٤.

[٣] ينظر: المصدر نفسه: ٥.

[٤] ينظر: الصحاح في اللغة: ٥١٢/٤، مادة (ط. ب. ق)، والمحكم والمحيط الأعظم في اللغة: ١٧٩/٦، مادة (ط. ب. ق).

[٥] التقابل والتماثل في القرآن الكريم: ١١.

[٦] ينظر: التقابل الدلالي في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ١٣.

وهناك دراسة تميزت بأن قالت: إن الصور الضدية في البلاغة العربية لا تخرج عــن اثنين هما: الطباق والمقابلة[1]، فهي قد أقرت بوجود الضدية في الطباق واستشهدت على ذلك. وهذا يعني أنها قد وفقت بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي وإن كان بطريقة غير مباشرة.

وحصيلة ما وصل اليه البحث أن هناك مناسبة بين المعنى اللغوي للطباق ومعناه الاصطلاحي. وأن الطباق فيه تقابل التضاد والتقابل بالخلاف والتقابل بالمثل أيضاً، تشهد بذلك شواهد النصوص الأدبية التي زخرت بها الكتب البلاغية قديماً وحديثاً.

وفي ضوء ذلك فهل يعني أن الطباق نظير التقابل وصنوه، أو أنَّه أعم من التقابل وأن الأخير مندرج ضمنه، أو أنَّ التقابل أعم منه وشامل عليه. فهذا ما سنأتي إلى مناقشته تحت عنوان: ثنائية التقابل والطباق.

[1] قصار حكم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، رسالة ماجستير: ٢١٤-٢٢٦.

المبحث الثالث: ثنائية التقابل والطباق*:

ذكرت الدراسة أن علماء البلاغة القدماء درسوا الطباق بمعزل عن التقابل، فلم يوفقوا بينهما على الرغم من الضدية التي يدل عليها المفهومان، ((يضاف إلى ذلك من الدلائل [على الضدية] أن من البلاغيين من لم يفرق تفرقة واضحة بين أمثلة الطباق وأمثلة المقابلة ... مـــن ذلك أن قوله عزّ وجل: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾[1] ورد عند صاحب الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي (ت: ٩١١هـــ)[2] مثالاً من أمثلة الطباق والمقابلة معاً في صفحة واحدة))[3].

وأول من فرق بينهما ابن أبي الإصبع المصري إذ قال: ((والفرق بين المقابلة والمطابقة من وجهين: أحدهما: أن المطابقة لا تكون إلا بالجمع بين ضدين فذين، والمقابلة تكون غالباً بالجمع بين أربعة أضداد: ضدان في صدر الكلام، وضدان في عجزه، وتبلغ إلى الجمع بين عشرة أضداد: خمسة في الصدر وخمسة في العجز. والثاني: أن المطابقة لا تكون إلا بالأضداد، والمقابلة تكون بالأضداد وبغير الأضداد))[4]، وتابعه في ذلك جلال الدين السيوطي في كتابيه الاتقان في علوم القرآن ومعترك الأقران في إعجاز القرآن[5].

---

* هناك العديد من المصطلحات التي تدخل ضمن مفهومي التقابل والطباق وهذه المصطلحات هي: (الضد، والنقيض، والعكس، والخلاف، والتكافؤ). إلا أن الدراسة لم تفصّل القول فيها، وذلك لبحثها في دراسات سابقة عليها. وخلاصة القول فيها: ان هذه المصطلحات جميعاً تدخل ضمن مصطلح التقابل لتتفرع منه إلى تقابلات عديدة كما سيتضح تحت هذا العنوان. (ينظر: ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية، رسالة ماجستير:٥١-٥٧، والتقابل الدلالي في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ١٣-١٨، وأسلوب التقابل في الربع الأخير من القرآن الكريم، رسالة ماجستير: ١٢-٢١، وأساليب البديع في نهج البلاغة، اطروحة دكتوراه: ٩٧-١٠١).

[1] التوبة: ٨٢.

[2] الاتقان في علوم القرآن في علوم القرآن: ١٧٧٦/٥-١٧٧٩، وينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن في إعجاز القرآن: ٣١٤/١، ٣١٦.

[3] التناسب البياني في القرآن الكريم: ١٣٤.

[4] تحرير التحبير: ١٧٩، وينظر: بديع القرآن: ٣١.

[5] ينظر: الاتقان في علوم القرآن في علوم القرآن: ١٧٧٨/٥، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن في إعجاز القرآن: ٣١٦/١.

والملاحظ هنا أنه ليس هناك ثنائية بين التقابل والطباق، وأن الفرق أو الاختلاف بينهما إنما هو اختلاف من أجل الاختلاف، وأن جُلّ المسألة في أيهما أشمل للآخر، أي في عموم أحدهما وخصوص الآخر، وهذا ما اختلف فيه البلاغيون القدماء على رأيين:

الأول: ويتمثل في أن الطباق أعم من المقابلة، فالطباق أصل والمقابلة فرع، وقد انفرد بهذا الرأي الخطيب القزويني فهو يقول: ((ودخل في المطابقة ما يخص باسم المقابلة))[١]. وتابعه من المحدثين الباحث عبد المتعال الصعيدي، والباحث عبد الرحمن حسن، والدكتور عبده عبد العزيز قلقيلة، إذ يشيرون إلى عبارته هذه نصاً[٢].

ومن الدراسات التي أيدت هذا المصطلح دراسة الباحثة نِعَم هاشم الجماس إذ لم ينل مفهوم التقابل عندها ما ناله مفهوم الطباق من الدرس والتحليل، على العلى الرغم من من اعتقادها بسعة الأول وشموله للطباق، فاكتفت الباحثة بما أورده ابن أبي الإصبع المصري من تفرقة بينهما تحت عنوان (بين المطابقة والمقابلة)[٣]، وعلى الرغم من ذلك تتجاهل هاتين الحقيقتين وتدرس آيات قرآنية تحت عنوان (الآيات التي تحوي أكثر من طباق)[٤]، أي ثلاثة أو أربعة أو أكثر، وتعنون رسالتها بالطباق، ولكنها من جانب آخر فضلت أن تطلق مصطلح التضاد[٥] بدلاً من مصطلح الطباق على الرغم من اعتقادها بأن الضدية في الطباق تقع ((بين معنيين يحتويهما لفظان. أما التضاد اللغوي فالضدية فيه تقع بين معنيين يحتويهما لفظ واحد))[٦]. متبنّية بذلك رأي الدكتور أحمد مطلوب إذ قال ما مضمونه: ومصطلح التضاد أكثر دلالة على هذا الفن، لأن التضاد يدل على الخلاف[٧]، وسبقها في تبني هذا الرأي الباحث عبد الكريم حافظ العبيدي في رسالته[٨] .

---

[١] الإيضاح: ٣٤١/٢.

[٢] ينظر: البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها: ٣٧٨/٢، والبلاغة الاصطلاحية: ٢٩٥.

[٣] ينظر: الطباق في القران الكريم، رسالة ماجستير: ١٣.

[٤] ينظر: المصدر نفسه: ٢٠-٤٠.

[٥] ينظر: المصدر نفسه: ١٠-١١.

[٦] المصدر نفسه: ١٣.

[٧] ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢٥٤/٢.

[٨] ينظر: ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية، رسالة ماجستير: ٥٢.

ومن الذين قرنوا التضاد مع التقابل، بل دعوا إليه صراحة الدكتور محمود البستاني إذ يقول: ((كل أشكال التقابل ذات طابع واحد هو: مقابلة الشيء لشيء آخر، بل يمكننا إخضاع ذلك لمصطلح واحد هو التضاد، بالعلى الرغم من من أن المصطلح يستعمل في أحد أشكال التقابل المنطقي، لكن كما قلنا: إن الفن لا يتقيد بلغة المنطق، وأن مصطلح التضاد يظل في لغة الفن المعاصر هو المستعمل في هذا الميدان))[١] .

وهنا تبرز مسألة مهمة جداً لا نريد الخوض في تفاصيلها إلا بقدر ما تفيده الدراسة منها، ألا وهي مسألة التضاد والأضداد. والضد في اللغة: بكسر الضاد وتشديد الدال ((ضد الشيء، والمتضادان: الشيئان لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد، كالليل والنهار))[٢]، جاء في مفردات الراغب الأصفهاني قوله: ((الضدان: الشيئان اللذان تحت جنس واحد وينافي كل واحد منهما الآخر في أوصافه الخاصة، وبينهما أبعد البعد كالسواد والبياض))[٣]. ويقال: ((لا ضد له ولا ضديد، أي لا نظير له ولا كفء له))[٤]، وقال ابن منظور: ((الضد: كل شيء ضادّ شيئاً ليغلبه، والسواد ضده البياض، والموت ضده الحياة، والليل ضده النهار، إذا جاء هذا ذهب ذلك))[٥]، ثم يورد قول أحد العلماء: ((يقال: ضادني فلان إذا خالفك، فأردت طولاً وأراد قصراً، وأردت ظلمة وأراد نوراً، فهو ضدك وضديدك))[٦].

ويبدو أن هذا المعنى اللغوي الأخير الذي يشير إلى مسألة الخلاف هو الذي دفع الدكتور أحمد مطلوب ومن تبعه إلى إطلاق مصطلح التضاد على الألفاظ المتضادة أو المتخالفة. وهذا مجانب للصواب، ذلك أن تقابل المتخالفين أوسع من تقابل المتضادين، وفي ذلك يقول أبو الطيب اللغوي (ت: ٣٥١هـ): ((الأضداد: جمع ضد، وضد كل شيء: ما نافاه، نحو: البياض والسواد، والسخاء والبخل، والشجاعة والجبن، وليس كل ما خالف الشيء ضداً له ألا ترى أن القوة والجهل

---

[١] القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي:١٥٤-١٥٥.

[٢] معجم مقاييس اللغة:٥٧٤، مادة (ض. د. د)

[٣] مفردات ألفاظ القرآن: ٥٠٣، المادة نفسها.

[٤] مختار الصحاح: ١٩٠، المادة نفسها.

[٥] لسان العرب: ٣٤/٨، مادة (ض. د. د).

[٦] المصدر نفسه: ٣٥/٨، والمادة نفسها.

مختلفان وليسا ضدين، وإنما ضد القوة الضعف، وضد الجهل العلم، فالاختلاف أعم من التضاد، إذ كان كل متضادين مختلفين، وليسا كل مختلفين ضدين))[1]، وعلى قول أبي الطيب هذا ينبغي أن يطلق مصطلح الخلاف ليشمل التضاد لا العكس، ولو أننا قلنا جدلاً برأيهم فهل يشمل التضاد تقابل المتناقضين، أوالمتضايفين، أوالمتماثلين هذا أولاً، وثانياً: أن علماء اللغة لم يطلقوا مصطلح التضاد إلا على اللفظ الواحد الذي يحمل معنيين متضادين، كالجون للأسود والأبيض، ويعرفه أبو بكر الأنباري (ت: ٣٢٨هـ) بقوله: هي ((الحروف* التي توقعها العرب على المعاني المتضادة، فيكون الحرف منها مؤدياً عن معنيين مختلفين))[2]، أي أن التضاد هو ما اتفق لفظه ودل على معنيين متضادين، أو كما جاء عن سيبويه (ت: ١٨٠هـ) ((اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين))[3]، نحو قولنا: وجدتُ عليه من الموجدة، ووجدتُ إذا أردتُ وجدان الضالة، وأشباه هذا كثير.

فحقيقة التضاد إذن لا يمكن أن نطلقه بوصفه مصطلحاً شاملاً لموضوع التقابل أو الطباق، وإن كانت فيهما علاقة الضدية واضحة جداً، ذلك أن التضاد مصطلحاً لغوياً يختلف عن العلاقة الضدية أو الأضداد الموجودة في التقابل. أما العلاقة الضدية بين الألفاظ فلم تلقَ هذه القضية اهتمام اللغويين العرب، ولم يخصوها بتأليف مستقل، ولكن عقدت لها بعض كتب الأدب** فصولاً[4].

---

(١) الأضداد في كلام العرب: ٣٣.

* توهمت الباحثة نِعَم هاشم الجماس في فهم تعريف أبي البركات الأنباري للتضاد عند إيراده لفظ الحروف، فقالت: بأنه ((توسع في مفهوم التضاد فلم يشمل الكلمات فحسب بل شمل الحروف))، وتقصد بذلك الحروف المتضادة ، مثل: لها وعليها. إلا أن المراد بالحروف في قول أبي البركات الأنباري هي الكلمات بصورة عامة، أي تدخل بذلك الحروف، فقديماً يطلقون لفظ الحروف على الكلمات. (ينظر: الطباق في القرآن الكريم، رسالة ماجستير:١١-١٢).

(٢) كتاب الأضداد:١

(٣) الكتاب: ٢٤/١.

** ينظر: رسائل الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ): ٢٤/١، والألفاظ الكتابية للهمذاني (ت: ٣٢٠هـ): ٢٩٦-٢٩٧، وسحر البلاغة وسرّ البداعة للثعالبي (ت: ٤٣٠هـ) الذي ذكرها على شكل كتب متقابلة، ككتاب الممادح والأثنية ويضاده كتاب المساوئ والمقالح. وكتاب التهاني والتهادي ويضاده كتاب التعازي: ٥٧-٧٣، ٨٨-١٠٢.

(٤) ينظر: الأضداد في اللغة: ٩٩.

وبذلك يمكن أن نفرق بين التضاد اللغوي والعلاقة الضدية بين الألفاظ عندما نعلم أن الأضداد اللفظية التي تتقابل فيها المعاني من غير أن يتحد اللفظ، كالليل والنهار، والنور والظلمة، والأسود والأبيض، ليست من التضاد اللغوي[١]، وإنما هي من الطباق أو التقابل ففيهما تكون علاقة الضدية بين الألفاظ هي إحدى العلاقات التي تربط بين ألفاظهما.

وبذلك تؤيد الدراسة النتيجة التي مفادها: أن العلاقة الضدية أو الأضداد في الطباق أو التقابل تقع ((بين معنيين يحتويهما لفظان، أما التضاد اللغوي فالضدية فيه تقع بين معنيين يحتويهما لفظ واحد))[٢].

الثاني*: يرى أن التقابل أعم من الطباق، فالمقابلة أصل والطباق فرع، ومن أشار إلى ذلك ابن الأثير إذ قال: ((الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع [أي الطباق] المقابلة، لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين: إما أن يقابل الشيء بضده، أو يقابل بما ليس بضده، وليس لنا وجه ثالث))[٣]. وهذا نفسه ما أشار إليه وأيده ابن حمزة العلوي (ت: ٧٤٥هـ) في كتابه الطراز إذ يقول: أن يؤتى بالشيء وضده في الكلام، والأفضل تسمية الطباق بالمقابلة، لأن التقابل في الكلام لا يكون إلا في أربعة أضرب هي: مقابلة الشيء بضده من جهة لفظه، ومقابلة الشيء بضده من جهة معناه دون لفظه، ومقابلة الشيء بما يخالفه من غير مضادة، ومقابلة الشيء بما يماثله[٤]. جاء بعدهما ابن حجة الحموي (ت: ٨٣٧هـ)، إذ أشار إلى مسألة الخصوص والعموم بقوله: ((المقابلة أدخلها جماعة في المطابقة، وهو غير صحيح، فإن المقابلة أعم من المطابقة وهي التنظير بين شيئين وأكثر، وبين ما يخالف وبين ما يوافق، فقولنا وما يوافق صارت المقابلة أعم من المطابقة،

---

[١] ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٣٨٨/١، وفقه اللغة: ٧٢.

[٢] الطباق في القرآن الكريم، رسالة ماجستير: ١٣.

* وإنما قدمت الدراسة الرأي الأول على الثاني على الرغم من أن الثاني أسبق ظهوراً من الأول ــ بحكم أن صاحب الرأي الثاني هو ابن الأثير، وهو أسبق زمناً من القزويني، وهو صاحب الرأي الأول ــ لأن الدراسة أيدت الرأي الثاني فأطالت الوقوف عنده، وفي تقديمه ما قد يشتت انتباه القارئ الكريم.

[٣] المثل السائر: ١٤٤/٣.

[٤] ينظر: الطراز: ١٩٧/٢-٢٠٢.

فإن التنظير بين ما يوافق ليس بمطابقة، وهذا مذهب زكي الدين بن أبي الإصبع))[١]، فعنده ((المطابقة لا تكون إلا بالأضداد، والمقابلة تكون بالأضداد وبغير الأضداد))[٢]. إلا أن المعنى اللغوي للطباق أثبت تقابل الألفاظ فيه بالمثل[٣].

أما حازم القرطاجني (ت: ٦٨٤هـ) ــ وهو سابق للعلوي والحموي* ــ فقد جعل المقارنة بين المعاني بالتضاد من باب المقابلة أو المطابقة على السواء ــ وإن فصل بينهما في التنظير والتطبيق ــ فهو لا يفرق بينهما، فهما عنده ذاتا معنىً واحد وإن اختلفت المسميات إذ يقول: ((إذا أردت أن تقارن بين المعاني وتجعل بعضها بإزاء بعض وتناظر بينها، فانظر مأخذاً يمكنك معه أن تكوّن المعنى الواحد وتوقعه في حيزين، فيكون له في كليهما فائدة، فتناظر بين موقع المعنى في هذا الحيز وموقعه في الحيز الآخر فيكون من اقتران التماثل ... أو مأخذاً يصلح فيه اقتران المعنى بمضاده فيكون هذا مطابقة أو مقابلة))[٤]، وقال في موضع آخر: ((إنما تكون المقابلة في الكلام بالتوفيق بين المعاني التي يطابق بعضها بعضاً))[٥]، فجعل المقابلة أعم من الطباق وأدخله ضمنها.

ويرى أن المتقابلات كثيرة في الكلام، فهي ((تتشعب، وقل من تجده يفطن لمواقع كثير منها في الكلام))[٦]، ولهذا يقسمها على ثلاثة اقسام هي: المتماثلات، والمتخالفات، والمتضادات. ويرى في تقابلاتها أكثر قرباً للنفس وأشد تحريكاً لها ولا سيّما في المتضادات، ففي تقابلهما غبطة للنفس لأحدهما، وتخليّاً عن الآخر القبيح[٧].

---

[١] خزانة الأدب: ٢/٢٤.

[٢] تحرير التحبير: ١٧٩.

[٣] تُراجع الصفحتان: ٦، ١٢.

* وإنما نورد رأيه آخراً لحاجتنا إلى تقسيماته للتقابل في وضع خطة الاطروحة.

[٤] منهاج البلغاء: ١٤.

[٥] المصدر نفسه: ٤٦.

[٦] المصدر نفسه.

[٧] ينظر: المصدر نفسه: ٤١.

أما السجلماسي (ت: ٧٠٤هـ) فقد أدخل المطابقة تحت أقسام التقابل وذلك من خلال قوله إن المطابقة هي التضاد والتخالف[١]، والتضاد والتخالف كما هو واضح نوعان من أنواع التقابل، ولهذا قال في موضع آخر: ينبغي أن يفهم من اسم المطابقة في هذه الصناعة ما يفهم من اسم التقابل في صناعة المنطق، وينبغي أن يقسم جنس المطابقة في البلاغة بحسب انقسام التقابل[٢].

أي أنه ـ كما يلاحظ من كلامه ـ قسّم أو دعا إلى تقسيم التقابل في ضوء علم المنطق، وهنا يقف البحث على رأي علماء المنطق في موضوع التقابل وأقسامه، إذ قسموا الألفاظ بصورة عامة على قسمين هي[٣]:

١- الترادف.
٢- التباين.

وقسموا الألفاظ المتباينة على ثلاثة أقسام هي:

١- المثلان(المشتركان).
٢- المتخالفان(المتغايران).
٣- المتقابلان(المتنافران).

ومن هنا قسموا التقابل على أربعة أقسام هي:

١- تقابل الضدين.
٢- تقابل النقيضين.
٣- تقابل الملكة وعدمها.
٤- تقابل المتضايفين.

في ضوء هذا العرض المقتضب تلحظ الدراسة بأن هناك تداخلاً واضحاً بين أقسام الألفاظ المتباينة وأقسام الألفاظ المتقابلة عند علماء المنطق من خلال قولهم: ((إن التخالف قد يطلق على ما

---

[١] ينظر: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع: ٣٧١.
[٢] ينظر: المصدر نفسه:٣٧٦-٣٧٧.
[٣] ينظر: مقاصد الفلاسفة: ١٦-١٧، والمنطق، المظفر: ١/٤٥-٥٠، والمقرر في توضيح منطق المظفر:١/١٥٣-١٢١.

يقابل التماثل فيشمل التقابل أيضاً، فيقال للمتقابلين على هذا الاصطلاح أنهما متخالفان))[1]، أي بما أن (إنسان وفرس) يمكن أن يطلق عليهما متماثلان لاشتراكهما في الحيوانية، يمكن أن يكونا متخالفين لتغايرهما في الإنسانية والفروسية، ومن ثُمّ فإن ذلك يشمل التقابل أيضاً لتنافرهما بالضدية من حيث أنهما إنسان وحيوان.

فعلماء المنطق هنا وسعوا دائرة التخالف وجعلوه يشمل التماثل والتقابل، إلا أن الدراسة ارتأت العكس فوسعت دائرة التقابل وجعلت التماثل والتخالف داخل إطار دائرته، لأننا نستمد مادة المنطق من اللغة لا العكس[2]. ولعل الدراسة هنا جارت ما قام به الإمام بدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، فإنه وإن لم يقل بعمومية وخصوصية أحدهما على الآخر، وخص كلاً منهما بمبحث خاص، إلا أنه يرى أنَّ المقابلة قريبة من الطباق إذ قسمها على ثلاثة أقسام هي: النظيري، والنقيضي، والخلافي[3]، ويقصد بالنظيري: المتماثل. وبضم هذه التقابلات مع ما جاء عند القرطاجني، فضلاً عمّا أمدتنا به اللغة المنطقية* من تقسيمات أكثر دقة[4]، يمكن أن نمثل تقسيمات الطباق وتفريعاته بالمخطط الآتي:

---

[1] المنطق، المظفر: ١/٤٧.

[2] ينظر: التفكير المنطقي: ٢٥.

[3] ينظر: البرهان في علوم القرآن في علوم القرآن: ٣/٢٨٠-٢٨١.

* وهو تعبير الدكتور محمود البستاني، إذ عاب على لغة المنطق تقسيماته للتقابل على الرغم من عدم مخالفته لهذه التقسيمات، وبالمقابل تتبين دقة اللغة في مسمياتها لأنواع التقابل، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على فنية اللغة وعمق دلالاتها لا منطقيتها. (ينظر: القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي: ١٥٤-١٥٥).

[4] ينظر: مقاصد الفلاسفة: ١٦-١٧، والمنطق، المظفر: ١/٤٥-٥٠، والمقرر: ١/١٠٣-١٢١.

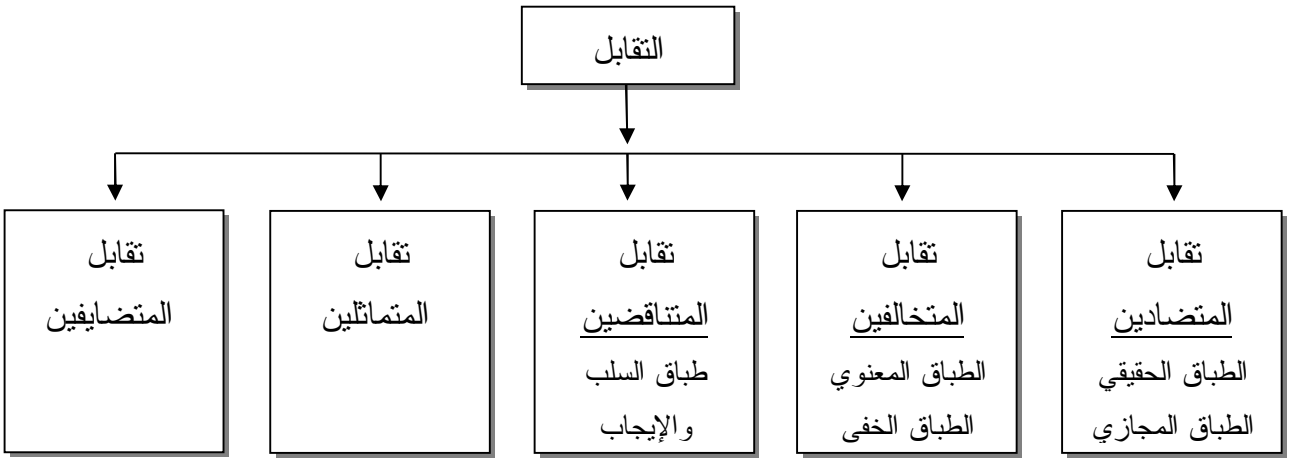

والأخير، أي تقابل المتضايفين، فهو مما لم يشتمل عليه الطباق، وبذلك تثبت خصوصيته وبأن التقابل أعم منه. وهذه ستكون ــ إن شاء الله ــ فصول الاطروحة.

وعوداً على بدء ففي حقيقة الأمر قد أخذ بهذا الرأي ــ أي الرأي الثاني الذي يرى بأن التقابل أعم من الطباق ــ أكثر المحدثين[1]، إلا أنهم وإن قالوا بذلك لم يحاولوا أن يدرسوا الموضوعين تحت عنوان واحد، وإنما درسوهما كلاً على حدة، وجل ما فعلوه أنهم اختاروا تسمية واحدة لكلا المصطلحين، وقد استقر رأيهم على مصطلح الطباق، على الرغم من اعتقادهم بأن المقابلة أعلا رتبة من الطباق، يطالعنا في ذلك رأي الدكتور منير سلطان إذ يقول: ((اعتقد أنه لا داعي لكثرة المصطلحات ويكفينا من الطباق المصطلح فقط. أما المقابلة وطباق التدبيج وإيهام التضاد* فمن الممكن أن تندرج كلها تحت مصطلح الطباق، لأنها مرحلة متقدمة من مراحل التذوق))[2]، وهو يعطينا سبباً أو حجة لاختياره مصطلح الطباق، وهي أن المقابلة مرحلة متقدمة من مراحل التذوق عند البلاغيين.

---

[1] ينظر: د. منير سلطان في كتابه (البديع في شعر شوقي): ٢٥٠، ود. بسيوني عبد الفتاح في كتابه (علم البديع دراسة تاريخية وفنية): ١٥٢، ود. عبد العزيز عتيق في كتابيه (في البلاغة العربية):٥٠٤ و(علم البديع): ٥٩-٦٠، ود. أحمد أحمد فشل في كتابه (علم البديع رؤية جديدة): ١٨٩.

* طباق التدبيج وإيهام التضاد أدخلهما البلاغيون القدماء ضمن أنواع الطباق، فلم يأتِ هنا الدكتور بجديد. (ينظر: المصباح: ١٩٢، ١٩٥، الإيضاح: ٣٣٨/٢-٣٤٠، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن في إعجاز القرآن: ١٧٢٦/٥، ١٧٥١).

[2] البديع في شعر شوقي: ٢٥١.

أما الدكتور منير سلطان فإنه يعطي الحجة في ذلك فيقول: ((أعتقد أنه لا داعي لكثرة المصطلحات ويكفينا من الطباق المصطلح فقط. أما المقابلة وطباق التدبيج وإيهام التضاد* فمن الممكن أن تندرج كلها تحت مصطلح الطباق، لأنها مرحلة متقدمة من مراحل التذوق))[١]، أي حجته هنا أن المقابلة مرحلة متقدمة من مراحل التذوق عند البلاغيين، وكان الأجدر بالمقام أن يلتزم بما ألزم به نفسه، فيأخذ بالمتقدم أو المرحلة المتطورة، وهي مصطلح المقابلة.

وأول من أختار مصطلح التقابل وضمنه الطباق الدكتور أحمد نصيف الجنابي في بحثيه، اللذين يُعدان من البحوث الرائدة في هذا المجال على مستوى التنظير والتطبيق[٢]. إلا أنه ضيق دائرة التقابل بإخراجه طباق السلب منه، الذي يعني اللفظة ونفيها، بحجة أنه لا يولد العلاقة العكسية بين اللفظتين[٣]. وتابعه في ذلك الباحث عبد الكريم حافظ العبيدي والباحثة تغريد عبد فلحي في دراستيهما[٤]. إلا أنه يمكننا أن نضرب المثال الآتي ليتبيّن عكس ذلك** ففي قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾[٥]، نجد أن (يعلمون) تقابل (لا يعلمون) بعلاقة نقيضية، ولكنهما في الوقت نفسه يتقابلان بعلاقة ضدية، ذلك أن معنى (لا يعلمون: يجهلون)، وهي

* طباق التدبيج وإيهام التضاد أدخلهما البلاغيون القدماء ضمن أنواع الطباق، فلم يأتِ هنا الدكتور بجديد. (ينظر: المصباح: ١٩٢، ١٩٥، الإيضاح: ٣٣٨/٢-٣٤٠، ومعترك الأقران: ١٧٢٦/٥، ١٧٥١).

[١] البديع في شعر شوقي: ٢٥١.

[٢] ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة ــ مجلة آداب المستنصرية ــ العدد: ١٠، وظاهرة التقابل الدلالي في سورة الزمر ــ مجلة الرسالة الإسلامية.

[٣] ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة ــ مجلة آداب المستنصرية ــ العدد: ١٠: ١٦-١٧.

[٤] ينظر: ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية، رسالة ماجستير: ٥٧، والتقابل الدلالي في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ٢٩.

** أشارت الباحثة تغريد عبد فلحي في رسالتها إلى أن هناك دراسة للباحثة منال الصفار ــ إلا أننا لم نستطع الحصول عليها ــ سجلت فيها مأخذاً ردت به على الدكتور الجنابي والباحث العبيدي، لإبعادهما طباق السلب أو النقيض عن مفهوم التقابل، فرأت في ذلك الإبعاد تضييقاً للموضوع، وبذلك وصلنا إلى ما وصلت إليه في ضم طباق السلب أو تقابل النقيضين إلى مصطلح التقابل. (ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير: ٢٢-٢٣ ــ نقلاً عن التقابل الدلالي في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ٢٩).

[٥] الزمر: ٩.

ضد (يعلمون). فالآية المباركة تستدعي معنى التضاد، أي أن النقيض يولد العلاقة العكسية بين اللفظين، وبذلك يدخل طباق السلب ضمن ظاهرة التقابل الدلالي، ويمكن أن نمثل لذلك بالمخطط الآتي:

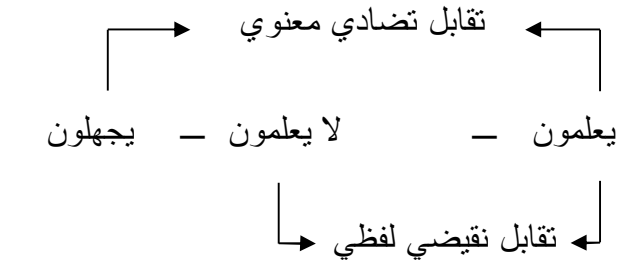

أما دفاع الباحثة تغريد عبد فلحي عن رأيي الجنابي والعبيدي بقولها: ليس تضييقاً للموضوع بقدر ما هو تخصيص له، بحجة أن أصحاب المعاجم يذكرون اللفظ بما يناقضه أو يخالفه أو يضاده، وليس بنفيه[1]، فقد فاتها أن طباق السلب كما يسميه الجنابي أو النقيض كما يسميه العبيدي هو نفسه الذي ذكرته في كلامها بقولها: (يذكرون اللفظ بما يناقضه) ومثّلت له بألفاظ لا تناسبه، لان (قبل) تضايف مع (بعد) لا نقيضه.

وممن درس المصطلحين تحت عنوان واحد الدكتور محمد الهادي الطرابلسي، فقد جعل التقابل أو كما يسميه (المقابلة) أعم من الطباق مؤيداً بذلك رأي ابن الأثير ومن تبعه، فيرى ((أن هاتين الظاهرتين الأسلوبيتين لا تختلفان في الحقيقة إلا في درجة المدى والعمق))[2]، وتوالت بعده البحوث والدراسات حتى عدت ظاهرة التقابل واحدة من العلاقات الدلالية في اللغة كما سيتضح.

أما دراسة الباحث عبد الكريم حافظ العبيدي فيرى – بعد إيراده مصطلحات كثيرة تحت عنوان إشكالية المصطلح – ((أن كثيراً من مباحث الطباق والمقابلة تدخل في مباحث ظاهرة التقابل، لأنهما بالأساس يقومان على وجود لفظين يختلفان نطقاً ويتضادان معنى))[3]. وهذا ما أقرت

---

[1] ينظر: التقابل الدلالي في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ٢٩.

[2] خصائص الأسلوب في الشوقيات: ٩٥.

[3] ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية، رسالة ماجستير: ٥٧.

به الباحثة تغريد عبد فلحي وتنقله نصاً في رسالتها دون أن تشير إلى دراسة عبد الكريم العبيدي[١]، كما فعلت مع الدكتور فايز القرعان.

ومن الدراسات التي أيدت ذلك دراسة الباحثة أسماء سعود خطاب في اطروحتها إذ دعت إلى إلغاء مصطلح الطباق والاكتفاء بمصطلح التقابل للتخلص من تعدد مصطلحات المفهوم الواحد[٢]. وقالت في موضع آخر: ((إن المطابقة من الناحية النظرية جزء من المقابلة، أو مرحلة من مراحل تكوينها، لأن الطباق إذا تعدد أو تعقد أصبح مقابلة))[٣].

وهذا ما سبقها إليه الدكتور بسيوني عبد الفتاح إذ قال ما نصه: ((وقد اختلف البلاغيون في المقابلة، فبعضهم جعلها فناً مستقلاً، وبعضهم جعلها من الطباق، لأنها عبارة عن طباق متعدد، فالطباق إذا جاوز ضدين صار مقابلة، وهذا هو الراجح))[٤].

أما الباحثة حوراء غازي فلم تدخل في إشكالية المصطلحين وإنما تناولت مصطلح التقابل لغةً واصطلاحا فقط، معنونةً رسالتها به[٥]. واختاره كذلك الباحث عماري عز الدين إلا أنه تناول الإشكالية ليس بين التقابل والطباق فقط وإنما بين كثير من المصطلحات متوصلاً إلى النتيجة الآتية: ((من خلال تحديد مفهوم المصطلحات: الطباق، التكافؤ*، التضاد، التخالف، التناقض، تبين أنها تشترك جميعاً في دلالتها على التقابل))[٦]. وهذا ما عاد وذكره الباحث خالد كاظم الحميداوي،

---

[١] التقابل الدلالي في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ١٧.

[٢] ينظر: التقابل في الحديث النبوي الشريف، اطروحة دكتوراه: ٦-٧.

[٣] المصدر نفسه:٧.

[٤] علم البديع دراسة تاريخية وفنية: ١٥٢.

[٥] ينظر: التقابل الدلالي في الصحيفة السجادية، رسالة ماجستير: ٨-٩.

* ويقصد بالتكافؤ هنا هو ما أصطلح عليه قدامة بن جعفر في إطلاقه على ما أسماه غيره من العلماء بمصطلح الطباق، ويعرفه بقوله: ((أن يصف الشاعر شيئاً أو يذمهُ ويتكلم فيه. أي معنى كان، فيأتي بمعنيين متكافئين، الذي اريد بقولي متكافئين في هذا الموضع أي متقابلين، إما من جهة المضادة، أو السلب والإيجاب، أو غيرهما من أقسام التقابل)). (نقد الشعر: ١٤٧-١٤٨). وقوله الأخير هنا، أي قول قدامة بن جعفر أدخل فيه الطباق ضمن أقسام التقابل، أي أنه قد جعل التقابل أعم من الطباق، ولو بشكل غير مباشر.

[٦] أسلوب التقابل في الربع الأخير من القرآن الكريم، رسالة ماجستير: ٢١.

ولكنه ذكره ضمن مصطلحين هما: الطباق والتخالف، ثم يقول معلقاً على ذلك: ((وتكشف لنا هذه التعريفات التشابه الكبير بين مصطلحات التكافؤ والطباق والمقابلة، لتوافرها على سمة أساس ومركزية هي: سمة التقابل، وهذه السمة يمكن لها الجمع بين هذه المباحث في نطاق واحد ومجال محدد))[١].

وهناك دراسة وإن لم تختص بموضوع التقابل إلا أنها تناولته ضمن المباحث الدلالية تحت عنوان (التضاد والمقابلة)، وقد وصلت الباحثة فيه إلى نتيجة تتفق والدراسة هنا إذ تقول: ((وتناولتُ التضاد والمقابلة معاً دون فصلهما، لأنهما من حيث الموضوع شيء واحد في الغالب، ولأن معانيهما تكاد تكون متشابهة، فغايتي هي الكشف عن المعاني العميقة والدلالات البلاغية التي أفادها كلاهما))[٢].

وهذا ماعادت وأثبتته الباحثة أميرة جاسم العتابي، فأشارت اليه ضمن مبحث من مباحث كتابها فجعلت مصطلحات: المطابقة، والتكافؤ، والتضاد، والتناقض، والمخالفة، داخلة ضمن مصطلح التقابل ودالة على معناه[٣].

---

[١] أساليب البديع في نهج البلاغة، اطروحة دكتوراه: ٩٧.

[٢] دراسة أسلوبية في سورة مريم، رسالة ماجستير: ٩٣.

[٣] ينظر: بنى البديع في القران الكريم:٢٥٣.

المبحث الرابع: التقابل في علم الدلالة الحديث وتوسيع المصطلح:

لا تسعى الدراسة هنا إلى بيان المراد من علم الدلالة، أو كيف انتقل الدلاليون في دراسة اللغة من الجملة إلى النص[١]، كما لا تميل إلى دراسة علم البديع عند القدماء والمحدثين في بيان الوظيفة الشكلية (التحسين والتزيين) أو الأدبية (النصية) فيه إلا بالقدر الذي يفتح مغاليق هذا العنوان، وإلا فإن الدراسات السابقة قد تناولت ذلك كله بالتفصيل[٢]، ثم إن ورودها هنا سيكون من باب التكرار والإطالة اللذان يتجنبهما البحث.

ونتيجة لعد ظاهرة التقابل إحدى العلاقات الدلالية* التي تولد المعنى[٣]، بعد أن خرجت عن التقسيمات البديعية فقد دخلت علم الدلالة الحديث** ونتيجة لهذا دخلت علم السيمياء***على اعتبار

---

[١] ينظر: في مراحل تطور لسانيات النص: النص والخطاب والإجراء: ٦٤-٦٩.

[٢] ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية:٣٧-٧٤، والتضاد في النقد الأدبي: ٢٣٦-٢٣٨. وهناك رسائل وأطارح تناولت هذه المسائل منها: ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية، رسالة ماجستير: ٦٧-٧٨، والتقابل الدلالي في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ٢٤-٢٨، وأسلوب التقابل في الربع الأخير من القرآن الكريم، رسالة ماجستير:٥٣-٦٠، وأساليب البديع في نهج البلاغة، اطروحة دكتوراه: ٢٩-٣٩.

* وهذه العلاقات هي: (الترادف، والتضاد، والمشترك اللفظي، وعلاقة الجزء بالكل...)، ينظر: علم الدلالة، جون لاينز:٩٥، وعلم الدلالة، بالمر: ٩٧-١٣٤، وعلم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٩٨.

[٣] أول من وضع مصطلح التقابل وأدخله ضمن العلاقات الدلالية أو علاقات المعنى في علم الدلالة قديماً وحديثاً الدكتور أحمد نصيف الجنابي، هذا على مستوى الدراسات العربية وإلا فالغرب تناولوه في دراساتهم، ولكن بشكل يتفق مع معطيات لغتهم كما يعبر هو نفسه عن ذلك. (ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة ــ مجلة آداب المستنصرية ــ العدد: ١٠: ١٣، ١٥).

** هو((العلم الذي يدرس بطريقة منهجية مفهوم الكلمات ووسائل تحديد علاقاتها بالعالم الخارجي، ويدرس تطور الدلالة، كما يدرس الأساليب اللغوية المختلفة، كالأمر والنهي والاستفهام وما لها من دلالات، ويدرس التراكيب النحوية والعلاقات بين أجزاء الجملة من فاعلية ومفعولية وسببية، كما يدرس السياق وأثره في تحديد المعنى)). (ظاهرة التقابل الدلالي في سورة الزمر ــ مجلة الرسالة الاسلامية: ٨٩).

*** المقصود بالسيمياء: هو علم العلامات سواء أكانت سمعية، أم بصرية، أم لمسية، أم شمية، أم ذوقية. (ينظر: سيميائية اللغة: ١١، وعلم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران: ٦٣-٦٨). أما علم الدلالة فقد مرّ تعريفه سابقاً. وعلم التراكيب: فيعنى بدراسة علاقة الكلمات بالكلمات الأخرى والرموز بالرموز الأخرى فيشمل القواعد والتركيب والمنطق، بعبارة ثانية: كل قواعد الأنظمة الرمزية. وأخيراً التداولية: فتدرس العلاقة التي=

أن الأخيرة تقسم إلى ثلاثة أقسام:علم الدلالة أولها، والآخران هما: علم التراكيب، والتداولية[١].

ويأتي أثر التقابل في علم الدلالة الحديث من خلال ما ينتجه من دلالة، وتعني في إطار حقل اللسانيات العلاماتية: المعنى الإضافي (الهامشي)* الذي يحمله المعنى التصريحي (المركزي) أو المرجعي غير الذاتي للفظ[٢] من خلال وروده في سياق أو في نص.

والتقابل جزء من بنية النص**، و((النص ممارسة دلالية منحها علم العلامات أو السيميولوجيا امتيازاً، لأن عملها الذي يتم بواسطته اللقاء بين الفاعل واللغة عمل مثالي... وليس هناك من يطمح بقصر عملية الاتصال على الترسيمة الكلاسيكية البسيطة التي اعتمدتها الألسنية، وهي الباث والقناة والمتلقي، إلا إذا اعتمد على ما ورائية الفاعل التقليدي))[٣]، أي أن علم اللغة النصي لا يقتصر على دراسة النص فقط، وإنما يعنى بدراسة متلقيه، وسياق التلقي، والهيئات والظروف المقترنة بكل ما سبق[٤]. وبذلك فقد انتقلت الدراسات اللغوية من نحو الجملة إلى نحو النص***. ومن خلال هذه النقلة يمكن تشخيص علاقات لم ينظر إليها في نحو الجملة، وهي علاقات فيما وراء الجملة لا تقتصر على الجانب التركيبي (الصوت، والصرف، والنحو) أي لا

تربط الكلمات والرموز الأخرى والسلوك الإنساني متضمنة أثر وفاعلية هذه الكلمات والرموز في الكيفية التي نعمل بها.(ينظر: الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي: ١٩).

[١] ينظر: المصدر نفسه: ١٩.

* أو الدلالة الهامشية، وهو المصطلح الذي اقترحه الدكتور إبراهيم أنيس، ويعرفها بقوله: ((تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم وتركيب أجسامهم)). (دلالة الألفاظ:١٠٧).

[٢] ينظر: الدلالة الإيحائية في الشعر العربي الحديث: ١٤.

** بنية النص ما يقابل الجملة أو جزء من الجملة، ففي إيراده تلافياً لهذه الجزئية، وخروجاً على اعتبار الأشكال البلاغية زخرفاً وزينة. (ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: ١٢١-١٢٣).

[٣] بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢١٢-٢١٣.

[٤] ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٦.

***هناك بحث يؤصل قضايا علم اللغة الحديث ونظرياته في التراث العربي، ولا سيّما الدراسات اللسانية النصية أو نحوالنص، بدءاً بكتاب سيبويه بوصفه أول كتاب متكامل في النحو العربي. (ينظر: النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص ــ المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها ــ العدد: ١).

تقتصر على جمل و فقرات سابقة عليها أو لاحقة بها يتوقف تفسيرها عليها، وإنما تتعداها إلى البحث عن عناصر غير لغوية تتصل بمنطقية الجمل[١].

وعلم اللغة النصي: وهو ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بوصف النص وتحليله، من جوانب عدة، أهمها: الترابط والتماسك[٢]، أو ما يسمى بالسبك والحبك فهما من معايير النصية السبعة[٣] ــ حسبما حددهما (دي بيو جراند) و(درسلر) ــ لهما أثرهما في ترابط النص وتماسكه.

والسبك: هو رصد العلاقات الدلالية الاستمرارية الحضورية المتحققة على مستوى الأبنية السطحية للنص، وهو على نوعين: السبك النحوي، ويشمل: (الإحالة، والاستبدال، والحذف، والربط اللفظي والمعنوي، والتحديد)، والسبك المعجمي، ويشمل: (علاقتي التكرار، والمصاحبة المعجمية*). أما الحبك فهو رصد العلاقات الدلالية الاستمرارية الاستبدالية المتحققة على المستوى الداخلي للنص أو العلاقة الغيابية، أو علاقات المعنى المنطقية**، كعلاقة السببية والعموم

---

[١] ينظر: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص: ٤٠٧، وعلم لغة النص المفاهيم والاتجاهات:٢١٩-٢٢٠.

[٢] ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٣٦/١.

[٣] أما بقية المعايير فهي: القصد(هدف النص)، والقبول، والإعلامية (الإخبار)، ورعاية الموقف (المقام)، والتناص. (ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٣-١٠٥، وينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ــ مجلة علوم اللغة ــ العدد:٢: ٧).

* ويعرف أولمان المصاحبة المعجمية بأنها: ((الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة))، مثال ذلك ارتباط كلمة منصهر مع مجموعة الكلمات: حديد، نحاس، ذهب، فضة. (نقلاً عن: علم الدلالة، أحمد مختار عمر:٧٤)، أو((هو المعنى الذي يقدمه المعجم للأسماء والأفعال شرحاً لدلالتها مستفيداً من كل ما يتاح من وسائل لتحديد المعنى)). (مدخل إلى علم اللغة: ١٥٥)، هذا يعني أنه ليس الارتباط الاعتيادي بين الكلمات هو العلاقة الوحيدة الرابطة بينها وإنما هناك علاقات أخرى، كعلاقة التضاد، أوالتخالف، أوالتناقض، أوالتماثل، أوالتضايف، وغيرها كثير، وهذه العلاقات هي المرادة هنا. وهي ــ كما هو واضح ــ تدخل جميعها ضمن المستوى الظاهر للنص، أو ما يسمى بالسبك المعجمي. (ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٠٧-١٠٨).

** ((وهذه العلاقات الرابطة بين المفاهيم قد تكون واضحة ... [كالسببية] وقد تكون غير واضحة فتحتاج من القارئ جهداً في التفسير والتأويل واستخدام ما في مخزونه من معلومات عن العالم وغير ذلك، وهي علاقات لا=

والخصوص، وغيرها كثير. وما يؤديه هذان المعياران من شد لأجزاء النص بعلاقاته اللغوية والمنطقية[١].

ومن هنا توجهت الدراسة إلى التقابل بوصفه جزءاً من بنية النص، ومن ثُمّ أثره في استنطاق النص[٢]، من خلال علاقات التضاد والتخالف والتناقض، والتضايف، والتماثل، القائمة كلها على مبدأ التقابل[٣]، ومن خلال أثره في استكشاف العلاقات الاستمرارية الحضورية والغيابية التي تربط النص وتجعله متماسكاً. ثُمّ ما يدخل تحت هذه التقابلات من فنون البديع المعنوية، إذ إننا نستطيع أن نوسع المصطلح فندرج تحته هذه الفنون، لكننا قبل ذلك نعرض لبعض الدراسات التي وسعت مصطلح التقابل وأفاد منها البحث في إنضاج خطته، يطالعنا في ذلك الدكتور محمد عبد المطلب في كتابه (بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي)، إذ إنه حاول أن يؤسس لبلاغة جديدة قائمة على طابع الثنائية، فقال ما نصه: ((ولا يمكن الولوج إلى البحث البديعي دون مدخله الأساسي، وهو البحث البلاغي في جملته للكشف عن حركته الداخلية في إدراك العلاقات المختلفة بين عناصر التراكيب، وقد أدى عرض هذا الجانب إلى ملاحظة طابع الثنائية الذي كانت له السيطرة على مباحث البلاغة ... ومن اللافت أن هذا الطابع قد غطى مساحة العلوم البلاغية الثلاثة: البيان والمعاني والبديع، غير أن البديع من بينها قد انفرد بتجلياته الحداثية، إذ نظر دارسو الشعر خاصة إليه باعتباره أبرز مظاهر الحداثة في الصيغة الشعرية))[٤]. ثم يتناول هذه الثنائية في علوم البلاغة الثلاثة تحت عنوان (في فلسفة البلاغة)[٥].

تخضع للضبط والتحديد، وتعتمد اللسانيات النصية في الكشف عنها على إنجازات علم النفس المعرفي والمنطق وغير ذلك)).(ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية:١٤٢)

[١] ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٣، وإشكالات النص: ٢٢٣، ومدخل إلى علم اللغة النصي: ٩٣-٩٥، ولسانيات النص: ١٦-٢٥.

[٢] ينظر: التضاد في النقد الأدبي: ٢٤٨.

[٣] ينظر: مدخل إلى علم اللغة:١٦١-١٦٤.

[٤] بناء الأسلوب في شعر الحداثة: ٧.

[٥] ينظر: المصدر نفسه: ٢٥-٧٥.

وهذا العرض الجديد الذي جاء به الدكتور محمد عبد المطلب استطاع أن يفيد منه الدكتور محمد بازي فقدم فصلاً في كتابه (نظرية التأويل التقابلي) دعا فيه إلى تأسيس بلاغة حديثة أطلق عليها (بلاغة التأويل التقابلي) بعد أن لاحظ حضور البناء التقابلي سواء أكان ظاهراً أم خفياً في مباحث علوم البلاغة العربية (المعاني والبيان والبديع)، إذ قال: ((نسعى في هذا المسلك إلى تبيين أسرار بلاغة التقابل التي تضمنتها علوم البلاغة العربية القديمة ... معتمدين في مقترحنا على دراسة استكشافية للجهود البلاغية العربية القديمة، للتدليل على حضور هذا البناء التقابلي الظاهر والخفي، ثم تمكين المتلقي من الوقوف عليه بنفسه في أنماط نصية وخطابية أخرى وهذا جوهر منهجية التأويل التقابلي ... وهذا ما يستدعي اليوم التأسيس لتأويلية تقابلية تستمد بعض أسسها من الدراسات البلاغية، فتكون منطلقاً للقراء والمؤولين لفهم النصوص المبنية أصلاً على تقابلات ظاهرة وخفية))[1]، كالتقابل الخفي في البنيات التشبيهية، والبعد التقابلي في التمثيل، والتقابل الخفي في البنيات الاستعارية والمجازية، والمقابلة بين الحقيقة والاستعارة وتبيان الأبلغ، والتقابل في التشطير، والاستشهاد، والتعطف، والمضاعفة، والتلطف، والأخذ أو السرقات الشعرية أو ما يسمى اليوم بالمفهوم النقدي الحديث (التناص)، وظاهرتي المطابقة والمقابلة، والتقابل في التقسيم، والأرداف والتوابع، والكناية، والتعاكس، والالتفات، وتقابل السلب والإيجاب، والمجاورة، والاحتباك أو الحذف[2].

أي أن الباحث جعل علوم البلاغة العربية الثلاثة ــ المعاني والبيان والبديع ــ تحت مسمىً واحد هو (بلاغة التأويل التقابلي). وهي خطوة لها جذورها في تراثنا البلاغي، إذ كانت العلوم الثلاثة تدرس تحت مسمىً واحد هو علم البديع، كما جاء ذلك عن الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، وابن المعتز (ت: ٢٩٦هـ)، وقدامة بن جعفر (ت: ٣٢٧هـ)، وأبي هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، وابن سنان (ت: ٤٦٦هـ)[3]، قبل أن يستقر علما المعاني والبيان على يد السكاكي (ت: ٦٢٦هـ)

---

[1] نظرية التأويل التقابلي: ١٣٥-١٣٦.

[2] ينظر: المصدر نفسه.

[3] ينظر: البيان والتبيين، والبديع، ونقد الشعر، والصناعتين، وسر الفصاحة.

في كتابه (مفتاح العلوم)[١]، وعلم البديع على يد بدر الدين بن مالك (ت: ٦٨٦هـ) في كتابه (المصباح)[٢].

كما أن هذه الدراسة سبقتها دراسات عديدة في هذا العصر ارتأت أن تسمي البلاغة بعلومها الثلاثة بمسميات أخرى، فبعضهم أطلق عليها (فن القول)، ورأى آخرون أن تسمى (فن التأليف الأدبي) أو (فن الإنشاء) أو (علم الأساليب) أو (فن الأنواع الأدبية)[٣].

وحقيقة الأمر أن مسألة البناء التقابلي أشار إليها الدكتور محمد عبد المطلب أيضاً إذ قال في معرض حديثه عن طابع الثنائية المسيطر على مباحث البلاغة العربية: ((وكل النشاط البلاغي كان يعتمد على الانتماء المطلق لهذه الثنائية، وهو انتماء يحمل طابعاً مميزاً لفلسفة البلاغة وما فيها من تقابل ثنائي))[٤] .

ونجد إشارات ذلك عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) إذ يقول عند حديثه في فلسفة التمثيل: ((إذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب، وذلك أن موضع الاستحسان ومكان الاستظراف، والمثير للدفين من الارتياح، والمتآلف للنافر من المسرة، والمؤلف لأطراف البهجة، أنك ترى بها الشيئين مثلين متباينين، ومؤتلفين مختلفين، وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض، وفي خلقة الإنسان وخلال الروض))[٥]. وقال في موضع آخر إن التشبيه ((يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر بعد ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين

---

[١] مفتاح العلوم: ٣٤٣، ٥٥٥.
[٢] ينظر: المصباح: ١٥٩-٢٧٣.
[٣] ينظر: البحث البلاغي عند العرب: ٩.
[٤] بناء الأسلوب في شعر الحداثة:٢٦.
[٥] أسرار البلاغة: ١٣٠.

المُشئم والمُعرق ... ويريك التئام عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعتين، والماء والنار مجتمعين))[1]

إلا أن الدكتور محمد عبد المطلب أشار إلى خصوص ثنائية التقابل في علم البديع فيرى أن التقابل الثنائي يكاد يكون خالصاً في علم البديع، ولهذا درسه ضمن علاقات (التقابل والتخالف والتماثل) وجعل تحتها بعض الفنون البديعية، لأنه يرى أنها وإن كانت موحية بالانفصال لكن التأمل التحليلي يمكن أن يدرك الوحدة التي تجمع بينها وأثرها مجتمعة في إنتاج الدلالة[2].

وهذا ما سبقه إليه الإمام بدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) وصرح به ــ وإن لم يكن إجمالاً ــ فقد جعل (التقسيم) خاصاً بالتقابل، كما أنه أول من وسعه، أي: التقابل ــ وإن حصره غالباً بالفواصل ــ إذ قال: ((واعلم أن في تقابل المعاني باباً عظيماً يحتاج إلى فضل تأمل، وهو يتصل غالباً بالفواصل))[3]، ويورد قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾[4]، إذ يقول محللاً: ((فتقدم اقتران الوعد بالفقر والأمر بالفحشاء، ثم قوبل بشيء واحد هو الوعد فأوهم الإخلال بالثاني، وليس كذلك وإنما لما كان الفضل مقابلاً للفقر، والمغفرة مقابلة للأمر بالفحشاء، لأن الفحشاء توجب العقوبة، والمغفرة تقابل العقوبة، استغنى بذكر المقابل عن ذكر مقابله، لأن ذكر أحدهما ملزوم ذكر الآخر))[5]. وبتأمل عميق ونظرة فاحصة نجد أن الإمام الزركشي قد تخطى بلاغة الجملة والشاهد والمثال وانتقل إلى بلاغة النص بربطه الفاصلة بما قبلها، كما أنه أعطى التقابل قيمته الدلالية في إيضاح المعنى.

وهذا ماسبقنا إليه الدكتور حسين جمعة إذ قال: ((إذا كنا سنتحدث عن أشكال التقابل الجمالي فإننا نثمن للزركشي ملاحظاته الدقيقة في الحديث عن المقابلات الثنائية المتعارضة التي سبق بها

---

[1] المصدر نفسه: ١٣٢.

[2] ينظر: بناء الأسلوب في شعر الحداثة: ٧-٨، ٦٩، ١٠٨، ١٤٧-٣١٥.

[3] البرهان في علوم القرآن في علوم القرآن: ٢٨٣/٣.

[4] البقرة: ٢٦٨.

[5] البرهان في علوم القرآن في علوم القرآن: ٢٨٤/٣.

الغربيين والعرب المحدثين))[١]، ويقول في موضع آخر: إن تقابلاته فيها حقول دلالية متنوعة، وهي ليست قائمة على مجرد تصنيف البنى التقابلية إلى مجموعات دلالية كما يحدث في أيامنا، بل هي مرتبطة بالسياق والوظيفة والهدف[٢].

ومن جهة أخرى يرى الدكتور محمد عبد المطلب أن ((التطابق والتقابل يصبح عملية نمو فكري، فيأخذ أشكالاً مختلفة، منها ما يكون تتميماً أو تكميلاً، ومنها ما يكون إجمالاً أو تفصيلاً، أي أن التحول هنا يكون على مستوى عميق، يتبعه في الظاهر السطحي تقسيمات وتفريعات يمكن رصدها من خلال النماذج التطبيقية))[٣]. وهذا ما أفاد منه الدكتور محمد بازي في دراسته التطبيقية إذ قال: ((إن الخطابات تنتج أصلاً بكيفية متقابلة، عن طريق عرض الأشياء على ما يقابلها، أو يماثلها، أو يضادها، أو يجاورها، أو يتممها، أو يشرحها، أو غير ذلك))[٤].

وهكذا تتوالى الدراسات[٥] التي تناولت مفهوم التقابل كأداة قرائية إجرائية تربوية تعليمية في قراءة النصوص وتحليل الخطابات الدينية، أو الأدبية، أو الفكرية، أو الفلسفية، لتخرج بعد ذلك بتقابلات عديدة تكاد تكون لا نهاية لها في النص المدروس، كما نلاحظ ذلك في تطبيقات الدكتور محمد بازي[٦]، وهذا ما عناه الدكتور صلاح فضل بعدم قصر عملية الاتصال في النص على الترسيمة الكلاسيكية البسيطة التي اعتمدتها الألسنية وهي(الباث والقناة والمتلقي)، إلا أن يعتمد على ما ورائية الفاعل لكون النص الفضاء الذي يتصل فيه صاحب النص وقارئه[٧].

---

[١] التقابل الجمالي في النص القرآني: ٧٧.

[٢] ينظر: المصدر نفسه.

[٣] بناء الأسلوب في شعر الحداثة: ١٠٨.

[٤] تقابلات النص وبلاغة الخطاب نحو تأويل تقابلي: ١٠.

[٥] ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد، والتناسب البياني في القرآن الكريم، د. أحمد أبو زيد، والتقابل الجمالي في النص القرآني، د.حسين جمعة، والتقابل والتماثل في القرآن الكريم، د. فايز عارف القرعان، وتقابلات النص وبلاغة الخطاب نحو تأويل تقابلي، د. محمد بازي.

[٦] ينظر: تقابلات النص وبلاغة الخطاب نحو تأويل تقابلي:١٧٢-١٧٦.

[٧] ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢١٣.

وبما أن ((مفهوم البديع وما يندرج تحته من أصول عند الخطيب القزويني هو ما شاع واستقر في الدرس البديعي إلى يومنا هذا))[١]، لذا ستكون هذه الأصول هي المعتمدة في دراستنا، ولكن على مستوى بعض المحسنات المعنوية فقط.

ومسألة وضع فنون البديع المعنوية ضمن هذه التقابلات ليست وليدة الصدفة ولا بكراً من نوعها، فقد سبقتها دراسات ثلاث[٢]، فضلاً عن دراسة الدكتور محمد عبد المطلب السابقة الذكر[٣]. وبما أن النص ((قد يتجسد في أقل من جملة، كما هي الحال في التنبيهات والعناوين والإعلانات، التي تتكون ــ غالباً ــ من مجرد حرف واسم، مثل (للبيع) أو (لا تدخين) وما إلى ذلك. وبالمثل لا يوجد حد أعلى لطول النص فقد يكون كتاباً كاملاً، كما هي الحال ــ مثلاً ــ في الرواية والمسرحية))[٤]، أي بما أنه لا يوجد قيد لطول النص أو قصره دخلت العبارات القصيرة* لأمير المؤمنين(عليه السلام) ضمن حدود النص، لأنها ((تتراوح في مقياسها الكميّ بين الجمل التي لا تتجاوز السطر الواحد أو الكلمات المحدودة وهو الغالب فيها، وبين العبارات التي تتجاوز من حيث الكم ثلاثة أو أربعة أسطر))[٥]. وبتوزيع بعض فنون البديع المعنوية على هذه التقابلات بحسب علاقاتها تتكون لدينا الخطة الآتية:

أولاً: تقابل المتضادين: ويدخل فيه:

١- الطباق الحقيقي.

٢- الطباق المجازي.

٣- إيهام التضاد.

---

[١] البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ٢٥.

[٢] فإذا قصرت الدراسة الأولى تطبيقاتها على علم البديع فإن الدراسة الثانية عممته على علوم البلاغة جميعها(المعاني والبيان والبديع)، أما الثالثة فلم تستوعب مباحث علم البديع جميعها. (ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية:٣١-١٤٣، والتقابل الجمالي في النص القرآني:١٤٣-٢١٦، وأساليب البديع في نهج البلاغة، اطروحة دكتوراه:٤٣-٢٢٠).

[٣] تراجع صفحة: ٢٧.

[٤] البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ٦٨-٦٩.

* على أن الدراسة استبعدت العبارات الطويلة في نهج البلاغة ــ إلا ما ندر لضرورة الاستشهاد ــ لخروجها عمّا تريد الدراسة أن تثبته، وهو قصر الكلام ونصيته.

[٥] قصار حكم الإمام علي بن أبي طالب (ع)، رسالة ماجستير: ٢٠.

ثانياً: تقابل المتماثلين: ويتضمن:

١- المشاكلة.

٢- العكس والتبديل.

٣- مراعاة النظير.

٤- تشابه الأطراف.

٥- التفويف.

ثالثاً: تقابل المتناقضين: ويتناول:

١- طباق السلب والإيجاب.

٢- الرجوع.

رابعاً: تقابل المتضايفين.

خامساً: تقابل المتخالفين: وفيه:

١- الطباق المعنوي.

٢- الطباق الخفي.

وبعد أن خرج التقابل عن التقسيمات البديعية كأسلوب مستقل استطاع أن يكون منهجاً وأداة قرائية إجرائية لدراسة النصوص بكل أنواعها، يمكن للدراسة الآن أن تطبقه على حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) ومواعظه في نهج البلاغة.

وقد حقق التقابل بأنواعه جميعاً حضوراً متميزاً، وهيمنةً أسلوبية في حكم أمير المؤمنين(عليه السلام) ومواعظه، وهذا مما لا غرابة فيه فالتقابل من أكثر الصيغ شيوعاً، ومن أكثر السياقات انتشاراً في الخطاب الأدبي، بل يمكن القول إنه لا يخلو نص أدبي من السياق الذي يوظف فيه التقابل لإنتاج الدلالة[1]. وهذا ما أثبته الدكتور صبحي الصالح عند شرحه لنهج البلاغة واصفاً

[1] ينظر: بناء الأسلوب في شعر الحداثة: ٨-٩.

حكمه بقوله: ((... وحكمه عميقة من غير تعقيد ... ويزيّنها تقابل الألفاظ))[1]. وبعد هذا العرض النظري لمصطلحي التقابل والطباق يمكننا أن نقسم هذه التقابلات على الآتي:

تقابل المتضادين.
تقابل المتماثلين.
تقابل المتناقضين والمتضايفين*.
تقابل المتخالفين.

وهذ التقابلات أو العلاقات أو المصاحبات المعجمية تولد حركة ذهنية نشطة منتظمة تتمثل في الانتقال بين أجزاء النص، فلا تكتمل فاعليتها إلا وهي داخل السياق، إذ لابد من مراعاة تموضعها ومكانها في النظم، حتى يصبح بالإمكان إدراك حركاتها المتكاملة والفاعلة في النص[2].

---

[1] نهج البلاغة، صبحي الصالح: ١٦.

* من أسباب الضمنية بين موضوعي تقابل التناقض وتقابل التضايف، أو من أسباب دمجهما، هو اشتراكهما في عدم وجود الضدية بين ألفاظهما أولاً. ولدراسة تقابل التضايف ضمن تقابل التخالف عند الدكتور محمد عبد المطلب ثانياً. (ينظر: بناء الأسلوب في شعر الحداثة: ٢٤٣)، لذا يمكن أن تدخله الدراسة ضمن تقابل النقيضين بدلاً من تقابل الخلافيين. ولقلة الشواهد عليهما، أي على تقابل التناقض وتقابل التضايف ثالثاً.

[2] ينظر: الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي: ٢٩٥.

تقابل المتضادين

الضد في اللغة: ((ضد الشيء، والمتضادان: الشيئان لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد، كالليل والنهار))[١].

أمَّا في الاصطلاح: فيرد قول أبي الطيب اللغوي (ت: ٣٥١هـ) الذي أوردناه سابقاً في تعريفه للتضاد أو العلاقة الضدية بين الألفاظ المتقابلة بقوله: ((الأضداد: جمع ضد، وضد كل شيء: ما نافاه، نحو: البياض والسواد، السخاء والبخل، والشجاعة والجبن))[٢]. وهذا ما يسمى بـ (تقابل المتضادين).

وهو نوع من أنواع العلاقات بين المعاني بل إنه أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى، فمجرد ذكر معنى اللفظ يتداعى إلى الذهن ضد هذا المعنى، فذكر البياض مثلاً يستحضر إلى الذهن ضده وهو السواد، فعلاقة الضدية من أوضح العلاقات في تداعي المعاني[٣]، أي التداعي الغيابي، وله وقع في النفس الإنسانية، وأثره في النفس متأتٍ من أن المقابلة الضدية سريعة التخاطر في الأذهان تُحدث مقابلة نفسية تدفع المتلقي إلى تقبل هذه الهزة المباغتة للأشياء المتضادة في تفكيره ومحصلته اللغوية، التي ينتج عنها هذا الإعجاب والارتياح الجمالي لذلك الأثر[٤].

وهذا ما أشار إليه حازم القرطاجني السابق الذكر، إذ يرى في تقابل الألفاظ بأية علاقة من العلاقات ولا سيّما علاقة التضاد أمكن للنفس موقعاً وأشد تحريكاً لها[٥].

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٥٧٤، مادة (ض.د.د).

(٢) الأضداد في كلام العرب: ٣٣.

(٣) ينظر: علم الدلالة (النظرية والتطبيق): ٢٩٠، وفصول في فقه العربية: ٢٩٣.

(٤) ينظر: المذهب البديعي في الشعر والنقد: ٣٨٠، والبلاغة العربية أُسسها وعلومها وفنونها: ٨٦/١-٨٧.

(٥) ينظر: منهاج البلغاء: ٤١.

وقد لا يكون الباعث الأريحية والإعجاب وإنما التقزز والنفور. والحس الذواق للجمال يتحكم بإدراك التناسق أو التنافر في الصورة التي تجمع بين المتضادات، إذ ليس كل جمع بين المتضادات يُحدث هذا الارتياح النفسي[١].

وتقابل المتضادين((لم يعد ظاهرة فنية بلاغية وجمالية تستند إلى اقتران المتضادات اقتراناً جدلياً بل صار نسقاً بلاغياً جمالياً يمتاز بالتناغم الإيقاعي لبنية الألفاظ وأصواتها في صميم ترتيب نظامها، ما يجعله محبباً إلى النفس ومحركاً للإحساس الجميل))[٢].

وتقابل المتضادين على ثلاثة أنواع، وهي ستكون مباحث هذا الفصل، وهذه المباحث أو الأنواع هي:

المبحث الأول: تقابل الأضداد الحقيقية.

المبحث الثاني: تقابل الأضداد المجازية.

المبحث الثالث: إيهام التضاد، وهو الذي يكون أحد ألفاظه حقيقة والآخر مجاز.

---

[١] ينظر: البلاغة العربية أُسسها وعلومها وفنونها: ٨٧/١.

[٢] التقابل الجمالي في النص القرآني:١٦١.

المبحث الأول: تقابل الأضداد الحقيقية:

الحقيقة في اللغة: جاء عن ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) قوله: ((الحاء والقاف أصل واحد، وهو يدل على إحكام الشيء وصحته))[١] ، و((الحقيقة ضد المجاز))[٢] ، وهذا المعنى الأخير يقودنا إلى القول في المجاز لغةً، وذلك لأن من أشار إليهما ــ أي الحقيقة والمجاز ــ اصطلاحاً فقد ضمنهما في تعريف واحد، لذا يضمنهما البحث هنا أيضاً.

والمجاز لغةً: هو الطريق والمسلك، من جازَ الموضع جَوْزاً وجَوازاً ومَجَازاً: سلكه وسار فيه وخلفه وقطعه، والمُجْتاز: السالك[٣].

أمَّا في الاصطلاح: فالحديث عنهما تناوله اللغويون والبلاغيون والأصوليون، كلٌ من وجهة نظره الخاصة. ويمثل ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) اللغويين، إذ قال مفرقاً بينهما: ((الحقيقة ما أُقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة. والمجاز ما كان بضد ذلك))[٤]. وما يهم اللغوي منهما هو ((كيفية انتقال الألفاظ من الحقيقة إلى المجاز، وما ينتج عن هذا الانتقال من ظواهر دلالية))[٥].

ويمثل البلاغيين ابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ)، إذ عرفهما بقوله: ((فأما الحقيقة فهي اللفظ الدال على موضوعه الأصلي. وأما المجاز فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة))[٦]، وهدفه ــ أي البلاغي بصورة عامة ــ من ذلك هو ((الكشف عن العلاقة الرابطة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي البعيد))[٧]. وقد عدّ البلاغيون المجاز باباً من أبواب الاتساع في اللغة، إذ يرى ابن الأثير أن العدول إلى المجاز إنما هو طلباً للاتساع في الكلام[٨]، وقد سبقه إلى هذا المعنى

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٢٢٧، مادة (ح.ق.ق).
(٢) القاموس المحيط: ٨٠٦، المادة نفسها.
(٣) ينظر: أساس البلاغة: ١٥٥/١، والقاموس المحيط: ٤٧٠، مادة (ج.و.ز).
(٤) الخصائص: ٤٤٢/٢.
(٥) الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى: ٩٥.
(٦) المثل السائر: ١٠٥/١.
(٧) الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى: ٩٥.
(٨) ينظر: المثل السائر: ١٠٦/١.

الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) حتى أنه ــ مع ذكره لأثره في اتساع اللغة ــ عدّه من مفاخر العرب إذ قال: ((وهذا الباب هو مفخر العرب في لغتهم وبأشباهه اتسعت))[١]. وهذا ما يعرف في الدراسات الحديثة اليوم بالانزياح، فالباثّ لا يأتي بالمجاز لضيق في الحقيقة وإنما للخروج على سيادة الأنماط المألوفة والتحرر منها[٢].

أما من الأصوليين فيطالعنا السيد الشريف المرتضى (ت: ٤٣٦هـ)، إذ يقول فيهما: ((اللفظ الموصوف بأنه حقيقة هو ما أُربد به ما وضع ذلك اللفظ لإفادته، إما في اللغة، أوعرف، أوشرع. ومتى تأملت ما حُدّت* به الحقيقة وجدت ما ذكرناه أسلم وأبعد من القدح. وحدّ المجاز: هو اللفظ الذي أُريد به ما لم يوضع لإفادته في لغة، أوعرف، أوشرع))[٣].

ومسألة تقسيم الحقيقة إلى هذه التقسيمات أشار إليها السكاكي (ت: ٦٢٦هـ) بقوله: ((فقلت لغوية: إن كان صاحب وضعها واضع اللغة، وقلت شرعية: إن كان صاحب وضعها الشارع، ومتى لم يتعين قلت: عرفية))[٤]. أما الغرض من دراستهم للحقيقة والمجاز فهو((الوصول إلى تأصيل الاستعمال الحقيقي والمجازي للألفاظ في تراكيبها المختلفة لاستنباط الأحكام الشرعية منها، والنظر في مدى ثبوت الحقائق الثلاث، اللغوية، والعرفية، والشرعية))[٥] .

هذا يعني أن الحقيقة على أنواع هي (اللغوية، والعرفية، والشرعية) وبما أنه ستكون دراستها ضمن موضوع تقابل الأضداد لذا سنسميها على التوالي: الأضداد اللغوية، والأضداد الشرعية، والأضداد العرفية، ثم دورها في سبك النص(العلاقات الحضورية) وحبكه (العلاقات الغيابية).

---

[١] الحيوان:٥/٤٢٥.

[٢] ينظر: الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب: ١١٦-١١٩.

* المراد: حُدّت من الحدود جمع حد، وهو التعريف.

[٣] الذريعة إلى أصول الشريعة: ١/١٠.

[٤] مفتاح العلوم: ٥٨٩.

[٥] منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: ١٣٠ -١٣١.

١- **الأضداد اللغوية:** أي الأضداد الدالة في أصل اللغة على ما فهم منه العلم بالوضع، ذلك أن الدلالة اللغوية ((عند أهل العربية والأصول كون اللفظ بحيث إذا أُطلق فهم منه العلم بالوضع))[١].

ومثاله **قوله عليه السلام: (مَن رضيَ عن نفسهِ كثُر الساخطُ عليهِ)**[٢]. نلاحظ هنا أن (رضي) ضد (الساخط)[٣] حسب المصاحبة المعجمية، إلا أن هناك علاقة غيابية في النص ربطت بينهما وحبكتهما معاً هي علاقة (السببية)، أي أن الرضى عن النفس سبب للسخط، والسخط نتيجة للرضى عن النفس. أكد هذه العلاقة الربط السياقي السببي بأسلوب الشرط، إذ (رضي) واقع مسنداً، أي فعلاً للشرط، و(الساخط) مسنداً اليه في جملة جواب الشرط، لأن ((معنى الشرط: وقوع الشيء لوقوع غيره))[٤] وقد ارتبطا بالأداة الشرطية (مَن) مع عدم اقترانها بالفاء، وذلك ((لأنهما مع مناسبتهما لفظاً للشرط تعلقا بكلمة الشرط معنوياً، وذلك بانقلابهما إلى المستقبل بكلمة الشرط فلم يحتاجا إذن إلى العلامة))[٥]، وبذلك جمع بين ضدين متنافرين على مستوى الدلالة المعجمية من خلال العلاقة الركنية بين فعل الشرط وجوابه، ليعطي صورة اجتماعية خطيرة على الفرد والمجتمع، إذ (الساخط) حُكْم وحاكم على (الراضي)، ومن هنا يبدأ الصراع. ثُمَّ أن الإحالة بالضمير المستتر (هو) في (رضي) إحالة بعدية إلى الضمير الظاهر (الهاء) في (عليه)، المتعلق بالضد الثاني (الساخط) أثرها في ترابط النص، فضلاً عن تماسكه بالعلاقة الغيابية.

فضلاً عن ذلك فإن مجيء (رضي، والساخط) من الرصيد المعجمي ببنيتين مختلفتين تعطي دلالات أفضل من مجيئهما بالبنية أو الصيغة نفسها، فالاسم يفيد ثبوت المعنى، والفعل يفيد تجدد المعنى وحدوثه[٦]. وهذا يعني حركة الأول وثبوت الثاني، ذلك أن الراضي عن نفسه يكون بطرائق

---

[١] كشاف اصطلاحات الفنون: ٢/٢٨٨.
[٢] نهج البلاغة: ٤٨٧، حكمة: ٣.
[٣] ينظر: القاموس المحيط: ١١٨٤، مادة (ر.ض.ى).
[٤] المقتضب: ٢/٤٥.
[٥] شرح الرضي على الكافية: ٤/١١١-١١٢.
[٦] ينظر: دلائل الإعجاز: ١٧٤.

مختلفة فقد يرضى عن أخلاقه وسلوكه[١]، أو عن علمه وتفوقه[٢]، أو عن سلطانه ومكانته، وإلى غيرها من هذه الأمور، إلا أن الساخط في كل ذلك هو هو لا يتغير. وهنا نلاحظ دقة اختيار هذه البنية التي أسهمت في إثراء النص بهذه المستبطنات الغيابية.

ومثله **قوله عليه السلام: (مَن ضيعهُ الأقربُ أُتيحَ لهُ الأبعدُ)**[٣]. فالأضداد اللغوية هنا هي (الأقرب والأبعد)[٤]، والعلاقة الغيابية بينهما هي (المفاضلة). وفي هذه الحكمة توضيح شديد للطف الإلهي، ذلك أنه متى تخلى عنه أقرب الأقربين تكفل برعايته ونصرته أبعد الأبعدين ممن لا يخطر على باله نصرته له. وهذا ما لا نجده إذا ما استبدلنا بنية (أفْعَل) التفضيل بالصفة المشبهة مثلاً على وزن (فَعيل)، أي (قريب وبعيد)، فوفقاً للمستوى الغيابي يجوز وقوعهما منهما، لأن هذا الوصف يبنى من (فَعُل) المضموم العين الدال على التحول في الصفات مثل: بَلُغ، وخَطُب، وفَقُه[٥]، فيكون بناء الوصف (قريب وبعيد) من (قَرُب وبَعُد)، إلا أن دلالة الصفة المشبهة على الثبوت على وجه الاستمرار واللزوم[٦] لا يخدم النص كما خدمه (أفعَل) التفضيل بدلالته على المشاركة والزيادة[٧]، وهذا ما تكفل بتوضيحه النص العلوي مما يعجز القلم عن توضيحه، هذا على مستوى العلاقات الغيابية. أما على مستوى العلاقات الحضورية فقد تأكدت علاقة المفاضلة الغيابية بصيغة التفضيل بـــ(أل) فهي أعلى وأعم درجات المفاضلة من المجردة منه، أي أنها تستلزم أن يكون الموصوف بها في أعلى درجات المفاضلة[٨]، كما أن الإحالة بضمير (الهاء) في (ضيعه) الإحالة فيه بعدية إلى (الأقرب)، وكذلك الحال في الضمير نفسه في (له) إحالته بعدية إلى (الأبعد)، فضلاً عن ربط النص بأسلوب الشرط ربطاً لفظياً سببياً بالأداة (مَن)، لما فيه من جمع بين المتنافرين (الأقرب، والأبعد)

---

[١] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٥/٢٩٩-٣٠٠.
[٢] ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ١٨/٧٩.
[٣] نهج البلاغة: ٤٨٨، حكمة: ١٠.
[٤] ينظر: القاموس المحيط: ٢٥٧، مادة (ب.ع.د).
[٥] ينظر: معاني الأبنية في العربية:٩٤.
[٦] ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣/٤٣١.
[٧] ينظر: شرح الحدود النحوية: ٩٣.
[٨] ينظر: معاني النحو: ٤/٢٧٤.

بعلاقة السببية، إذ جواب الشرط متوقف على فعله، مما زاد ذلك من تماسك النص وارتباطه بعضه ببعض.

ومن تقابل الضدين اللغويين **قوله (عليه السلام): (خذلوا الحقَ ولم ينصروا الباطلَ)**[1]، ولعل القراءة الأولى في هذا النص توحي بأن الأضداد هنا متقابلة، أي أن قوله (خذلوا الحق) تقابل (لم ينصروا الباطل)، إلا أن القراءة الثانية تبين عكس ذلك، إذ وفق المصاحبة المعجمية التي جمعت اللفظين (الحق والباطل) بعلاقة ضدية[2]، فإن هذا النص قد خرق هذه العلاقة في قوله (خذلوا، ولم ينصروا)، وذلك من خلال العلاقة السياقية فأنتج فئة ثالثة غير فئتي الحق والباطل، بل هي ضد الاثنين[3]، إذ فيهما إشارة إلى الذين خذلوا الإمام علي(عليه السلام) في معركة صفين ولم ينصروا معاوية[4]،وهذا يعني أن في النص إحالة خارجية (مقامية) تحيل إلى الذين لم ينصروا الإمام(عليه السلام)، ومن ثُمَّ فإن (لم ينصروا) ليست تضاداً مع (خذلوا) وهنا تبرز عبقرية الإمام علي (عليه السلام) في كيفية استعمال إمكانياته الخاصة فأخرجهما عن العلاقة الضدية*، أو بمعنى أدق أخرجهما عن معناهما المعجمي من خلال أداة النفي (لم)، ولهذا ربط بينهما بالواو، أي ربطاً لفظياً، لما في ذلك من دلالة على الجمع بين الأمرين أو الموقفين، وهذا يعني أن العلاقة الغيابية المنطقية بينهما هي (المفارقة) بين الموقفين، لأن الذي يخذل الحق كيف لا ينصر الباطل.

أما على مستوى العلاقات الاستمرارية الغيابية، فإن اختيار الأداة (لم) دون الأداة (ما) على الرغم من دلالة الاثنين على النفي، فذلك لدلالة غاية في الدقة، ذلك أنَّ الأداة (لم) إذا دخلت على الفعل المضارع قلبته للماضي[5]، والأداة (ما) ((إذا دخلت على المضارع خلصته للحال عند

---

(1) نهج البلاغة: ٤٨٩، حكمة: ١٤.

(2) ينظر: القاموس المحيط:٨٠٧، مادة (ح.ق.ق).

(3) ينظر: أساليب البديع في نهج البلاغة، اطروحة دكتوراه: ١٠٦.

(4) ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ٩٣/١٨، وشرح ميثم البحراني: ٣٠٦/٥.

* ذلك أن نصر ضد خذل. ينظر: أساس البلاغة: ٢٣٥/١، مادة (خ.ذ.ل).

(5) ينظر: المغني: ٢٧٥.

الأكثر))[1]، هذا يعني أن نفي النصرة بـــ(لم) في الماضي فقط لا يمنع النصرة في الحال أو الاستقبال، أو بمعنى أدق: قد تقع منهم النصرة للباطل. أما نفي النصرة بـــ(ما) في الحال فقد يمتد إلى المستقبل وعندها تُعكس المسألة، أي أنهم لا ينصرون الباطل في كل زمان، وهذا ما لم يرده الإمام (عليه السلام) لعلمه بوقوع النصرة للباطل ممن خذلوه في الحق. وهذا ما أكده (عليه السلام) في موطن آخر، إذ يشير إلى عدم خذلان الباطل[2] **بقوله (لم ينصرا الحق، ولم يخذلا الباطل)**[3]. وهذا هو ما وراء الجمل، أو استنطاق النص.

إلا أننا نلاحظ في هذا النص أنه لم يقع خرق للمصاحبة المعجمية بين (لم ينصرا الحق) و (لم يخذلا الباطل) كما حدث في النص السابق. ذلك أن عدم نصرة الحق: خذلان الحق، وعدم خذلان الباطل يعني: نصرة الباطل. وعليه يكون معنى النص: (خذلا الحق ونصرا الباطل) وهذا يعني أن النص حافظ على المصاحبة المعجمية بوصفهما ضدين من خلال العلاقة المنطقية للنص، وهي التعاكسية الإبدالية.

وعوداً على النص السابق، وهو قوله (عليه السلام): (خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل) وعلى مستوى العلاقات السياقية فلو أبدلنا في الكلام من باب تغيير الاقتران الدلالي وقلنا: إنّ (لم ينصروا الحق وخذلوا الباطل) يعطي المعنى نفسه، إلا أن التمعن فيهما يبين أنه وإن كان عدم النصرة يناسب الحق فإن الخذلان لا يناسب الباطل، لأن الباطل من البديهي أن يكون مخذولاً، ولهذا نفى الخذلان من النص الثاني فقال: (لم ينصرا الحق ولم يخذلا الباطل). وإذا قلنا ــ تجوزاً ــ إن تغيير الاقتران الدلالي في لفظي (الحق والباطل) جائز في النص الأول فهنا، أي في هذا النص لا يجوز لفساد المعنى والتباسه، لأنه عندها سيكون النص: (لم يخذلا الحق ولم ينصرا الباطل)، وعدم خذلان الحق معناه نصرته.

---

[1] الجنى الداني:٣٣٠، و ينظر: المغني:٢٩٩.
[2] ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ١٢٠/١٩.
[3] نهج البلاغة: ٥٣٤، حكمة: ٢٥٣.

ومن تقابل الضدين في أصل اللغة **قوله (عليه السلام): (الصبرُ صبران: صبرٌ على ما تكرهُ، وصبرٌ عمّا تحبُ)**[1]، فالكره والحب ضدان[2]، جاءا في سياق جملة فعلية صلة للموصول الاسمي (ما)، وفي الاسم الموصول (ما) سبك نحوي ربط النص بعضه ببعض بإحالته البعدية إلى الضمير المتصل (الهاء) في (تكره)، وإلى الضمير المستتر (هو) في (تحب). و(ما) جاء في الجملة الأولى مجروراً بحرف الجر (على)، وجاء في الجملة الثانية مجروراً بحرف الجر (عن)، والتقدير: (صبر على الذي تكره، وصبر عن الذي تحب) ففصل بين (ما وعلى)، و((على، لاستعلاء الشيء))[3]، وأدغم بين (ما وعن)، وعن تفيد المجاوزة والبعد[4].

وفي هذا الإدغام دلالة متعلقة بالضدين لكونهما صلة للموصول، ولدلالة تعلق الضدين بالنفس الإنسانية، فالمكروه من الأمور التي لا تميل إليه النفس بطبيعتها، وتجتهد في الابتعاد عنه بحكم قوته الاستعلائية القهرية، فناسب ذلك أن يفصل بين (ما، وعلى). أما المحبوب فهو من الأمور التي جبلت النفس الإنسانية على حبه، فهي تجتهد للحصول عليه والاتصال به، فوافق أن يدغم بين (عن، وما)، والدليل على ذلك ما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه لهذه الحكمة إذ يقول: ((النوع الأول أشق من النوع الثاني، لأن الأول صبر على مضرة نازلة، والثاني صبر على محبوب متوقع لم يحصل))[5]. وهنا أيضاً تبرز عبقرية الإمام علي (عليه السلام) إذ جمع بين ضدين متنافرين في حكم واحد هو الصبر، بسبب كمال الاتصال* بينهما، لتنزيلها مع ما قبلها منزلة الشيء الواحد، والشيء لا يعطف على نفسه، لأنهما بدل كل من كل** لقوله (الصبر صبران)، فالجملتان تفسير بعد إبهام،

---

(1) نهج البلاغة: ٤٩٥، حكمة: ٥٠.

(2) ينظر: مختار الصحاح: ٢٧٧، مادة (ك.ر.ه).

(3) حروف المعاني: ٦٥، وينظر: شرح المفصل: ٤/٤٩٦-٤٩٧.

(4) ينظر: شرح المفصل: ٤/٤٩٩-٥٠٠، والمغني: ١٥٤.

(5) شرح ابن أبي الحديد: ١٨/١٥٠.

* ومعناه: ((أن يكون بين الجملتين اتحاد تام، كأن تكون الجملة الثانية توكيداً للأولى، أو بدلاً منها، أو بياناً لها، فلا يصح عندئذ العطف (الوصل)، وذلك لتنزيلها مع ما قبلها منزلة الشيء الواحد، والشيء لا يجوز عطفه على نفسه)). (أساليب المعاني في القرآن: ٢٠٥).

** البدل: هو التابع المقصود بالحكم بلا واسطة، وهو أقسام: بدل كل من كل بأن اتحدا معنى،وبدل بعض من كل=

وفي ذلك وقع وتأثير في النفس البشرية لا يتحصل إلا بهما، جاء في شرح الرضي على الكافية: ((أن الفائدة في ذكرهما معاً [أي البدل والمبدل منه] هي التفسير بعد الإبهام مع أنه ليس في الأول فائدة ليست في الثاني، وذلك لأن للإبهام أولاً ثم التفسير ثانياً وقعاً وتأثيراً في النفس))[1]. هذا يعني أن الصبر كما يكون علاجاً للنفس على وقوع المكروه فهو نفسه يكون علاجاً للنفس على خسارة المحبوب. هذا يدل على أن العلاقة التي حبكتهما معاً هي (المساواة)، أو بمعنى أدق المساواة في الصبر. كما أن في الربط بالتبعية (البدل) يعد ربطاً معنوياً للنص من جهة، ومن جهة أخرى يعد أيضاً سبكاً معجمياً بالتكرار، لأن التفسير تكرار للإبهام ولكن مع تفسيره، كل ذلك جعل النص مترابطاً.

ومثله **قوله** (عليه السلام): **(هلكَ فيَّ رجلانِ: محبٌّ غالٍ، ومبغضٌ قالٍ)**[2]. فالأضداد الحقيقية الواردة هنا هي (محب ومبغض)[3]، ففضلاً عن السبك المعجمي الذي جمع بينهما بعلاقة ضدية على مستوى ظاهر النص، نجد العلاقة المنطقية التي ربطت بينهما على المستوى الغيابي هي (المساواة) أيضاً، بدليل النتيجة الواحدة التي يصل إليها الاثنان، وهي (الهلاك).

يؤكد هذه العلاقة على المستوى الحضوري كمال الاتصال بين قوله: (هلك فيّ رجلان) وقوله: (محب غالٍ ومبغض قالٍ)، حيث تتنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها، فهي بدل كل من كل، فالجملة تفسير بعد إبهام وبيان بعد إجمال، وهو سبك معجمي بالتكرار، لأن التفسير أو البيان هو تكرار للإبهام أو الإجمال، ولكن مع تفسيره وتوضيحه، هذا أولاً، وثانياً: الإضافة في (غالٍ وقالٍ) ودلالة الأول على شدة الحب، ودلالة الثاني على شدة البغض، فالاثنان في أصل اللغة فيهما

إن دلّ على بعض ما دلّ عليه الأول، وبدل اشتمال إن دلّ على معنى في الأول أو استلزمه فيه. (ينظر: الهمع: ٢١٢/٥).

[1] ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣٨٠/٢-٣٨١.

[2] نهج البلاغة: ٥٠٦، حكمة: ١١١.

[3] ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ١٣٦، مادة (ب.غ.ض).

تجاوزٌ للحد[١]، وهذا أيضاً دلالة على تساويهما في الكمية أو المقدار، فضلاً عن الربط اللفظي بينهما بالواو، إذ جمعت بين المتضادين في الشدة، وفي ذلك دوره في ترابط النص.

أما على مستوى الغياب فإذا ما قلنا إن المبغض للإمام (عليه السلام) هالك، فما بال المحب؟! نستطيع أن نصل إلى نتيجة مفادها: بما أن المبغض ينحرف به بغضه عن جادة الحق إلى الباطل، فكذلك المحب المفرط ينحرف به حبه عن جادة الحق إلى الباطل. وهذا ما أشار إليه الإمام (عليه السلام) بدقة أكثر في خطبته إذ قال: (وسيهلك فيّ صنفان: محب مفرط يذهب به الحق إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق)[٢]، وغير الحق هو الباطل، وهنا يلاحظ البحث كيف استدعى النص لعناصر غائبة استحضرها المتلقي بذهنه، واستطاع من خلالها أن يتبّين اتجاه الضدين، فالضدان هنا اشتركا في وجهتيهما وهي (الباطل)، فضلاً عن مساواتهما في (الهلاك).

٢- **الأضداد الشرعية:** وتأتي من الدلالة الشرعية، وهذه ظهرت بعد نزول القرآن الكريم، كدلالة لفظي الصلاة والصيام، فمعناهما اللغويان الدعاء والإمساك ثم زادت الشريعة شرائطَ وأوصافاً فخصصت دلالتيهما في الإسلام بالمعاني المعروفة[٣]. وهذه الدلالات الجديدة للألفاظ تعد باباً من أبواب التجوز في حياة اللغة بعد الإسلام، وهذا التجوز يؤكد لنا الأثر الإسلامي الحي في اللغة العربية ودلالاتها[٤]. فهي إذن اتساع في اللغة، أو كما يسميها البعض دلالة انحرافية[٥]، وهي نوع من تخصيص الدلالة[٦].

---

[١] ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٦١٣، ٦٨٣، مادة (غ.ل.ا)، ومادة (ق.ل.ى).
[٢] نهج البلاغة: ١٨٤، خطبة: ١٢٧.
[٣] ينظر: الصاحبي: ٨٣-٨٦.
[٤] ينظر: دراسات في القران الكريم: ٣٦.
[٥] ينظر: ظواهر أسلوبية في الشعر الحديث في اليمن: ٧٥.
[٦] ينظر: دلالة الألفاظ: ١٥٢-١٥٤.

ومن الأضداد الشرعية الواردة في نهج البلاغة قوله (عليه السلام): **(لو ضربتُ خيشومَ* المؤمنِ بسيفي هذا على أنْ يبغضني ما أبغضني، ولو صببتُ الدنيا بجماتها** على المنافق على أنْ يحبني ما أحبني، وذلك أنّهُ قُضيَ فانقضى على لسانِ النبي الأُميّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (لا يبغضكَ مؤمنٌ ولا يحبكَ منافقٌ)**[1])[2]. ففي هذا النص تظافرت الأضداد الحقيقية المعجمية (حب وبغض)[3] مع الأضداد الحقيقية الشرعية (المؤمن والمنافق) ــ كما سيثبت البحث ــ في رسم صورة نوعين من الناس فهم إما محب له (عليه السلام) أو مبغض، فالأول هو المؤمن والثاني هو المنافق.

والمؤمن في اللغة من الأمن وهو التصديق[4] ثم ((استعمل اسماً للشريعة التي جاء بها النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ... ويوصف به كل من دخل في شريعته مقراً بالله ونبوته))[5]. فهو إذن خصص بهذا المعنى وباق عليه شرعاً. أما المنافق فهو في اللغة من (نفق) الدال على إخفاء الشيء وإغماضه، ومنه اشتق النفاق، لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر فكأنه يخرج منه، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء[6]، أي خصص بالمعنى الإسلامي، فهذا المعنى متحقق في الاصطلاح الشرعي.

وعلى مستوى العلاقات الاستمرارية الغيابية ربما يقول قائل بأن المؤمن ضد الكافر، فنقول بحسب التدرج: إن الكافر ضد المسلم، أما المؤمن فضده المنافق، ودليلنا في ذلك القرآن الكريم قال تعالى:﴿ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ ﴾[7]، وقوله عزّ من قال:﴿ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ

---

* الخيشوم: أصل الأنف. (شرح الشيخ محمد عبده: ٥١٢).

** الجماة: جمع جمة ــ بفتح الجيم ــ وهو من السفينة مجتمع الماء المترشح من ألواحها. والمراد: لو كفئت عليهم الدنيا بجليلها وحقيرها. (ينظر: شرح الشيخ محمد عبده: ٥١٢).

[1] في صحيح مسلم، (يا علي لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق). صحيح مسلم: كتاب الإيمان:٦١.

[2] نهج البلاغة: ٤٩٤، حكمة: ٤٠.

[3] ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ١٣٦، مادة (ب.غ.ض).

[4] ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٧١، مادة (أ.م.ن).

[5] مفردات ألفاظ القرآن: ٩١، المادة نفسها.

[6] ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٠٠١، مادة (ن.ف.ق).

[7] التوبة: ٧٤.

إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[1]، وكذلك قوله جلّ وعلا:﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾[2]، وقوله سبحانه:﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[3]. فنلاحظ هنا كيف قابل بين الإسلام والكفر، على اعتبار أن أحدهما ضد الآخر. وكذلك قابل بين المؤمن والمنافق في الآيات الآتية: قال تعالى:﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[4]، وقوله عظُمت آلاؤه: ﴿ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾[5]، وقوله سبحانه:﴿ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا ﴾[6]، وقوله جلّ وعلا: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[7]، فقابل بين المؤمن والمنافق.

فالإسلام: معنى قائم باللسان أما الإيمان: فهو معنى قائم بالقلب[8] أي أن الإيمان درجة أعلى من الإسلام، لهذا قال تعالى في محكم كتابه: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾[9] فنلاحظ كيف قال جلّ وعلا: (قولوا أسلمنا) قائم باللسان، (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) قائم بالقلب.

أما الكافر: فهو المعلن لكفره بنبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والأنبياء والمرسلين جميعهم، فلا يؤمن بالله والأنبياء ولا بالكتب السماوية. أما المنافق: فهو الذي يظهر الإسلام (باللسان) ويبطن

---

(١) آل عمران: ٨٠.
(٢) الحجر:٢.
(٣) الصف: ٧-٨.
(٤) الأحزاب: ٧٣.
(٥) العنكبوت: ١١.
(٦) الحديد: ١٣.
(٧) المنافقون: ٨.
(٨) ينظر: تفسير الميزان: ٣١٦/١٧.
(٩) الحجرات: ١٤.

الكفر، فيأتي بظاهر الشهادتين، التي على ضوئها يُحقن دمه وتجري عليه المناكح والمواريث[1]، وهذا الصنف من الناس أشد خطراً من الكافر نفسه، لأن الكافر ــ كما قلنا سابقاً ــ مظهر لعقيدته وكاشف لها أمام الناس، أي أنه معلن لكفره بينهم، وهذا يعني أن النفاق درجة أعلى من الكفر كما أن الإيمان درجة أعلى من الإسلام. وبذلك تتبيّن ضدية الإسلام مع الكفر وضدية الإيمان مع النفاق، ومنه يتضح كيف استدعى النص متضاداتٍ غائبة أجلت صورة دقيقة لهاتين الفئتين من الناس.

وعلى مستوى العلاقات الاستمرارية الحضورية فقد سبك النص بالإحالة الداخلية بالضمير المستتر (هو) في (يبغضني، وأبغضني) إحالة قبلية إلى (المؤمن)، وكذلك الإحالة بالضمير المستتر (هو) في (يحبني، وأحبني). أما ارتباط حديث الحبيب المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ــ (يا علي لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق) ــ بالنص فكان من خلال التحديد بالتعريف باسم العلم (علي)، فهو نفسه ضمير المتكلم (التاء) في (ضربتُ، وصببتُ)، وضمير المتكلم (الياء) في (سيفي، ويبغضني، ويحبني، وأحبني)، كما أن تصدر المتضادات بالأداة (لو) الشرطية غير الامتناعية[2]، التي يراد بها تقرير الجواب سواء أوجد الشرط أم فقد، أي فقدت السببية والمسببية بين فعل الشرط وجوابه، وبالتالي فقدت المناسبة بينهما وهذا يعني انتفاء العلية* وبذلك لابد من تعليل هذا الانتفاء بعلة أخرى[3]. وهذا ما جاء في الحكمة المباركة، إذ انتفى بغض المؤمن للإمام سواء أضربه أم لم يضربه، وإذا علمنا أن الضرب أو عدمه ليس علة لانتفاء البغض فعلينا أن نعلل هذا الانتفاء بعلة أخرى، وبذلك نقول عن عدم بغض المؤمن لإمامه إنما هو منبثق من إيمانه بالإمام (عليه السلام)، لأنه يمثل الحق، أو لأنه إمام زمانه، وهو السبب الأقوى. فإذا كان ذلك كذلك فكيف سيبغضه؟!. أما المنافق فانتفاء حبه للإمام (عليه السلام) متأتٍ، ليس بسبب حرمانه من ثروات الدنيا وخيراتها بجليلها وحقيرها، بدليل ضمانها له منه (عليه السلام)، وإنما لعلة أو لسبب آخر، ربما لحب المنافق نفسه للسيطرة على هذه الثروات والتحكم فيها. ولهذا جاء الربط اللفظي بحرف العطف بالواو، إذ جمعت

---

(1) ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ١٣٧/١٨، وتفسير الميزان: ٣١٦/١٧-٣١٧.

(2) ينظر: معاني النحو: ٧٦/٤.

* من العلة وجمعها علل.

(3) ينظر: المغني: ٢٥٨، ومعاني النحو: ٧٦/٤.

بين الأضداد في تقرير الجواب، وهو عدم البغض من المؤمن، وعدم الحب من المنافق. ذلك أنه إنما جيء بالواو ((حتى يكون المعنى في هذه الجملة لفقاً لمعنى في الأخرى ومُضامّاً لها))[١]، أي أن المؤمن لا يبغض الإمام مضموم إليه في النفس جنباً الى جنب أن مضاده المنافق لا يحب الإمام (عليه السلام).

زاد ذلك العلاقة الغيابية، إذ اختيار حذف اللام من جوابي (لو) في الجملتين (ما أبغضني) و (ما أحبني)، ذلك أنه يجوز اقتران جوابيها باللام إذا كان منفياً بـــ (ما)، والغالب التجرد منها[٢]، وإذا ما عرفنا دلالتها عرفنا سر التجرد منها في هذا النص، ذلك أنها تفيد التوكيد، أي تأكيد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى[٣]، وإذا ما عرفنا ذلك علمنا أن التوكيد يقع في الإثبات ولا يقع في النفي إلا نادراً[٤]، ولهذا لم يحتج النص إلى تأكيد نفي البغض والحب وربطهما بما قبلهما باللام، لأنه كما قال (عليه السلام) في ذيل النص: ((ذلك أنه قضي فانقضى على لسان النبي الأمي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: يا علي لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق))[٥]. وهذا يعني أن النص حبك بالعلاقة الغيابية بين الضدين، وهي (المقارنة).

ومثله **قوله (عليه السلام): (الحكمةُ ضالةُ المؤمنِ، فخُذِ الحكمةَ ولو من أهلِ النفاق)**[٦]. إذ ورد الضدان الشرعيان (المؤمن والنفاق)، والمراد بأهل النفاق المنافقين المقابل ضدياً للمؤمن. وقد ارتبطا بالأداة الشرطية (لو) ومن دلالاتها في الاستعمال العربي التقليل[٧]، وهي هنا جاءت على هذه الدلالة. ومعنى التقليل هو أن شرطها قليل مرغوبٌ عنهُ، كما أن شرطها بعيد الوقوع لزهادته،

---

[١] دلائل الإعجاز: ٢٢٥.
[٢] ينظر: المغني: ٢٧٠.
[٣] ينظر: شرح المفصل: ١٤٤/٥.
[٤] ينظر: معاني النحو: ٨٠/٤.
[٥] نهج البلاغة: ٤٧٧، حكمة: ٤٥.
[٦] المصدر نفسه: ٤٩٨، حكمة: ٧٥.
[٧] ينظر : الجنى الداني: ٢٩٠.

ومن هنا دخلها معنى التقليل[١]. وهذا ما أكدته الحكمة، إذ إن أهل النفاق أبعد من أن يؤخذ بنصحهم وكلامهم فكيف يأخذ المؤمن حِكَمَهُم. وهذا يعني أن العلاقة الغيابية التي ربطت بينهما هي (العددية)، إذ نلاحظ أن المؤمن، وهو فرد واحد يقابل أهل النفاق، وهم مجموعة لا حصر لها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة المؤمن وضعف المنافقين، لدرجة أن المؤمن يستطيع أن يستفيد منهم دون الإضرار بعقيدته.

وقد تحقق السبك أو الترابط النصي من خلال ارتباط الضدين بأسلوب الشرط بهذه الأداة، كما أنّ السبك بحذف جواب الشرط لدلالة ما قبله عليه أثر في ترابط النص، لأن فيه إحالة قبلية إلى قوله: (فخذ الحكمة)، ولأنه بمثابة تكرار الجواب، والتكرار من السبك المعجمي، ذلك أن يجوز حذف جواب الشرط إذا دل عليه دليل[٢]، وتقدير الكلام: الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق فخذ الحكمة، والضمير المستتر (أنت) في فعل الأمر (خذ) فيه إحالة قبلية إلى المؤمن، وبذلك وقع الارتباط بين الضدين فزاد ذلك من تماسك النص وعدم تفرطه، إذ إن كل جزء منهما مكمل للآخر.

ومن حكمه مجيء (الثواب والعقاب) بدلالتهما الشرعية **قوله عليه السلام: (إنَّ اللهَ سبحانَهُ وضعَ الثوابَ على طاعتِهِ، والعقابَ على معصيتِهِ، ذيادةً لعبادِهِ عن نقمتِهِ، وحياشةً لهم إلى جنتِهِ)**[٣]. فمن الأضداد الشرعية هنا هي (الثواب والعقاب)، ذلك أن معناهما في أصل الوضع هو مطلق الجزاء في الخير والشر، إلا أنه خُص الثواب بجزاء الطاعة وخُص العقاب بجزاء المعصية[٤]. فمن ورود الثواب للعقوبة قوله تعالى: ﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[٥]، ﴿قُلۡ

---

[١] ينظر: معاني النحو: ٧٨/٤.
[٢] ينظر: المغني: ٦١٢، والبرهان في علوم القرآن: ١١٨/٣-١١٩.
[٣] نهج البلاغة: ٥٥٠، حكمة: ٣٥٨.
[٤] ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ١٨٠، ٥٧٥.
[٥] المطففين: ٣٦.

هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[1]، ومن ورود العقاب للثواب قوله عزّ من قال: ﴿خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾[2]، ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[3].

ومن اختصاص الثواب بالطاعة قوله جلّ وعلا: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾[4]، ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾[5]، ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا﴾[6]، وغيرها كثير. ومن اختصاص العقاب بالمعصية جاء قوله تعالى بمحكم كتابه العزيز: ﴿ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾[7]، ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾[8]، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[9]، وغيرها كثير[10].

والنص العلوي يصرح باختصاص الثواب بالطاعة، واختصاص العقاب بالمعصية، ومجيئهما بأسلوب الوصل هو بسبب اشتراكهما في الحكم الإعرابي، ذلك أنه إذا كان للجملة الأولى محل من الإعراب، وقصد إشراك الجملة الثانية لها في الحكم الإعرابي ــ وهذا كعطف المفرد على المفرد ــ وجب الوصل[11]، الذي زاد من ترابطهما، إذ العقاب مشارك للثواب في الإعراب فالاثنان مفعول بهما للفعل (وضع)، كما أن الربط بـــ (الواو) هو لجمع المتضادين في العمل والجزاء، فضلاً عن أنّ الإحالة بالضمير المستتر (هو) في (وضع)، والضمير المتصل (الهاء) في (طاعته، ومعصيته، وعباده، ونقمته، وجنته) فيها جميعاً إحالة قبلية إلى لفظ الجلالة (الله)، بعدها جاء الربط

---

(1) المائدة: ٦٠.
(2) الكهف: ٤٤.
(3) القصص: ٨٣.
(4) آل عمران: ١٩٥.
(5) النساء: ١٣٤.
(6) الكهف: ٣١.
(7) الرعد: ٣٢.
(8) ص: ١٤.
(9) الأنفال: ٢٥.
(10) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٦٢٤-٦٢٥.
(11) ينظر: أساليب المعاني في القرآن:٢٤١.

المعنوي في قوله (ذيادةً...، وحياشةً...)، وهما مفعولان لأجله، أي لبيان علة وضع الثواب والعقاب. وبذلك سبك النص ببنيته السطحية.

والملاحظ في هذه الحكمة أن التقابل يسيطر على السياق أو النص كله، ليكون سلسلة من المتضادات المتقابلة إذ (الثواب، والعقاب) يقابل (الطاعة، والمعصية) وهما معاً يقابلان (ذيادة لعباده عن نقمته: إبعادهم عن النار)، و(حياشة لهم الى جنته: تقريبهم إلى جنته)، والإبعاد والتقريب من الأضداد، كما أن النار والجنة كذلك، وجميعها تتعلق بالثواب والعقاب، أي أن الطاعة سبب للثواب، والمعصية سبب للعقاب، ووضع العقاب لإبعاد الإنسان عن النقمة، وهي: النار، والثواب لتقريبه إلى الجنة، إذن العلاقة العميقة الغيابية التي جمعت بين هذه الألفاظ هي (السببية)، وبذلك حبكت النص، وجعلته متماسكاً. ثُمَ جعل الإبعاد من النار في ترتيب الكلام مجاوراً للعقاب، في حين باعد بين التقريب إلى الجنة والثواب، وذلك لبيان قرب الإنسان من المعصية، وبعده عن الطاعة، ولهذا جاءت جملة التقريب ــ الحياشة ــ إلى الجنة معطوفة على جملة الإبعاد ــ الذيادة ــ عن النار أو النقمة، فكأن الثانية تالية للأولى وتابعة لها.

٣- **الأضداد العرفية:** وتأتي من الدلالة العرفية، التي هي ((ما نقل عن بابه بعرف الاستعمال))[١]، أي انتقال اللفظة من دلالتها الوضعية اللغوية إلى دلالتها العرفية بحكم الاستعمال فتفقد بذلك دلالتها الأولى، أي المعجمية أو اللغوية.

وهذا هو الفرق بينها وبين الدلالة الشرعية، فالشرعية كما قال الشريف المرتضى ما مضمونه: تخصيص للمعنى اللغوي فهي لم تنتقل انتقالاً يخالف المعنى اللغوي وإنما تحتفظ به ولكنها تخصصه لها دون سواها، فالصلاة بدلالتها الشرعية ظلّت محتفظة بالدلالة اللغوية وهي الدعاء بعد أن خصصت بالصلاة العبادية المعروفة، وكذلك الصيام. أما الدلالة العرفية فإن المعنى ينتقل من مستوى دلالي إلى آخر، فدلالة (الغائط) مثلاً انتقلت بعرف الاستعمال إلى الكناية عن قضاء الحاجة فلا يفهم منها ما كانت عليه في أصل الوضع اللغوي وهي اسم للمكان المطمئن من

---

[١] الفروق اللغوية:٦٦.

الأرض، أي أنها تفقد معناها اللغوي بعكس الدلالة الشرعية التي تحتفظ بالمعنى اللغوي جنباً إلى جنب مع المعنى الشرعي[١].

ومن الأضداد العرفية **قوله عليه السلام: (أولى الناسِ بالعفوِ أقدرهُم على العقوبةِ)**[٢]، إذ يمكن أن يكون العقاب من الدلالات العرفية بحكم السياق الواردة فيه، يقال ((العَفْو: عَفْو الله تعالى عن خلقه، وذلك تركه إياهم فلا يعاقبهم فضلاً منه))[٣]، هذا يعني أن عفوت عنه ضد عاقبته، و((فضيلة العفو تطلق في العرف على من قدر على العقوبة ولم يعاقب))[٤]، هذا يعني أن العقاب كما يكون دلالة شرعية يكون كذلك دلالة عرفية، وسواء أكانت دلالته شرعية أم عرفية فهما معاً يقعان ضمن الدلالة الحقيقية.

وما يهم البحث هو تقابل الضدين في هذا النص، وبما أن (الباء) من دلالاتها أن تأتي للإلصاق المجازي[٥] فقد خفض الضد الأول (العفو) بالباء، وهو المناسب لمقام العفو المعنوي. ولما كانت (على) تأتي للدلالة على الاستعلاء الحقيقي[٦] خفض بها الضد الثاني (العقوبة) المتآلف مع دلالة العقوبة المادية. ومن خلال العلاقات السياقية الاستمرارية نصل إلى ضدين آخرين هما (الإلصاق المجازي والاستعلاء الحقيقي)، أي المجاز ضد الحقيقة ودلالة الأول منهما على العفو المعنوي المقابل للعقاب المادي. ثم تعلق هذان المجروران باسمي التفضيل قبلهما (أولى، وأقدر) المضافين إلى المعرفة (الناس، وهم) الدالين على اتصاف صاحبيهما بأصل الفعل، أي بالأولوية والقدرة، وعلى الزيادة في تفضيلهما على من سواهما، ذلك أن أفعل التفضيل إذا كان مضافاً إلى معرفة دل على اتصاف صاحبه بأصل الفعل، وعلى الزيادة في تفضيله على كل من سواه مطلقاً[٧]. فضلاً عمّا في اسم التفضيل (أقدرهم) وضميره المتصل (هم) من إحالة قبلية إلى (أولى الناس)،

---

[١] ينظر: الذريعة في أصول الشريعة: ١٣/١.
[٢] نهج البلاغة:٤٩٥، حكمة: ٤٧.
[٣] معجم مقاييس اللغة: ٦٤٢، مادة (ع.ف.و).
[٤] شرح ميثم البحراني: ٣٣٠/٥.
[٥] ينظر: المغني: ١١٠.
[٦] ينظر: المصدر نفسه: ١٦٣/١.
[٧] ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤٥٧/٣.

وهذا ما أكسب الضدين علاقة غيابية هي (الإلزامية)، فحبك النص وتماسك، لأن المعنى: من كان قادراً على العقوبة كان أولى به وإلزاماً عليه العفو والتجاوز عن حقه، وفي هذا المعنى يقول الشيخ البحراني: ((أولوية العفو تابعة لأولوية القدرة وأشديتها، أي من كان أشد قدرة على العقوبة وعدمها كان أولى بأن يسمى عفواً))[١].

ومما يلحق بالعرف المجاز، ذلك أنه ((غير ممتنع أن يكثراستعماله في العرف فيلحق بحكم الحقائق))[٢]، وهذا الفهم أيده الدرس اللغوي الحديث، فالمجاز((متى استقر في البيئة مدلوله وتحدد معناه عاد إلى ما كان عليه أولاً في تسميته بالحقيقة مقيدة بعرف هذه البيئة وتواضعها))[٣]. وقد أطلق أحد الباحثين على هذا النوع من المجاز اسم (المجاز المنقول)[٤].

ومما جاء منه في نهج أمير المؤمنين(عليه السلام) **قوله: (قلوبُ الرجالِ وحشيةٌ فمن تألّفها أقبلتْ عليهِ)**[٥]، الوحشي من الوحش ضد الأليف، لأن الوحشي من الحيوانات هي التي لا تألف غيرها[٦]، هذا يعني أن الأليف الذي يألف بغيره، فهو من ألف الدال على الاجتماع، ومنه سمي العدد ألف ألفاً، لأنه جاء من اجتماع المئين، فكل شيء ضممت بعضه إلى بعض فقد تآلفا[٧]. يؤكد هذا المعنى الشيخ البحراني بقوله: ((الوحشة عدم الألفة))[٨].

وقد جاءا في الحكمة العلوية على وجه المجاز، لأنهما استعارة، فالقصد من الوحشة هنا وحشة القلوب ووحدتها، والمراد بالألفة الضد. وقد كثر استعمال هذا المعنى فيهما حتى صار حقيقة عرفية فيهما، فيقال: هذا رجل وحشي، وهذا رجل أليف، أي يتآلف مع الناس. وقد جعل الإمام علي

---

[١] شرح ميثم البحراني: ٥/٣٣٠.
[٢] الذريعة إلى أصول الشريعة: ١/١٢.
[٣] دراسات في القرآن الكريم:٢٩.
[٤] ينظر: المجاز وأثره في الدرس اللغوي:١١٩.
[٥] نهج البلاغة: ٤٩٥، حكمة: ٤٥.
[٦] ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٨٥٨، مادة (و.ح.ش).
[٧] ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٧٠، مادة (أ.ل.ف).
[٨] شرح ميثم البحراني: ٥/٣٢٩.

(عليه السلام) الوحشة أصلاً في طبيعة القلوب تُستمال بالتآلف[1]، أي بالاجتماع بها والانضمام إليها حتى تتآلف. إذن العلاقة بين الوحشة والألفة هي (كعلاقة الداء بالدواء، فكأنهما متضايفان). وبذلك يعطينا الإمام علي (عليه السلام) الطريقة المثلى للتعايش الاجتماعي، ليسود نوع من السلام بين أفراد المجتمع. وفي ذلك يقول المولى عظُمت آلاؤه: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[2]، فالأعداء تقابل القلوب الوحشية، بدليل قوله جلّ وعلا: (فألف بين قلوبكم).

وقد تكون الحكمة ذات هدف سياسي، ويكون لفظ (الوحشة) هنا كناية عن القلوب المغلقة العميقة، أو الغامضة المبهمة المشبّعة بالأسرار، التي لا يأتي بزمام هذه الأسرار، أو امتلاك مفاتيح هذه القلوب إلا من خبرها وعرف طريقها ومرسها، فكان طريق ذلك أن تُستمال بالتآلف، الذي هو أيضاً كناية عن الأمن والأمان، أي: بالاطمئنان، فتُقبل هي علينا بما لها وعليها، وليس إقبالها كإقبالنا، فشتّان ما بين الاثنين. وتحقق (الفاء) الاستئنافية الربط اللفظي بين الجملتين بدلالتها على التعقيب والاتصال الزمني[3]، وهذا ما تحقق في كلام الإمام (عليه السلام)، فالاستئناف جاء لبيان كيفية استمالة القلوب الوحشية، وهذا الكلام أو هذا المعنى يتعلق بالذي قبله ببيان طريقة الاستمالة عن طريق استئناف الكلام، وهذه الطريقة هي الألفة والتآلف، أو الاطمئنان والأمان. فضلاً عن الإحالة بالضمير (ها) في (تآلفها)، والضمير (الهاء) في (عليه)، إذ الإحالة فيهما قبلية إلى (القلوب الوحشية)، وبذلك سبك النص سبكاً حضورياً، وحبك حبكاً غيابياً.

---

(1) ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ١٤٢/١٨، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢٤٨/٤.

(2) آل عمران: ١٠٣.

(3) ينظر: في معاني الفاء: الجنى الداني: ٦١-٦٧.

المبحث الثاني: تقابل الأضداد المجازية:

المجاز ضد الحقيقة فهو في تقابل معها، وهو في أصل اللغة على وزن مَفْعَل. وجمع بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي عبد القاهر الجرجاني بقوله: ((المجاز مَفْعَل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عمّا يوجبه أصل اللغة، وصف بأنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً))[1]. وأوضح تقسيم انتهى إليه البلاغيون هو تقسيم عبد القاهر الجرجاني، فهو عنده قسمان[2] :

١- لغوي: وسماه مجاز المثبت ومجاز المفرد، وهو عنده قسمان:

الأول: يقوم على المشابهة، وهو ما يسمى بالاستعارة.

الثاني: لا يقوم على المشابهة وإنما يكون لصلة وملابسة بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه وهو ما يسمى بالمجاز المرسل.

٢- عقلي: وهو الذي يعتمد على التركيب أو الإسناد ، وسماه: مجازاً عقلياً ومجازاً حكمياً ومجازاً في الإثبات و إسناداً مجازياً ومجاز الجملة.

وبذلك يمكننا أن نقول إن المجاز رسم لصورة حسية يرسلها المتكلم في ذهن المتلقي، والذي بدوره ينطلق ــ أي المتلقي ــ في كشف المتضادات المتقابلة من خلال العلاقات الاستمرارية الغيابية على مستوى باطن النص، كما يمكن الربط بين المتضادات المتنافرة في مستوى الدلالة التصريحية بالعلاقات الاستمرارية الحضورية اعتماداً على العلاقات اللغوية الركنية كعلاقة (الفاعلية والمفعولية) على مستوى ظاهر النص التي تسهم في سبكه وشد أجزائه. وهذا كله لا ينتج بصورة موسعة في المجاز وإنما منحصرة بتقابل الضدين المجازيين فقط لا غير.

---

[1] أسرار البلاغة: ٣٩٥.

[2] ينظر: المصدر نفسه: ٤٠٨- ٤١٥.

فمن المجاز اللغوي المتضافر مع الأضداد الحقيقية الوارد في حكم نهجه (عليه السلام) ومواعظه قوله: **(احذروا صولةَ الكريمِ إذا جاعَ، واللئيمِ إذا شبعَ)**[١] فالكريم ضد اللئيم[٢]، والجوع ضد الشبع[٣]، والتقابل الأول جيء به على وجه الحقيقة، والسياق الحضوري في العلاقة الركنية (المفعولية) جمعت بين صورتين أو موقفين متنافرين بمسند ومسند إليه واحد هو (احذروا)، وأسلوب الطلب فيه (الأمر) غايته التحذير. وقد تكون الغاية منه شد السامع وإثارته عند رؤيته للصورتين المتضادتين[٤].

أما التقابل الثاني بين (الجوع والشبع) فلم يُرد بهما الجوع والشبع الحقيقيان ((وإنما المراد: احذروا صولة الكريم إذا ضيم وامتهن، واحذروا صولة اللئيم إذا أُكرم))[٥]، أي أن الأول كناية عن الضيم والامتهان وشدة الحاجة، والثاني كناية عن الغنى وعدم الحاجة، والكناية من المجاز، القصد منها إما التشنيع أو لقصد الاختصار[٦]، أي التشنيع على من يجوّع الكريم ويشبّع اللئيم، أو لقصد الاختصار، إذ مع ما في فعل الأمر من حث على الانتباه والتفكر ينتقل ذهن المتلقي بفعل العلاقات الاستمرارية إلى أضداد غائبة أخرى تتولد من باطن النص، فالكريم إذا وضِع أو ذُلّ ثار، واللئيم إذا رُفِع أو عُزّ جار. فالأضداد المستدعاة (وضِع و رُفِع) و (ذُلّ و عُزّ) أما (الثورة والجور) فهما بيان للصولة، وشتان ما بين الصولتين. والعلاقة الغيابية بينهما هي (المساواة)، فكما يؤدي جوع الكريم إلى الثورة، فكذلك يؤدي شبع اللئيم إلى الجور. وهذا يعني أن الحكمة العلوية تدعو إلى التوازن والتعادل في توزيع الثروات حتى تستقر الحياة، (فما جاع فقير إلا بما مُتع به غني)[٧].

وعلى مستوى العلاقات الحضورية نلاحظ هذين الضدين المتنافرين ربطا بالواو العاطفة في سياق شرطي، وفي النص تقديم وتأخير ــ فضلاً عن السبك بالحذف، أي حذف جواب الشرط

---

[١] نهج البلاغة: ٤٩٥، حكمة:٤٤.
[٢] ينظر: القاموس المحيط: ١٠٦٣، مادة (ك.ر.م).
[٣] ينظر: المصدر نفسه: ٦٥٥، مادة (ج.و.ع).
[٤] ينظر: قصار حكم الإمام علي (عليه السلام) دراسة تحليلية، رسالة ماجستير: ٢١١.
[٥] ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ١٤١/١٨.
[٦] ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٩١/٢-١٩٢.
[٧] ينظر: نهج البلاغة: ٥٣٣، حكمة: ٣٢٨.

وجوباً لدلالة ما قبله عليه، إذ يجوز حذف جواب الشرط إذا تقدم ما يغني عنه[١]. وفي ذلك سبك معجمي بالتكرار، لإحالة الحذف إلى ما سبق ذكره في الكلام، وهو (احذروا صولته). والغاية من حذفه تخفيف الكلام بالحذف، ذلك أن طول الكلام قد يوجب الحذف لتخفيف طوله ولا سيّما مع الدلالة عليه[٢]، ذلك أنّ أصل الكلام (إذا جاع الكريم فاحذروا صولته، وإذا شبع اللئيم فاحذروا صولته) فتقدم جواب الشرط على أداة الشرط وفعلها، وحذف جواب الشرط الثاني لدلالة الأول عليه[٣]، ولعله ليس هذا هو القصد من الحذف، وإنما لذلك قصد آخر، فبما أن الصولة في الحق وليس للئيم صولة بل جولة، لأنها في الباطل، ناسب ذلك أن يحذفها، ليبين حقارتها وهوانها وإن كانت أشد شراسة، لأنها ليست بشيء أمام صولة الحق. ولكننا لا نجد لذة الإسماع في أصل الكلام كما نجدها في التقديم والتأخير والحذف الحاصل في الحكمة*.

إن مسألة تقديم جواب الشرط على الأداة وفعل الشرط قد اختلف فيها القدماء بين من يمنع ومن يجيز حتى رمت بظلالها على المحدثين[٤]، إلا أن الدرس الحديث رأى فيها انزياحاً وخروجاً عن المألوف، وانتقاءً نحوياً يتميز به أسلوب النص عن غيره من الأساليب الأخرى[٥]، فضلاً عن العلاقة العميقة التي يستبطنها النص في بنية التقديم والتأخير[٦]. فالغاية من تقديم المسبب (جواب الشرط) على السبب (الأداة وفعل الشرط) هي لأهميته وعظمته[٧]، وهي الغاية نفسها في حذف

---

[١] ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٩٨/٤.

[٢] ينظر في أغراض حذف جواب الشرط: البرهان في علوم القرآن: ١١٨/٣-١١٩.

[٣] ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ٢٥٢.

* أما الباحث خالد الحميداوي فقد جانب الصواب مرتين؛ الأولى: حينما رأى في هذه المتضادات (تناقضاً) وهي متضادات لا متناقضات. والمجانبة الثانية؛ عندما جعل هذه المتضادات متشابهة في مستوى العمق أي تساويهما في الحذر من صولتهما، وجعل تحليله هذا على المستوى الغيابي. والصواب: هو أن يكون على المستوى الحضوري، أي بحسب العلاقات الركنية، لأن أسلوب الشرط حضوري. (ينظر: أساليب البديع في نهج البلاغة، اطروحة دكتوراه: ١٠٩).

[٤] وهذا ما تناولته الباحثة يُسرى خلف بالتفصيل في رسالتها. (ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة، رسالة ماجستير:١٨٨-١٩٢).

[٥] ينظر: الأسلوب: ٢٣-٢٤.

[٦] ينظر: أساليب الجملة الإفصاحية في النحو العربي: ٦٠ ، ٦٣.

[٧] ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٥٠/٣، وأسلوب الشرط في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ١٩٨.

جواب الشرط (الجزاء)[١]، إذ إن حذفه ((يقع في مواقع التفخيم والتعظيم، ويجوز حذفه لعلم المخاطب به، وإنما يحذفه لقصد المبالغة، لأن السامع مع أقصى تخيله يذهب منه الذهن كل مذهب، ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصرح به فلا يكون له ذلك الوقع))[٢]، بل لا يحيط به الوصف، فلا يتصور مكروهاً أعظم منه[٣].

وهذا ما يكون أكثر اتضاحاً عندما نعلم أن ما حذف منه الجواب (فاحذروا صولته) هي جملة الشرط الثانية، التي فيها يكون الحذر من صولة اللئيم، فهي أشد هولاً وشراسة من صولة الكريم، لأن الثانية في الباطل فليس هناك من رادع، والأولى في الحق. وهذا يعني أنّ في النص إحالة خارجية من خلال الإحالة بضمير (واو الجماعة) في (احذروا) فهي إحالة إلى المتلقين ليشاركوا في تحليل النص، ويتفاعلوا معه.

ثم حذف (فاء) الجزاء الواجب دخولها على جملة جواب الشرط الطلبية في فعل الأمر (احذروا)، إذ عندما تكون جملة جواب الشرط جملة أمرية أو نهيية وجب أن تدخل الفاء عليهما، ليدل الكلام على أن الجملتين الأمرية والنهيية غير مبتدأ بهما، وإنما هما معقودتان بما قبلهما، أي بفعل الشرط[٤].

وحذفها يعد انزياحاً ودلالة أخرى على المستوى الغيابي، فـ ((الفاء الجوابية معناها الربط، وتلازمها السببية. قال بعضهم: والترتيب أيضاً))[٥]، أي بدلالتها على الربط والسببية والترتيب، لم يحتج إليها النص، لكون الأمر مفروغاً منه في تعلق الجواب بالفعل، فإذا ما جاع الكريم ثار وإذا ما شبع اللئيم جار، لم يحتج الأمر إلى ربط أو ترتيب أحداث أو تعاقبها.

---

[١] ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ٢٥٢.
[٢] المصدر نفسه: ١١٩/٣.
[٣] ينظر: الإيضاح: ١٨٧/١.
[٤] ينظر: سر صناعة الإعراب: ٢٥٣/١.
[٥] الجنى الداني: ٦٦.

ومن المجاز اللغوي أيضاً **قوله(عليه السلام): (لكل امرىءٍ عاقبةٌ حلوةٌ أو مرةٌ)**[1]. فالحلاوة والمرارة ضدان[2] مجازيان لغويان على سبيل الاستعارة، فالعاقبة الحلوة استعارة للجنة، والعاقبة المرة استعارة للنار، ولعل المقصود من الحلاوة والمرارة آخر الشيء ونهايته، أي المؤدى إما إلى الجنة أو إلى النار.

والمشابهة بينهما هي اللذة في الحلاوة أو الجنة، والكره للمرارة أو النار[3]، فكما أن الإنسان يحس بحلاوة الشيء كذلك هو يحس بالجنة، وكما يحس بمرارة الشيء يحس بنار جهنم، وإذا ما عرف ماهيتهما بتذوقهما عرف أين تكمن السعادة وأين تكون التعاسة أو الشقاوة، أي أن الإمام (عليه السلام) قرّب صورتي الجنة والنار وجعلهما بتماس مع الإنسان في الحياة الدنيا وكأنه يلمسهما بل يتذوقهما، وبذلك يعرف مصيره إما العاقبة الحلوة أو العاقبة المرة. والعلاقة التي جمعت بينهما غيابياً هي (مآل الشيء ونهايته).

والنص على المستوى الحضوري واضح الترابط، إذ ربط الضد الثاني ربطاً لفظياً بحرف العطف (أو) الدال على التفريق، وهذا يؤكد العلاقة الغيابية بينهما، فالنهاية إما الحلاوة أو المرارة، وهنا تبرز أيضاً عبقرية الإمام علي (عليه السلام)، إذ إنه اختار أداة العطف (أو) الدالة على التفريق هنا دون أداة العطف (الواو) التي تدل على التفريق وتدل على التقسيم، والتقسيم يحتمل اجتماع الحلاوة والمرارة في العاقبة، كما في قولنا: محمد شاعر وكاتب وفقيه، أي اجتمعت هذه الصفات جميعها في محمد، وهذا ما لا يجوز اجتماعه في الحكمة العلوية. جاء في الجنى الداني: أن التعبير عن(أو) بالتفريق أولى من التعبير عنها بالتقسيم، واستعمال (الواو) في التقسيم أجود من استعمال (أو)[4]. فضلاً عن اللجوء إلى أسماء غير محددة (نكرة)، وهي قوله: (امرىء)، إذ فيها إحالة خارجية إلى المتلقي، للإشارة إلى أن الأمور بخواتيمها، فليس هناك رجل بعينه هو المقصود في

---

[1] نهج البلاغة: ٥١٥، حكمة: ١٤١.

[2] ينظر: القاموس المحيط: ١١٧٣، مادة (ح.ل.ا).

[3] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٥/٣٩٩-٤٠٠، وفي ظلال نهج البلاغة: ٤/٣٢٠.

[4] ينظر: الجنى الداني: ٢٢٨.

هذه العاقبة، وإنما هي خاتمة حياة المتلقين جميعهم، فهي المنطلق إلى العاقبة إما خيراً فحلوة، وإما شراً فمرة. وبذلك ارتبط الضدان في الوصفية، أي في وقوعهما وصفين للعاقبة.

ومنه أيضاً **قوله (عليه السلام): (مَن يُعطِ باليدِ القصيرةِ يُعطَ باليدِ الطويلةِ)**[١]. فالأضداد الواردة هنا هي (اليد القصيرة) تقابل (اليد الطويلة) وفيهما مجازان: الأول؛ مجاز مرسل في (اليد) بمعنى مطلق العطاء المادي والمعنوي[٢]، والعلاقة بينهما (السببية)، لكون اليد سبباً فيهما، أي من شأن النعمة والعطاء أن يصدرا عن هذه الجارحة[٣].

والثاني؛ الكناية في (القصيرة والطويلة) كناية عن القلة والكثرة[٤]، ((ففرق(عليه السلام) بين نعمة العبد ونعمة الرب تعالى ذكره بالقصيرة والطويلة، فجعل تلك قصيرة وهذه طويلة، لأن نعم الله أبداً تضعف على نعم المخلوق أضعافاً كثيرة، إذ كانت نعم الله أصل النعم كلها، فكل نعمة إليها ترجع ومنها تنزع))[٥]. والقصد من الكناية هنا هو التنبيه على عظم القدرة لله المقابلة لضعف قدرة البشر أو قلتها مهما عظُمت لمقابلتها لنعم الله عظُمت آلاؤه.

أما العلاقة الغائبة، أو على مستوى حبك النص فقد ارتبط الضدان (القصيرة والطويلة) بعلاقة (السبب والنتيجة)، وهذا ما أكده المستوى الحضوري أو ظاهر النص، فقد ارتبط الضدان بأسلوب شرطي بالأداة (مَن) ربطاً سببياً، فوقع الضد الأول فعلاً للشرط، ووقع الضد الثاني جواباً للشرط، على اعتبار أن الشرط يعد تركيباً وأسلوباً في آن واحد[٦]، وهذا يعني أن عطية البشر سبب في عطاء الله جلّ وعلا، إذ الجزاء لا يتحقق إلا بتحقق الفعل. كما نجد السبك المعجمي بالتكرار في لفظي (يعط، واليد)، إذ فيهما من إحالة بعدية إلى اللفظ المكرر، والعكس صحيح، وهذا ما جعل النص مسبوكاً متلاحمَ الأجزاء.

---

[١] نهج البلاغة: ٥٢٥، حكمة: ٢٢٣.
[٢] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٤٢٩/٥، وفي ظلال نهج البلاغة: ٣٥٥/٤.
[٣] ينظر: الإيضاح: ٢٧٠/٢.
[٤] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٤٢٩/٥.
[٥] شرح صبحي الصالح في تحقيقه لكتاب نهج البلاغة: ٥٠٩.
[٦] ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ١٤.

ومنه أيضاً **قوله(عليه السلام): (إنَّ الحقَّ ثقيلٌ مريءٌ، وإنَّ الباطلَ خفيفٌ وبيءٌ)**[١]، فالأضداد المجازية هنا هي(ثقيل وخفيف)[٢] جاءت على سبيل الاستعارة، إذ ((استعار وصف الثقل باعتبار صعوبته على من يكون عليه فيؤخذ منه ... وللباطل وصف الخفة باعتبار سهولته على أهله))[٣]، وكذلك (مريء، ووبيء) ضدان مجازيان، ومريء: من مرأ الطعام، أي: هنيء، حميد المغبة غير وخيم[٤]، والوبيء: من الوباء، وهو المرض العام، واستعير للعاقبة الوخيمة، أما المريء فللعاقبة الحميدة[٥]. هذا يعني أن مريء ضد وبيء، بدلالة معنييهما، فالأول: حميد العاقبة، والثاني: وخيم العاقبة.

والعلاقة التي جمعت بين الأضداد في العلاقة الغيابية هي (المفارقة والمعاكسة)، فالحق وإن كان ثقيلاً إلا أنه مريء، أي حميد العاقبة، والباطل وإن كان خفيفاً إلا أنه وبيء وخيم العاقبة[٦]. وهذا يعني أن طريق الحق شاق وثقيل لكنه في نهايته خفيفاً هنيئاً، كخفة الطعام وهنائه، وطريق الباطل سهل وخفيف لكن ختامه ثقيل كثقل المرض وتفاقمه فيما إذا صار وباءً، وهذه هي المفارقة والمعاكسة. ومن هنا نجد أن المريء قد استبطن ضد الثقيل: وهو الخفيف، والوبيء استبطن ضد الخفيف: وهو الثقيل، فكأن المعنى: (إن الحق ثقيل خفيف، وإن الباطل خفيف ثقيل).

وهنا نشير إلى أنه (عليه السلام) عدل عن هذين اللفظين، أي (الثقيل، والخفيف) لأنهما لايحققان المعنى المذكور سابقاً، لدلالتهما فقط على خفة الشيء دون هنائه وراحته، أو على ثقل الشيء دون وخامته وفضاعته، فضلاً عن أن ورودهما يؤدي عكس المعنى الذي يؤديه القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ

---

[١] نهج البلاغة: ٥٥٣، حكمة: ٣٦٦.
[٢] ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٦٩، مادة (ث.ق.ل).
[٣] شرح ميثم البحراني: ٥٠٦/٥.
[٤] ينظر: القاموس المحيط: ٦٢.
[٥] ينظر: شرح الشيخ محمد عبده: ٥٨١.
[٦] ينظر: المصدر نفسه: ٥٨١.

خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾[١]، فالثقل يؤدي الى الجنة، بينما الخفة تؤدي الى النار، ولهذا قال الإمام (عليه السلام): (الحق ثقيل، والباطل خفيف).

أما على مستوى العلاقات الاستمرارية الحضورية فبسبب وجود هذه المناسبة سواء على مستوى الغياب (المفارقة والمعاكسة)، أم على مستوى الحضور السبك المعجمي بـــ (التضاد) وصل بين الجملتين بالواو، إذ ((عمل الوصل هنا على الجمع بين صورتين؛ صورة الحق الثقيل لصعوبته على من يكون عليه ... وصورة الباطل الخفيف لسهولته على أهله))[٢]، كما نجد السبك المعجمي المتحقق في التكرار التركيبي، أي تكرار العناصر نفسها، إذ نجد في كلا الجملتين هذا التركيب (إنّ + الأسم + الخبر + الصفة)، إذ فيه إحالة بترابط النص بعضه ببعض وسبكه على مستوى بنيته السطحية بعد أن حبك على المستوى الغيابي.

ومن المجاز اللغوي **قول أمير البلاغة والبيان (عليه السلام): (الغنى والفقرُ بعدَ العرضِ على اللهِ)**[٣]، فالغنى والفقر ضدان في أصل الوضع[٤] حقيقيان يخصان حالة مادية أو اقتصادية يعيش بها الفرد، فهو إما غني أو فقير. أما النص العلوي فقد استبطن اسميهما الدنيويين هذين على سبيل المجاز[٥]. أما على مستوى ظاهر النص فالمعنى الحقيقي للغنى والفقر هو((بعد العرض على الله يوم القيامة، وهناك يظهر الغنى بالسعادة الحقيقية، والفقر بالشقاء الحقيقي))[٦]، أو بمعنى آخر: ((لا يعد الغني غنياً في الحقيقة إلا من حصل له ثواب الآخرة الذي لا ينقطع أبداً، ولا يعد الفقير فقيراً إلا من لم يحصل له ذلك، فإنه لايزال شقياً معذباً، وذاك هو الفقير بالحقيقة))[٧]. وهنا يلاحظ البحث قوة العدول أو الانزياح أو الدلالة، أو جميعها معاً، حيث المعنى الحقيقي يتحول إلى مجاز بسبب

---

[١] القارعة: ٦-٩.
[٢] قصار حكم الإمام علي (عليه السلام) دراسة تحليلية، رسالة ماجستير: ١٥٩.
[٣] نهج البلاغة: ٥٦٤، حكمة: ٤٤٢.
[٤] ينظر: القاموس المحيط: ١٢١١ ، مادة (غ.ن.ى).
[٥] ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ١٢٨/٢٠.
[٦] شرح الشيخ محمد عبده: ٥٩٤.
[٧] شرح ابن أبي الحديد: ١٢٨/٢٠، وينظر: شرح ميثم البحراني: ٥٣٤/٥.

زواله وعدم ديمومته[١]. والمجاز المتحقق في الحكمة العلوية مجاز مرسل، لأن المراد بالغنى: السعادة، والمراد بالفقر: الشقاء، والعلاقة بينهما هي (التضاد).

وهذا المعنى تؤكده العلاقات الحضورية، إذ نجد النص يلفت أذهان المتلقين، وذلك من خلال التحديد بالتعريف بـــ (أل) في (الغنى، والفقر)، الذي فيه إحالة خارجية إلى المتلقي على اختلاف طبقاتهم إلى حقيقة مصيرية معروفة لكنها غائبة، ربما تجاهلها الأغنياء ويأس منها الفقراء، فيعكس الصورة ليوضح طريق النجاة، وبذلك يشير النص إلى المعنى الحقيقي للغنى والفقر، وهو بعد العرض على الله تعالى، فيعطي صورة جديدة لهذين المعنيين في عالم ما وراء الدنيا ليقربه إلى أذهان المتلقين. كما أن السبك تحقق بالربط اللفظي بالظرف (بعد)، الذي ربط ما بعده بما قبله، ليعطي بذلك دلالة زمنية، متمثلة بحقيقة الغنى والفقر لما بعد الموت، وذلك يمدنا بألفاظ غائبة، إذ المعنى: ليس الغنى والفقر في الدنيا، وإنما الغنى والفقر الحقيقيان في الآخرة.

أما ما جاء من المجاز العقلي **فقوله (عليه السلام) في الحثّ والتحريض على العبادة: (مَن أبطأ بهِ عملُهُ لم يُسرِعْ بهِ حَسَبُهُ)**[٢]. فالمتضادان (أبطأ ويسرع) حقيقيان، والمجاز صار فيهما من جهة الإسناد أو التركيب، فالمجاز ((لا في ذوات الكلم وأنفس الألفاظ، ولكن في أحكام أجريت عليها))[٣]، وهذا ما يسمى بالفاعل التجوزي، ويسميه أبو منصور الثعالبي ((إضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل على الحقيقة))[٤]، وذلك لأنه ليس فاعلاً بالمعنى الحقيقي وإنما من جهة الاصطلاح النحوي، وسمي فاعلاً على جهة التجوز والاتساع في اللغة، فالفاعل لا اختيار له في أن يفعل الفعل، وفي ذلك دلالة على الاندفاع الذاتي للقيام بالحدث وإلى حصوله بإرادة حرة[٥]. أي أن المجاز في لفظي (أبطأ ويسرع) ليس في ذاتيهما وإنما في إسنادهما إلى العمل والحسب بوصفهما فاعلين لفعلي الإبطاء والإسراع من باب الفاعل التجوزي، ولا يخفى ما في هذا الإسناد من تفخيم للمعنى وتنبيه

---

[١] ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ١٢٨/٢٠.
[٢] نهج البلاغة: ٤٨٩، حكمة: ١٩.
[٣] دلائل الإعجاز: ٢٩٤.
[٤] فقه اللغة وسر العربية: ٣٥٩.
[٥] ينظر: ملمح الوصف بالفعل الإسنادي في التركيب النحوي، مجلة المورد ــ العدد:١: ١٢٥.

للسامع أو المتلقي[١] لما سيحل به إن كان المعني بهذا القول، لأنه إذا ما أهمل عمله تباطأ به عن الوصول إلى غاياته، وإذا ما اعتمد على حسبه أقعده عن إكمال مسيرة آماله، وبذلك كانت نهاية حياته. وهذا ما لا نجده إذا قلنا: من تباطأ بعمله لم يتسارع بحسبه. وقد سبك النص وتماسك من خلال الربط اللفظي بأسلوب الشرط الذي ربط بين (أبطأ، ويسرع)، والإحالة بضمير (الهاء) في الجار والمجرور (به) المتعلق بالفعل (أبطأ)، وهي إحالة بعدية إلى الجار والمجرور (به) المتعلق بالضد الثاني (حسبه) في الجملة الثانية، أي أن المفعول به واحد، هو الجار والمجرور (به)، وبذلك وصل بين هذين الضدين، وأبرز العلاقة الغيابية بينهما، وهي (المشابهة)، ذلك أن إثبات الضد الأول ونفي الضد الثاني في أسلوب شرطي خرق للمصاحبة المعجمية بين الضدين، لأن معنى (لم يسرع): أبطأ أيضاً، وهذا يعني انتفاء العلاقة الضدية بين اللفظين*.

ومنه أيضاً مما ورد في عبارات نهج البلاغة **قوله (عليه السلام): (إذا تَمَّ العقلُ نقصَ الكلامُ)**[٢]. فتمام العقل تقابل تضادي مع نقص الكلام[٣]، والأثنان مجازان عقليان، إذ أسند التمام إلى العقل، والنقص إلى الكلام، والمراد من تمام العقل هو قوته بالعلم والحكمة والحنكة... إلى غير ذلك من الأمور المعنوية، لا التمام المادي أو الفسلجي. والمراد من نقص الكلام قلته واقتصاره على ما يلزم.

وإنما عدل إلى المعنى المجازي دون القول مثلاً: إذا تعلم الإنسان قلل كلامه، لأنه ليس كل من تعلم فقد تم عقله وقل كلامه، هذا أولاً، وثانياً: إن الإسناد المجازي فيه إبراز لعلاقة (التلازمية) بين تمام العقل وقلة الكلام، وهي علاقة غيابية، أي إبراز لعلاقة اللازم بالملزوم ((ووجه الملازمة

---

[١] ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٩٤.

* لا كما ذهب الباحث خالد الحميداوي في أن ((نفي السرعة يوحي بالسرعة...))، إذ لا مجال لدلالته في هذه الحكمة على هذا المعنى.(ينظر: أساليب البديع في نهج البلاغة، اطروحة دكتوراه:١١٩).

[٢] نهج البلاغة: ٤٩٦، حكمة: ٦٦.

[٣] ينظر: معجم مقاييس اللغة:١٥٢، مادة (ت.م.م).

بين تمام العقل وقلة الكلام أن العقل من العقال، فإذا قوي وتم تغلب على اللسان وأمسكه عن اللغو والعبث ولا يطلقه إلا فيما ينفع، فإذا نقص العقل وضعف انطلق اللسان من عقاله))[١].

وقد تماسك النص وسبك على المستوى الحضوري بربط النص بأسلوب الشرط لما فيه من ربط بين فعل الشرط (تم) وجوابه (نقص)، لأن ((معنى الشرط وقوع الشرط لوقوع غيره))[٢]، أي وقوع جواب الشرط لوقوع فعله، فالثاني متوقف على الأول، والأول يستلزم الثاني. وبذلك تتأكد العلاقة العميقة بينهما.

ومن المجاز العقلي أيضاً المتحقق في ضدين متقابلين **قوله(عليه السلام): (رُبَّ عَالِمٍ قد قتلَهُ جَهْلُهُ وعِلْمُهُ معَهُ لا ينفعُهُ)**[٣]. الضد الأول: قتله جهله، والضد الثاني: لا ينفعه علمه. فالجهل والعلم مجازيان عقليان، ولكن ليس في ذاتيهما وإنما في إسنادهما إلى القتل والنفع، وذلك على المستوى الحضوري (السياقي)، أي من خلال العلاقة الركنية (الفاعلية) بوصفهما فاعلين: الأول؛ فاعلاً للقتل والثاني؛ فاعلاً لعدم المنفعة، لأنهما سبب فيهما[٤]، أي أن الجهل سبب القتل والعلم سبب عدم المنفعة. ثم الربط الزمني بين الجملتين بـــ (الواو الحالية)، بدلالتها على الربط، أي ((بربطها ما بعدها بما قبلها))[٥]، أي بربطها الجملة الحالية بما بعدها، والمعنى: قتله جهله وهذه حاله، أي: بسبب حاله، وهي عدم الانتفاع بعلمه، ذلك أنّ مضمون الجملة الأولى مترتب على مضمون الجملة الثانية، فإنّ العالم الذي لا ينتفع بعلمه أي الذي ((يحفظ ولا يدري أو يعلم ولا يعمل أو ينقل ولا بصيرة له))[٦] فلابد أن يأتي الزمن الذي فيه يقتله جهله، ولهذا قال(عليه السلام): (عالم قتله جهله) ولم يقل: علمه، لأن العلم الذي لا يُعمل به ليس بعلم بل إنه الجهل الحيواني، ومصداقه في القرآن الكريم قوله جلّ وعلا: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ

---

[١] في ظلال نهج البلاغة: ٢٥٥/٤، وينظر: شرح ميثم البحراني: ٣٣٥/٥.
[٢] المقتضب: ٤٥/٢.
[٣] نهج البلاغة: ٥٠٤، حكمة: ١٠٢.
[٤] ينظر في دلالات إضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل له في الحقيقة: البرهان في علوم القرآن: ١٨١/٢.
[٥] شرح المفصل: ٢٤/٢، والهمع: ٤٥/٤.
[٦] شرح عبدة: ٥٢٣.

أَسۡفَارَۢاۚ﴾[1]. إذن العلاقة الغيابية المستبطنة بينهما هي (المساواة)، فالعالم الذي لا يعمل بعلمه هو والجاهل سواء. فضلاً عن السبك بالإحالة بالضمير (الهاء) في (جهله)، وهي إحالة قبلية إلى (عالم)، وبعدية إلى (علمه). كما أن في النص إحالة خارجية إلى المتلقي باللفظ غير المحدد، وهو (عالم)، فهو نكرة، بدلالة (رُبَّ)[2]، لأن النص لا يقصد شخصاً بعينه، وإنما للتحذير من موقف هكذا عينة من الناس. وهناك سبك معجمي أيضاً بالتكرار للفظ (عالم) مع اختلاف البنية، وفي هذا التكرار إحالة للربط بين أجزاء النص.

ومنه أيضاً قوله(عليه السلام): (**مَنْ لَمْ يُنْجِهِ الصبرُ أهلكَهُ الجزَعُ**)[3]، ففيهما ضدان حقيقيان في أصل الوضع، الأول: النجاة فيه ضد الهلاك[4]، والثاني: الصبر فيه ضد الجزع[5]. إلا أن المجاز وقع فيهما من جهة الإسناد، أي إسناد النجاة إلى الصبر والهلاك إلى الجزع، فالصبر والجزع فاعلان لفعليهما من جهة الاصطلاح النحوي، لأنهما ليسا فاعلين حقيقيين وإنما على جهة التجوز، مع ما في الإسناد المجازي من تفخيم للمعنى وتنبيه للسامع أو المتلقي[6]، وهذا ما لا نجده إذا ما تركنا المجاز وقلنا: (من لم يصبر لم ينج ومن جزع هلك)، أي أن في إسناد النجاة إلى الصبر والهلاك إلى الجزع تفخيم وتعظيم لصفتي الصبر والجزع وأثرهما في مصير الإنسان، إذ قد توديان به إلى الهلاك أو إلى النجاة، وهكذا يتنبه المتلقي إلى هذه الحقيقة.

والعلاقة العميقة بين هذه الأضداد جميعاً هي (ثنائية إبدالية)، أي إذا لم تكن النجاة فالهلاك، وإما الصبر أو الجزع. وقد ارتبط النص بعضه ببعض على مستوى الحضوري من خلال أسلوب الشرط بالحرف (مَن)، ((لأن حرف الشرط يقتضي جواب الشرط كما يقتضي فعل الشرط، ولهذا

---

[1] الجمعة: ٥.

[2] ينظر: حروف المعاني: ١٤.

[3] نهج البلاغة: ٥١٩، حكمة: ١٧٩.

[4] ينظر: القاموس المحيط: ١٢٢٧، مادة (ن.ج.ا).

[5] ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٤٧٤، مادة (ص.ب.ر).

[6] ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٩٤.

المعنى يسمى حرف الجزاء))[1]، وفعل الشرط هنا (لم ينجه) وجوابه (أهلكه)، فضلاً عن الإحالة بالضمير المتصل (الهاء) في (ينجه) إحالة بعدية إلى (أهلكه). وقدم هنا المفعول به (الهاء) في (ينجه، وأهلكه) وجوباً على فاعله (الصبر والجزع)[2]، وذلك لعظمة النفس الإنسانية وأهميتها[3]. وفي نفي النجاة وإثبات الهلاك خرق للمصاحبة المعجمية بين الضدين، أو بمعنى أدق انتفاء الضدية بين اللفظين، لأن معنى (لم ينجه): أهلكه، وهذا يعني الإشارة إلى انعدام الفرص للنجاة ،أي أن نفي النجاة إثبات وتأكيد للهلاك، والعكس صحيح.

---

[1] أسرار العربية: ٣٣٧.

[2] ينظر: التقديم والتأخير في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ٨٨.

[3] ينظر في أسباب التقديم والتأخير: البرهان: ٣/ ١٤٩-١٥٢.

المبحث الثالث: إيهام التضاد:

وهو الضرب الثالث من ضروب تقابل الضدين، وجعله ابن الناظم من أضرب المطابقة، وحدّه بقوله: هو ما كان أحد لفظيه حقيقة والآخر مجازاً[١]، مستشهداً عليه بقول أبي تمام الذي يذكر فيه الشيب[٢]:

له منظرٌ في العينِ أبيضُ ناصعُ ولكنهُ في القلبِ أسودُ أسفعُ

حيث قابل بين (أبيض ناصع) و (أسود أسفع)، الأول حقيقي والثاني مجازي. أما القزويني فجعله مما يلحق بالطباق[٣]، واستشهد عليه بقول دعبل[٤]:

لا تعجبي يا سَلْمُ من رجلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسِهِ فبكَى

فقوله (ضحك) تقابل مع (بكى)، وضحك المشيب مجازي، أما بكاء الشاعر فحقيقي.

فإيهام التضاد إذن هو((الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان))[٥]، أي أنهما في الظاهر ضدان وفي الباطن أو في المعنى أحدهما حقيقي والآخر مجازي، ولهذا سمي بإيهام التضاد، فلفظ الضد يوهم بأنه ضد مع أنه ليس بضد[٦].

فالأسود في قول أبي تمام هو ضد الأبيض، أي أنهما متقابلان بالضدية في الظاهر، إلا أنه في المعنى يراد بالأسود استعارة لما يحدثه الشيب في النفس من هم وحزن[٧]، وهذا ما لا يضاد البياض ولا يقابله، أي أنهما غير متقابلين في المعنى، وإنما قابل الشاعر بينهما لوجود علاقة أعمق بين ظاهر الألفاظ أو الأضداد، وهي علاقة (التباين)، فما تراه العين أبيضَ يراه القلب بلون مباين له هو الأسود، وهذا يعني عكس الصورة اللونية عبر التضاد.

---

[١] ينظر: المصباح: ١٩٢.
[٢] ديوان أبي تمام: ٣٢٤.
[٣] ينظر: الإيضاح:٢/٣٣٩-٣٤٠.
[٤] ديوان دعبل: ٢٠٤.
[٥] دراسات منهجية في علم البديع: ٤٨، وينظر: معجم البلاغة العربية:٧٤٢.
[٦] علم البديع: ٥٥.
[٧] ينظر: دراسات منهجية في علم البديع: ٤٨.

أما قول دعبل الذي قابل فيه بين ضحك الشيب وبكاء الشاعر، فالضحك فيه أيضاً استعارة، والمراد به ظهور الشيب وانتشاره، وهذا المعنى المقصود لا يضاد البكاء[١] وإنما يضاده الضحك، والعلاقة العميقة بينهما هي (المشابهة في الهيأة)، فبكاء الشاعر وهي هيأته تشابه ضحك الشيب الدال على ظهوره بكثرة وغزوه له وانتصاره عليه، لا ظهوره فحسب. وهذا المعنى لا يظهر إذا ما قال الشاعر(ظهر المشيب برأسه فبكى) والذي قد يكون ظهوره بدون كثرة.

ومما جاء منه في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ عَلَيۡهِ كُتِبَ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[٢]، فالأضداد هنا هي الضلال المقابل للهداية، الأول حقيقي، والثاني استعارة. والمعنى: يقوده إلى عذاب السعير. وإنما عدلت الآية المباركة عن هذا المعنى إلى لفظ الضد لإبراز العلاقة العميقة بينهما، وهي التماثل أو التشابه، لأن معنى يهديه: يضله، لأن الهداية إلى عذاب السعير هي نتيجة الضلال، وهذا ما لا نجده في لفظ (يقوده)، كما أن في العدول إلى لفظ (الهداية) يؤكد أن الهداية لا تقع من الشيطان، وإذا ما وقعت فهي هداية إلى عذاب السعير. إذن لم يأت بإيهام التضاد لإيراد المجاز فقط وإنما لإحضار علاقة عميقة غائبة في النص لا يمكن إثباتها أو استحضارها إلا بإيراد ضدها الذي هو المعنى المجازي لها.

ومنه أيضاً **قوله (عليه السلام): (شتَّانَ ما بينَ عملينِ: عملٍ تذهبُ لذتُهُ وتبقى تبعتُهُ، وعملٍ تذهبُ مؤونتُهُ ويبقى أجرُهُ)**[٣]. فالأضداد المتقابلة هنا هي (تذهب وتبقى) أو(يبقى)، الأول مجاز عقلي، لإسناد الذهاب إلى اللذة (المتعة) وإلى المؤونة (الكلفة والتعب). والثاني، أي البقاء حقيقي، والمراد ببقاء التبعة هو العقاب في الدنيا والآخرة، والمراد ببقاء الأجر هو الثواب في الدنيا والآخرة أيضاً[٤]. وإنما أسند الذهاب للذة والمؤنة، لينبّه السامع أو المتلقي إلى القوة الإرادية لهما المقابلة لضعف قوته، فكأنه ليس هو من مرّ باللذة أو الكلفة والتعب، في حين بقاء التبعة والأجر هو المتلقي

---

[١] ينظر: دراسات منهجية في علم البديع: ٤٨.

[٢] الحج: ٤.

[٣] نهج البلاغة: ٥٠٧، حكمة: ١١٥.

[٤] ينظر: شرح السيد عباس الموسوي: ٧٦١، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢٩٣/٤.

لهما بكل إرادته. وبذلك تبرز العلاقة التي جمعت بين الضدين في بنيتهما العميقة داخل النص وهي (المقارنة)، إذ إن اللذة والتعب في الدنيا مهما كانا كبيرين أو عظيمين فمصيرهما الذهاب مقارنة ببقاء العقاب والثواب فهما دائمان أو باقيان لا يزولان[١].

وهذا ما يؤكده السبك النحوي بإيراده اسم الفعل الماضي (شتان)، الذي بمعنى (افترق)[٢]، كما يؤكده التكرار اللفظي نفسه، وهو (عملين، عمل، وعمل)، وبذلك يقوم لعنصر المعاد بوظيفة الربط في النص، لأن الإحالة فيه واحدة. ثُمَّ الوصل بين الجملتين (بالواو)، فالربط بالواو جاء للتشريك في العمل والأجر، وذلك بسبب وجود علاقة المقارنة بينهما. وهناك السبك المعجمي بالتكرار أيضاً، في الجملتين اللتين جاءتا بدل كل من كل لقوله: (شتان بين عملين)، فالجملتان تفسير بعد إبهام وبيان بعد إجمال، وهذا هو التكرار، لأنه بمثابة شرح لما أجمل سابقاً، وبذلك يُعد مرجعية قبلية لما سبق إجماله، لما في البدل من إيضاح للمبدل ورفع لبس له[٣]،وبذلك ارتبط النص بعضه ببعض وسبك بعلاقة المقارنة بينهما.

ومن إيهام التضاد أيضاً **قوله (عليه السلام): (كلُّ وعاءٍ يضيقُ بما جُعِلَ فيهِ إلاّ وعاءَ العلمِ فإنَّه يتسعُ)**[٤]. فالضيق والسعة من الأضداد، إلا أن ضيق الأواني من الحقيقة، أما سعة وعاء العلم فإنه استعارة، والمراد به العقل. والمعنى: أن الأوعية المحسوسة متناهية الاتساع، فمن شأنها أن تضيق بما يجعل فيها، لأنها لا تتسع لأكثر من حجمها. أما العقل فغير متناهٍ، فكلما وضعت فيه شيئاً وسعه، لأنه يتسع بكثرة العلم[٥].

والعلاقة التي ربطت بين ضيق الإناء المحسوس من جهة، وسعة الآخر العقل من جهة أخرى هي العلاقة (المعاكسة)، حيث الإناء يبقى على حاله لا يتسع بل إنه قد يضيق بما جعل فيه. أما العقل فحركته مستمرة ويزداد اتساعاً بزيادة العلم والمعرفة.

---

[١] ينظر: شرح السيد عباس الموسوي: ٧٦١، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢٩٣/٤.
[٢] ينظر: الهمع: ١٢٣/٥.
[٣] ينظر: شرح المفصل: ٢٦٢/٢-٢٦٣.
[٤] نهج البلاغة: ٥٢١، حكمة: ١٩٥.
[٥] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٤١٦/٥، وشرح الشيخ محمد عبده: ٥٤٤، وشرح السيد عباس الموسوي: ٧٨٤.

وقد ارتبط الضدان على مستوى ظاهر النص ربطاً عكسياً بأداة الاستثناء (إلا)، حيث المستثنى منه (ضيق الأوعية) والمستثنى (سعة وعاء العلم)، فالاستثناء هنا تام منقطع، لأن سعة وعاء العلم ليس من جنس سعة الأوعية، ذلك أن المستثنى إن كان بعض المستثنى منه فمتصل، وإلا فمنقطع يقدر بـــ (لكن)[1]. أي أنّ كل الأوعية تضيق بما جُعل فيها إلا وعاء العلم فإنه يتسع ويحوي ما فيه، كما أن الإحالة بالضمير المستتر (هو) في (يتسع) فيه إحالة قبلية إلى (وعاء العلم)، كما أن تكرار اللفظ نفسه (وعاء) جعلت الكلام متصلاً ببعضه، لأنه أشار إلى أن النص يتحدث عن شيء واحد، هو الأوعية.

[1] ينظر: الهمع: ٣/٢٤٧.

تقابل المتماثلين

التماثل في اللغة: من مَثَلَ ((الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مِثلُ هذا، أي: نظيره. والمِثل والمِثال في معنى واحد))[١].

ولا يخلو التماثل في اللغة من المقابلة، فـ ((المِثَالُ: مقابلة شيء بشيء هو نظيره))[٢]، والنظير مرادف للمثيل، جاء في أساس البلاغة للزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) قوله: ((هذا الجيش يناظر ألفاً: يقاربه، وهو نظيره بمعنى مناظره، أي مقابله ومماثله))[٣].

أما اصطلاحاً: فهو ((أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى))[٤]، أو مقابلة الشيء بما يماثله، إذ عدّه ابن حمزة العلوي (ت: ٧٤٥هـ) من أنواع الطباق وجعله على وجهين؛ الأول: مقابلة مفرد بمفرد، والثاني: مقابلة جملة بجملة[٥].

أما الإمام بدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) فجعل من أقسام التقابل مقابلة الشيء بمثله، وهو عنده أيضاً ضربان؛ الأول: التماثل باللفظ دون المعنى، والثاني: التماثل في المعنى دون اللفظ[٦].

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٩٣٨، مادة (م.ث.ل).
(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ٧٦٠، المادة نفسها.
(٣) أساس البلاغة: ٢٨٣/٢، مادة (ن.ظ.ر).
(٤) العمدة: ٣٢١/١.
(٥) ينظر: الطراز: ٢٠١/٢-٢٠٢.
(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٨٣/٣.

إلا أنه في موضع آخر أطلق عليه ــ بدلاً من تقابل المتماثلين ــ مقابلة النظيرين مستشهداً عليه بقوله تعالى: ﴿ لَآ تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾[1]. قائلاً في تحليله لهذه الآية: إن مقابلة السنة بالنوم من تماثل النظيرين، لأنهما جميعاً من باب الرقاد المقابل لليقظة[2].

وفي حقيقة الأمر لا يوجد اختلاف بين ما أسماه تقابل المتماثلين وتقابل النظيرين، أما الاستشهاد القرآني فلا يخرج عن القسم الثاني من أنواع التماثل، ألا وهو التماثل في المعنى دون اللفظ. ولعل تسمية الزركشي الثانية هي التي جعلت الباحث محمد الهادي الطرابلسي يطلق على المفهوم نفسه مصطلح التناظر، إذ عده من أساليب التعبير عن الحركة[3]، إلا أنه عنى به ما أطلق عليه القزويني مصطلح (العكس والتبديل)[4] القائم بين التراكيب أو الجمل.

أما (المشاكلة) عند القزويني فهي ما عنى بها ابن حمزة العلوي (ت: ٧٤٥هـ) في تقابل التماثل المفرد بالمفرد مستشهداً عليها بالآية نفسها التي استشهد بها القزويني (ت: ٧٣٩هـ)[5]، وهي قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[6]. وبذلك دخل تحت تقابل التماثل فنان من فنون البديع المعنوية هما: (العكس والتبديل)، و(المشاكلة).

وهذا ما فعله الدكتور محمد عبد المطلب، إذ درس المشاكلة والعكس ضمن التماثل قائلاً في ذلك: ((وقد رصد القدماء عدة ألوان يمكن أن تندرج في هذا النمط التعبيري، رصدوها من حيث الشكل دون أن يقوموا بكشف دورها في بناء الأسلوب))[7].

---

[1] البقرة: ٢٥٥.
[2] ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٨١/٣.
[3] ينظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات: ١٣٠.
[4] ينظر: الإيضاح: ٣٥١/٢.
[5] ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٨/٢.
[6] الشورى: ٤٠.
[7] بناء الأسلوب في شعر الحداثة:٣١٥.

المراد إذن من (المشاكلة) مقابلة مفرد بمفرد والمراد بـــ (العكس والتبديل) مقابلة جملة بجملة. وبما أن الدراسة تقوم على مصطلح التقابل، لذا ارتأت أن تستبعد هذين المصطلحين وتختار التقابل التماثلي مفرد بمفرد، والتقابل التماثلي جملة بجملة.

أما تقسيمه حسب ما جاء عن الزركشي: التماثل في اللفظ دون المعنى، والتماثل في المعنى دون اللفظ فمجانب للصواب، ذلك أن مجيء اللفظ مرتين في الكلام دون دلالة أو غاية ولا سيّما في القرآن الكريم أمر غيرُ وارد وغير مقبول. أما التماثل في المعنى دون اللفظ فهذا ما يمكن للدراسة أن تتناوله ضمن مفهوم توسيع المصطلح، أي مصطلح تقابل المتماثلين، وبذلك تدخل بعض الفنون البديعية في تقابل المتماثلين، لاشتراكهما معه في مفهوم التماثل، ولكن في المعنى دون اللفظ. وهذه الفنون هي: مراعاة النظير، وتشابه الأطراف، والتفويف. وبذلك يمكن للدراسة أن تقسم الفصل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: التقابل التماثلي اللفظي مفرد بمفرد (المشاكلة).
المبحث الثاني: التقابل التماثلي اللفظي جملة بجملة (العكس والتبديل).
المبحث الثالث: التقابل التماثلي المعنوي.

وأهمية التماثل في علم الدلالة أو في إنتاج النصية تأتي من كونه ((عملية ذهنية خفية لابد وأن يعينها حدس داخلي أيضاً، ذلك أن الدال يرد كعنصر في بنية الأسلوب، ومن ثم يشغل الذهن فوراً بالارتداد إلى المدلول لإدراك المطابقة أو عدمها. وهذه مرحلة أولية تتبعها عملية (تخزين) في الذاكرة، بحيث تتراكم الدوال ملازمة لمدلولاتها تارة، ومنحرفة عنها تارة أخرى، فإذا ما ورد نفس الدال في نفس السياق جاء كعملية مزدوجة: أحدهما ربط الدال بمدلوله من ناحية، والأخرى الحدس الداخلي الذي يساعد على مطابقة المماثل بمماثله، أو بمعنى آخر مطابقة الجديد بالقديم، أو الثاني بالأول))[1].

[1] بناء الأسلوب في شعر الحداثة: ٣١٥.

هذا يعني أن التماثل أو التقابل التماثلي يوظف في النص كبنية دالة تعكس حركة الذهن عند مبدعها ثم تصل بنفس الحركة عند متلقيها ثانية، على أن يؤخذ في الاعتبار أن عملية التحرك الذهني تأخذ قمتها عند الوقوع على التماثل، أي عند مجيء الدال مرة ثانية، عندها يحاول المتلقي إدراك مدى الانحراف بين المدلولات لا بين الدوال[1]. أي أن تقابل المتماثلين يختبر ذهن المتلقي بتماثل الألفاظ (الدوال)، ويحركه لاستنباط العلاقة العميقة بينهما (المدلولات).

[1] ينظر: المصدر نفسه.

المبحث الأول: التقابل التماثلي مفرد بمفرد:

أو ما يسمى بالمشاكلة، و**المشاكلة في اللغة:** من شَكْل: المِثل، الشين والكاف واللام معظم بابه من المماثلة، تقول: هذا شَكْل هذا، أي: مثله[١]. ومنه ــ كما هو واضح ــ جاء المعنى الاصطلاحي للمشاكلة. **فالمشاكلة اصطلاحاً:** هي أن يأتي المتكلم بكلمتين متشاكلتين باللفظ مختلفتين بالمفهوم[٢] ويعرفها القزويني بقوله: ((هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً))[٣]. والمراد بقوله: تحقيقاً أو تقديراً هو أن يذكر اللفظان صراحة متشاكلين، أو أن يرد أحد اللفظين بالمعنى دون اللفظ متشاكلاً، أو يوحي النص باللفظ المتشاكل مع قرينه.

وتقوم المشاكلة على فكرة المخادعة[٤]، ذلك أن المتلقي يتوهم بأن المعنى في اللفظ الثاني هو نفسه في اللفظ الأول، فإذا فكر وتأمل علم أنه غيره[٥]، ومن هنا تبدأ حركة العقل في الربط بين الدوال في الظاهر وبين المدلولات في الباطن، حيث يمثل الخيال دوراً مؤثراً في هذا النمط التعبيري[٦]. ويرى الدكتور عبد الفتاح لاشين أن بلاغة المشاكلة تكمن في جمال العبارة وسمو البلاغة من خلال هذا التكرار الذي بدوره يكون سبباً لاستقرار المعنى في الذهن، ورسوخه في الفهم، وبذلك يكون أدعى للثبوت وعدم التفلّت[٧].

وقد ذكر البلاغيون باباً أسموه (باب الترديد) وهو عندهم غير (طباق الترديد)* وباب الترديد: هو ((أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ثم يردها بعينها ويعلقها بمعنى آخر، كقوله

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٥١١، والقاموس المحيط: ٩٣٧، مادة (ش.ك.ل).

(٢) ينظر: تحرير التحبير: ٣٩٣.

(٣) الإيضاح: ٣٤٨/٢.

(٤) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٠٦.

(٥) ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن: ٨١.

(٦) ينظر: بناء الأسلوب في شعر الحداثة: ٣١٦.

(٧) ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن: ٨١.

* وهو ما سنأتي إلى توضيحه في المبحث الثاني وبيان علاقته به.

سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾[1]، فالجلالة الأولى مضاف إليها والثانية مبتدأ بها))[2].

وهي ــ كما يلاحظ البحث ــ تشابه المشاكلة، ذلك أن المقابلة فيها بين لفظين متماثلين. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على تعدد المسميات للمفهوم الواحد فضلاً عن تكرارها بتعدد مسمياتها مما أثقل البلاغة العربية وصعّب درسها.

ومثاله في عبارات النهج **قوله (عليه السلام): (أعجزُ الناسِ مَن عجزَ عن اكتسابِ الإخوانِ، وأعجزُ مِنهُ مَن ضيعَ مَن ظَفِرَ بِهِ مِنهُمْ)**[3]. فاللفظان*المتماثلان هما (أعجز الناس) و (أعجز منه)، والعلاقة بينهما هي (المفاضلة)، أي المفاضلة بين من عجز عن تحصيل الإخوان وبين من ظفر بهم ثم ضيعهم. ذلك أن اكتساب الإخوان يحتاج إلى الملاقاة بالبِشر والطلاقة وغيرها من مكارم الأخلاق، وهي أمور سهلة وهينة ولذا كان العاجز عنها أعجز الناس، وأعجز منه من ظفر بهم وضيعهم، لأن المكتسب لابد له من كلفة ما في اكتسابهم، والظافر بهم لا يحتاج إلى ذلك. فكان حفظ الإخوان أسهل من تحصيلهم، لذا كان المضيع لحفظهم أعجز ممن اكتسبهم[4].

أكد هذا المعنى، أي معنى المفاضلة أو المقارنة السبك بالإحالة باسم التفضيل في الموضعين بحالين مختلفين، إذ من استعمالات اسم التفضيل أن يأتي مجرداً من (أل) والإضافة، وأن يأتي

---

[1] الأنعام: ١٢٤.

[2] تحرير التحبير: ٢٥٣، وبديع القرآن: ٩٦، وينظر: العمدة: ٣٣٣/١، والبديع في نقد الشعر: ٥١، والمصباح: ١٦٢، والطراز: ٤٧/٣، ٢٠٠، والبرهان في علوم القرآن: ١٨٩/٣.

[3] نهج البلاغة: ٤٨٨، حكمة: ٨.

* جاء عن ابن حمزة العلوي: ((إنما أوردنا ما ذكرناه في أمثلة المفردات، لأن كل ما ذكرناه في الأمثلة إما مبتدأ وخبر ... وإما شرط ومشروط ... وكله معدود في حيز المفردات، فلهذا عددناه في قسم المفرد، فضابط المماثلة أن كل كلام كان مفتقراً الى الجواب، فإن جوابه يكون مماثلاً كما قررناه. وإن كان غير جواب جاز وروده من غير مماثلة لفظية)). (الطراز: ٢٠٢/٢).

[4] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٣٠٣/٥.

مضافاً الى معرفة[1] وفي الموضع الأول جاء مضافاً إلى معرفة (الناس)، ويقصد بهذا التركيب أن من هذه حاله فإنه أعجز الناس جميعاً، أي هو العاجز الذي لا أعجز منه. أما الثاني وهو قوله (وأعجز منه) فجاء مجرداً من (أل والإضافة)، ولذا لزمته (مِن) التفضيلية[2]، وبذلك دلّ هذا التركيب على مشاركة المفضل في المعنى تحقيقاً، إلا أنه تجاوزه في الرتبة[3]، أي أن هذا اللفظ المماثل في الظاهر قد اختلف عنه بدلالته على تجاوزه في الأفضلية، والمعنى: أن من ضيع الإخوان بعد اكتسابهم أعجز ممن عجز عن اكتسابهم.

فضلاً عن ذلك الإحالة بالاسم الموصول (مَن) بإحالته القبلية إلى (أعجز الناس) وإحالته البعدية إلى الضمير المستتر (هو) في (عجز)، وكذلك ارتبط مقابله المثيل الثاني بالاسم الموصول الثاني في (من ضيع من ظفر به منهم). كما أنّ الإحالة بالضمير المتصل (الهاء) في (منهُ) إحالة قبلية إلى اسم التفضيل المعرف بالإضافة (أعجز الناس)، ثم الربط بالواو، أي وصل الجملتين بالواو، لعقد المفاضلة بين الأعجزين، فإنما جيء بالواو((حتى يكون المعنى في هذه الجملة لفقاً لمعنى في الأخرى ومُضامّاً لها))[4]، أي أن العاجز عن اكتساب الإخوان مضموم إليه في النفس جنباً الى جنب مع المضيع لهم، ومتشاركان في الأعجزية وحاضران معاً في الذهن، وإن كانا مختلفين في شدة العجز. فضلاً عن السبك المعجمي بتكرار اللفظ نفسه، وما يؤديه من ربط للنص، مع دلالته على وحدة الإحالة.

ومنه أيضاً **قوله (عليه السلام): (امشِ بِدائِكَ ما مشى بِكَ)**[5]. فالعلاقة بين المشيين هي (الترابطية)، ذلك أن مشي الإنسان بمرضه مرتبط بمشي المرض به، فلولا مشيه بالإنسان لما استطاع المشي إذا ما تأزمت حاله وتفاقم مرضه. ومعنى هذا أن الإمام (عليه السلام) يشير علينا بأن لا نسرع إلى الطبيب أو نلجأ إلى الفراش، أو نستعمل الدواء إلا بعد الاضطرار من عـــدم وجـــود

---

[1] ينظر: الهمع: ٥/١١٠-١١٢.
[2] ينظر: المصدر نفسه: ٥/١١٠.
[3] ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣/٤٥٤-٤٥٥.
[4] دلائل الاعجاز: ٢٢٥.
[5] نهج البلاغة: ٤٩٠، حكمة: ٢٣.

وسيلة للشفاء إلا بهم، لأن الدواء إن لم يفد فهو يضر[١].

والسبك بالعلاقات الركنية جاء بالربط الزمني بالحرف المصدري (ما)، الذي يقدر بمصدر نائب عن ظرف الزمان وتسمى الوقتية أو الظرفية[٢]، وبذلك يكون تقدير الكلام: (امش بدائك وقت مشيه بك)، وحذف الظرف (وقت) وخلفته (ما) وصلتها، وبذلك ارتبط آخر الكلام بأوله، لأن آخره ظرف زماني لأوله، هذا من جانب. ومن جانب آخر أثبت السبك التركيبي اختلاف اللفظين المتماثلين باللفظ، إذ اللفظ الثاني جاء ظرفاً للأول، هذا من جهة. ومن جهة أخرى أكد العلاقة الترابطية للمتلقي حتى لا يتوهم أو ينخدع بأن المعنى في اللفظ الثاني هو نفسه في اللفظ الأول. فضلاً عن الإحالة بالضمير المستتر (أنت) في (أمش) إحالة بعدية إلى (كاف المخاطب) في (دائك، وبك)، كما أن ضميري المخاطب (الكاف) فيهما إحالة خارجية إلى المتلقي، فهو خطاب لنا جميعاً، ولا يخص شخصاً بعينه.

ومن التقابل التماثلي مفرد بمفرد أيضاً **قوله (عليه السلام): (أفضلُ الزهدِ إخفاءُ الزهدِ)**[٣]. والعلاقة بينهما هي علاقة (الإبدالية)، فالزهد مفضول ولكن بديله، أي خفاءه أفضل، ذلك أن الزهد المكشوف الظاهر لا ينفك عن رياء وسمعة[٤]. أما الزهد الخفي بأن يلبس للناس بما يتآلف به معهم ولا يتحدث عن زهده أو يتصرف بما يشعرهم بزهده فإنه أفضل[٥].

أكد هذا المعنى (أفْعَل) التفضيل (أفضل) المضاف إلى المعرفة (الزهد) الدال على أفضلية إخفاء الزهد على الزهد نفسه، ثم ارتباط النص ربطاً معنوياً بالإسناد، إذ وقع (أفضل) مبتدأ خبره (إخفاء) جعل منه وحدة كلامية متماسكة البناء تامة المعنى. فضلاً عن تأكيد معنى الإبدالية باللفظ الثاني (الزهد) المجرور بإضافته إلى الخبر (إخفاء)، وبذلك ألغى وجود الزهد الأول، فكأن المعنى:

---

[١] ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢٣١/٤.
[٢] ينظر: الجنى الداني: ٣٣٠، والمغني: ٣٠٠.
[٣] نهج البلاغة: ٤٩٠، حكمة: ٢٤.
[٤] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٣١٠/٥.
[٥] ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢٣٢/٤.

الأفضل إخفاء الزهد، وفي ذلك سبك معجمي بتكرار اللفظ نفسه، إذ يقوم العنصر المعجمي المعاد بوظيفة الربط بين أجزاء النص، فضلاً عن دلالته على وحدة المحيل.

ومنه أيضاً **قوله (عليه السلام): (فاعلُ الخيرِ خيرٌ مِنهُ، وفاعلُ الشرِّ شرٌ مِنهُ)**[1]. والمماثلة هنا وقعت مرتين؛ الأولى: في قوله: (فاعل الخير خير منه) حيث الخيرين ذي دلالتين مختلفتين، فالأول مضاف إلى المبتدأ (فاعل) وهو مفعوله في المعنى، من إضافة الصفة الى مفعولها، وهي إضافة لفظية غير محضة[2]. والثاني: اسم تفضيل غير قياسي (خير) وقد أضمر فاعله، أي بمعنى آخر قد دلّ على فاعله[3]. ومثله المماثلة الثانية في قوله: (فاعل الشر شر منه).

هذا يعنى أن الخير والشر مفعولان، وخير وشر اسما تفضيل قد أضمرا فاعلين، تقديره (هو) الذي فيه إحالة بعدية إلى (فاعل الخير، وفاعل الشر). والمفعولان معرفان بـــ (أل) واسما التفضيل نكرتان، والاثنان فيهما إحالة خارجية إلى المتلقي، وهذا يعني أن الخير والشر ثابتان معروفان لدى البشر جميعهم، أما البشر فلا يعرفون إلا بأفعالهم إن خيراً فهم الأخيار وإن شراً فهم الأشرار. وكما أن اسمي التفضيل (خير، وشر) مجردان من (أل)، ولهذا وجبهما (مِن)، ((و(مِن) فيه لابتداء الغاية، فإذا قلت: زيد أفضل من عمرو، فكأنك قلت: علا فضله على هذا المقدار، فعلم المخاطب أنه علا عن هذا الابتداء، ولم يعلم موضع الانتهاء))[4]، وهذا يعني أن (فاعل الخير، وفاعل الشر) قد علا وفاض شرهما أو خيرهما عن الشر والخير نفسيهما، وفي ذلك نوع من التهويل والمبالغة لدرجة أنه لا نستطيع أن نعلم مدى خطرهما أو حجميهما أو بلوغ نهايتيهما القصوى.

كما أن تكرار اللفظ نفسه (فاعل) في بداية كل جملة عمل على الربط بين سابقتها ولاحقتها، إذ يقوم العنصر المعجمي المعاد بوظيفة السبك والتماسك المعجمي، لما في التكرار المعجمي من وحدة المحيل، فضلاً عن التكرار التركيبي، إذ تبدأ كل فقرة بـــ (المبتدأ والمضاف إليه + اسم

---

(1) نهج البلاغة: ٤٩٢، حكمة: ٢٨.
(2) ينظر: شرح المفصل: ١٢٧/٢-١٢٨، والهمع: ٢٧١/٤-٢٧٢.
(3) ينظر: الهمع: ١٠٧/٥، و: ٤٤/٦.
(4) شرح المفصل: ١٢٧/٤.

التفضيل + مِن التفضيلية + المفضل عليه). وكما أن ارتباط الجملتين بـــ (الواو) زاد من تماسك النص، حيث العلاقة الضدية بين لفظي (الخير والشر)، وفي ذلك إشارة إلى أن فاعلي الخير والشر مقترنان معاً، فحيث يكون الخير يكون ضده الشر حاضراً معه في الذهن، أو بمعنى آخر يشير الإمام (عليه السلام) إلى إمكانية حضور المتنافرين في مكان واحد ووقت واحد، وبذلك يخرق قاعدة عدم إمكانية اجتماعهما.

أما على المستوى الغيابي فالعلاقة الغيابية بين الألفاظ المتماثلة (الخير وخير، والشر وشر) علاقة (علة بمعلول) أو سبب بمسَبب، فاسما التفضيل خير وشر سبب وعلة لفعلي الخير والشر، أي أن فاعل الخير خيرٌ من الخير وفاعل الشر شرٌ من الشر، فالفاعل علة للفعل والعلة أقوى من المعلول، لأن الخير والشر ليسا عبارة عن ذات حية قادرة، وإنما هما فعلان لهما، فبانعدامهما ما انتفع أحد بالخير ولا أستضر بالشر، فالنفع والضر إنما حصل بهما لا منهما، ولهذا كان فاعل الخير أو الشر أقوى في خيريته أو شريته من الخير أو الشر[1]. وبذلك يمكن أن يرتبطا بعلاقة عميقة أخرى هي (التضايف)، إذ لا يمكن أن يوجد الخير دون فاعله، كما لا يمكن أن يوجد فاعل الشر دون وجود شره.

ومن التقابل التماثلي مفرد بمفرد أيضاً **قوله (عليه السلام): (قد بُصِّرتُمْ إنْ أبصرتُمْ، وقد هُدِيتُمْ إنْ اهتَدَيتُمْ، وأُسْمِعتُمْ إنِ استَمعتُم)**[2]. فالألفاظ المتقابلة تقابلاً تماثلياً ربطت بعلاقة (السببية) بين كل زوجين منهما، فليس هناك من إنسان يبصّره أحد على أمر مالم يبصر هو بنفسه أولاً ويقتنع بهذا الأمر، عندها تستطيع أن تقول إن هذا الأحد كان سبباً في إبصاره، وكذلك الهداية والسمع. وفي ذلك يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[3].

---

[1] ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ١١٨/١٨، وشرح ميثم البحراني: ٣١٩/٥، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢٣٧/٤.
[2] نهج البلاغة: ٥١٦، حكمة: ١٤٧.
[3] الرعد: ١١

ولهذا بنى الأفعال الأولى للمجهول، أي أن بناء الفعل للمجهول هو للاهتمام بالحدث، إذ ليس الفاعل هو المهم وإنما المفعول نفسه، فالفاعل لا يتعلق بذكره غرض[١]، وإنما العبء كله يعود على المفعول، الذي هو نائب الفاعل الضمير المتصل (التاء مع ميم الجماعة) في الأفعال (بُصّرتم، وهُديتم، وأُسمعتم)، أي هو من يبصر، ويهتدي، ويسمع. ويقابل هذه الأفعال أمثالها ولكن بالبناء للمعلوم، وارتباطها ارتباطاً لفظياً بأسلوب الشرط، وذلك بوقوعها أفعالاً لأسلوب الشرط وجوابها الأفعال المبنية للمجهول، مما يؤكد العلاقة السببية بينها، ذلك أن ((معنى الشرط: وقوع الشيء لوقوع غيره))[٢]، أي وقوع الجواب بسبب وقوع الشرط. وإنما قُدم الجواب على الشرط لأهميته[٣]. وهذه الدلالة تؤيد وتقوي ما ذهبت الدراسة إليه في سبب بناء الأفعال للمجهول.

إلا أنه من جانب آخر ــ بعد أن تقدم جواب الشرط على فعل الشرط ــ اقترن الجواب بـــ (قد) وفي هذه الحالة يجب ارتباط (قد) بالفاء، لربط الجواب بالشرط، ذلك أن الشرط والجزاء لا يصحان إلا بالأفعال[٤] وتقدير الكلام: (إنْ أبصرتم فقد بُصّرتم وإنْ اهتديتم فقد هُديتم وإن استمعتم فقد أُسمعتم) و(قد) الأخيرة مقدرة، ذلك أن الفاء ((تجب في الماضي مصدّراً بقد ظاهرة أو مقدرة))[٥]، إلا أنه لما تقدم الجواب لم يحتج إلى الربط بالفاء لتقدمه[٦].

وإنما قدم لأن في تأخيره إخلال بالمعنى كما هو واضح من التقدير، ذلك أن النص سيوحي بأن لا إرادة للإنسان في الاستبصار أو الهداية أو الاستماع، وإنما هي خارجة عن إرادته، فمن شاء الله هدايته فهو المهتدي ومن ضل فلا إرادة له في ذلك أيضاً، وهذا لا يجوز وينزه عنه تعالى. وفي النص نلاحظ أيضاً السبك المعجمي بتكرار (قد)، وفي تكرارها ربط للنص من جهة، ومن جهة أخرى إشارتها إلى وحدة المحيل، فضلاً عن دلالة الربط بـــ (قد) على الربط الزمني بين التبصير بعد الإبصار، والهداية بعد الاهتداء، والتسميع بعد الاستماع.

---

[١] ينظر: أسرار العربية: ٨٨، والهمع: ٢٦٢/٢.
[٢] المقتضب: ٤٥/٢.
[٣] ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ٢٠٤.
[٤] ينظر: سر صناعة الإعراب: ٢٥٣/١.
[٥] ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١١١/٤.
[٦] ينظر: المصدر نفسه: ٩٨/٤.

كما أن العلاقة السببية نفسها هي التي جمعت بين هذه الألفاظ في نص واحد، ذلك أن الاستبصار كان بسبب الهداية، والهداية حصلت بسبب الاستماع. ولهذا ربط بين هذه الجمل بالواو، فهي متفقة بالخبرية لفظاً ومعنىً مع وجود علاقة التماثل بينها ولا مانع من الوصل. بل أن الفصل بينها قد يبيّن العكس، أي يجعل الإبصار غير الهداية وهما غير السمع، وهذا ما لا يجوز.

كما أنّ النص سبك بالإحالة بالضمير (ميم الجماعة)، إذ فيه إحالة قبلية وبعدية في النص كله، فضلاً عن التكرار التركيبي الذي حقق السبك المعجمي من خلال تكرار (قد) التي أفادت التقريب، بدخولها على الفعل الماضي[١]، إذ التركيب: (قد + الفعل المبني للمجهول + إنْ + الفعل المبني للمعلوم).

ومنه أيضاً **قوله (عليه السلام): (ماءُ وجهِكَ جامدٌ يُقطرُهُ السؤالُ، فانظرْ عندَ مَنْ تُقطِرُهُ)**[٢]. فالتماثل مفرد بمفرد وقع في لفظي (يُقطره وتُقطره)، ومعنى اللفظ الأول هو الحياء أو الكرامة[٣]، ((ويحتمل أن يكون كناية عمّا يعرض من العرق عند خجل السائل بسؤاله واستحيائه))[٤]. ومعنى اللفظ الثاني (تُقطره) هو بذل السؤال، أي، فا ((سأل من هو أهل للسؤال من أصحاب الشرف والكرامة الذين يحفظون كرامات الناس ويعرفون قيمة السؤال))[٥].

وقد سبك النص ببعضه البعض باللفظين المتماثلين إذ وقع اللفظ الأول في جملة خبرية اشتملت على ضمير (الهاء) في (يقطره)، وهي خبر للمبتدأ في الجملة الأولى (الماء). ووقع اللفظ الثاني في جملة معطوفة على ما قبلها بالفاء الرابطة الدالة على التعقيب بمهلة، أي((أن الفاء قد تكون للمهلة بمعنى ثُمّ))[٦]، ويسمى الربط اللفظي الزمني، هذا يعني أن التقطير الثاني لم يلِ الأول، وفي ذلك نوع من التأني والتفكر في اختيار من نسأله حاجتنا، فكأنه (عليه السلام) قال: إذا أردت

---

[١] ينظر: حروف المعاني: ١٣.
[٢] نهج البلاغة: ٥٤٦، حكمة: ٣٣٦.
[٣] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٤٨٥/٥، وفي ظلال نهج البلاغة: ٤١٨/٤.
[٤] شرح ميثم البحراني: ٤٨٥/٥.
[٥] شرح السيد عباس الموسوي: ٨٢٠.
[٦] ينظر: الجنى الداني: ٦٢، والمغني: ١٦٨.

سؤال الحاجة، فاختر من هو أهل للسؤال من أصحاب الشرف والكرامة الذين يحفظون كرامات الناس ويعرفون قيمة السؤال، ثم سل حاجتك، وتقدير الكلام: (فانظر عند من لا يقطره).

هذا يعني أن العلاقة التي جمعت بين اللفظين على المستوى الغيابي هي (التناقضية)، أي اختلاف مدلول التقطيرين، فالأول حصل فيه التقطير، أي نزول ماء الوجه، بينما الثاني لم يحصل، لاختياره أشرف الناس وأفضلهم.

كما أن الإحالة بالضمير المتصل (الهاء) في (تقطره) فيه إحالة قبلية إلى الضمير المتصل (الهاء) في (يُقطره)، وهما معاً فيهما إحالة قبلية إلى (الماء)، وفي الإحالة بضمير المخاطَب إحالة خارجية إلى المتلقي، لأن الإمام يحاول أن يعطينا صورة واضحة لمن يقضي الحوائج دون أن يقطر ماء وجوهنا، وبذلك تلاحم النص وتداخلت أجزاؤه.

المبحث الثاني: التقابل التماثلي جملة بجملة:

المراد بالتقابل التماثلي جملة بجملة: العكس والتبديل، **والعكس في اللغة:** ((هو ردك آخر الشيء على أوله))[١]. أما **التبديل في المعجم اللغوي** فيأتي من: بَدَلَ، وبدّل الشيء: غيّره، واستَبْدَلَ الشيء بغيره وأبْدَلَهُ به: إذا اتخذ منه بدلاً[٢].

والعكس والتبديل كمصطلح: مقارب لمعناه اللغوي، فهو في الاصطلاح: ((أن يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر))[٣]. وعرفه ابن أبي الإصبع المصري (ت: ٦٥٤هـ) بقوله: ((هو أن يؤتى بكلام آخره عكس أوله، كأنه بدّل فيه الأول بالآخر والآخر بالأول))[٤]، مستشهدين عليه بالقرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾[٥]، وقوله عزّ من قال: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ ﴾[٦]. وبعض البلاغيين القدماء يكتفون بإطلاق إحدى هاتين المفردتين على هذا المفهوم، أي العكس[٧] أو التبديل[٨].

وفي موضع آخر يطلق ابن أبي الإصبع المصري مصطلح (طباق الترديد) على مفهوم مشابه للعكس والتبديل ويعده من أقسام الطباق، يقول فيه: ((طباق الترديد: وهو أن يرد آخر الكلام المطابق على أوله ... ومثاله قول الأعشى:[٩]

لا يَرقعُ الناسُ ما أوهُوا وإنْ جَهَدُوا طُولَ الحياةِ ولا يُوهُون ما رَقَعُوا))[١٠]

---

[١] معجم مقاييس اللغة:٦٦٢، وينظر: القاموس المحيط: ٥١٧، مادة (ع.ك.س).

[٢] ينظر: القاموس المحيط: ٨٨٨، مادة (ب.د.ل).

[٣] الإيضاح: ٣٥١/٢.

[٤] بديع القرآن: ١١١، وينظر: تحرير التحبير: ٣١٩-٣٢٠.

[٥] الممتحنة: ١٠.

[٦] الأنعام: ٥٢.

[٧] ينظر: الصناعتين: ٣٧١، والبديع في نقد الشعر: ٤٦، والبرهان في علوم القرآن: ٢٨٦/٣.

[٨] ينظر: سر الفصاحة: ٢٠٣-٢٠٤.

[٩] في الديوان: لا يَرقعُ الناسُ ما أوهى وإن جَهَدوا طُولَ الحياةِ ولا يُوهون ما رقعا
ديوان الأعشى: ١١١.

[١٠] تحرير التحبير: ١١٥، وبديع القرآن: ٣٣.

ويلاحظ البحث أن في هذا الشاهد الشعري تقديماً وتأخيراً كما في الآية القرآنية على العكس والتبديل. وبذلك يمكن أن نجعل المصطلحين اسمين لمفهوم واحد، ونختار المصطلح الأول وهو العكس والتبديل، لوضوحه ومطابقته لمعناه اللغوي. وبذلك نقلل من الفنون البديعية المتكررة، ولا سيّما وأن القزويني لم يرد عنده مصطلح طباق الترديد أو العكس وحده أو التبديل منفرداً، وإنما ورد عنده مصطلح واحد هو العكس والتبديل[١]. يؤيد ما ذهبنا إليه أن إحدى الباحثات المعاصرات وهي الدكتورة ابتسام أحمد حمدان عدّت الترديد من الفنون البديعية التي تقوم على التناظر[٢]، أي التماثل. وبذلك نصل إلى المخطط الآتي:

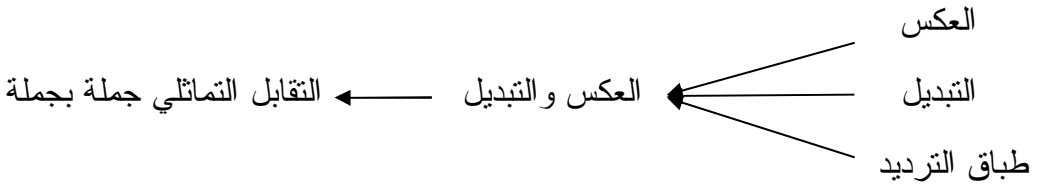

وبنية العكس والتبديل ((بنية ثنائية لا تتم إلا بين التراكيب، فلا مدخل لها بين المفردات، كما أن هذه الثنائية لا تقوم على نفي أحد الطرفين للآخر، بل من المحتم تلازمهما، لكنه تلازم مع المغايرة، على معنى أن اكتمال بنية العكس، مجيء الطرف الثاني يترتب عليه تعديلاً في المعنى على نحو من الأنحاء، لأن التغاير في شكل التركيب ــ كما قلنا مراراً ــ يقتضي تغاير الناتج الدلالي))[٣]. ويقصد بقوله: المغايرة أو التغاير: المتغايران، ذلك أن التقابل التماثلي بين الجمل، أو العكس والتبديل تشترك الألفاظ فيه ظاهراً، أي مشتركان في اللفظ، ومتغايران في المعنى.

ومن التقابل التماثلي جملة بجملة **قوله (عليه السلام): (لسانُ العاقلِ وراءَ قلبِهِ، وقلبُ الأحمق وراءَ لسانِهِ)**[٤]. فالتماثل بين الجملتين واضح جداً، والعلاقة بينهما هي (المقارنة) بين الحالين أو (المعاكسة) بين الشخصيتين، فالعاقل يقدم قلبه على لسانه، بينما الأحمق يقدم لسانه على قلبه،

---

[١] ينظر: الإيضاح:٢/٣٥١.
[٢] ينظر: الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي: ٢٩١.
[٣] بناء الأسلوب في شعر الحداثة: ٣٢١.
[٤] نهج البلاغة: ٤٩٣، حكمة: ٣٦.

والعاقل والأحمق هما من ولدا التماثل بين الجملتين من خلال المعاكسة بين الألفاظ، وعلى الشكل الآتي:

العاقل ← لسانه ← وراء ← قلبه
الأحمق ← قلبه ← وراء ←لسانه

وفي شرح هذه الحكمة يقول السيد الشريف الرضي: ((إن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مشاورة الروية ومؤامرة الفكرة، والأحمق تسبق حذفات لسانه وفلتات كلامه مراجعة فكره ومماخضة رأيه. فكأن لسان العاقل تابع لقلبه، وكأن قلب الأحمق تابع للسانه))[١]. وإذا تبع اللسان القلب كان القلب قائداً واللسان مقوداً والعكس هو الصحيح، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على عمق العاقل وسطحية الأحمق[٢]، فاللسان لا يذكر كل ما يخبئه قلب العاقل، بعكس الأحمق الذي يكون مكشوفاً للناس وهذه من نعم المولى جلّ وعلا. يؤكد هذا المعنى قوله (عليه السلام) لهذه الحكمة بلفظ آخر هو: (قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه)[٣].

وعلى مستوى العلاقات الحضورية فقد وصل بين الجملتين بالواو لوجود المناسبة بينهما إذ العلاقة الضدية بين لفظي (عاقل وأحمق)، لأن الأحمق في أصل اللغة: نقصان العقل أو قلته[٤] وهذا يعني المنافرة بين شخصين، لكنهما حاضران في وقت واحد وفي مكان واحد، وفي ذلك إشارة إلى أن المقام مقام مقارنة بين شخصيتين يمثلان فردين حاضرين، أو موجودين في مجتمع أكبر يؤثران ويتأثران، ولذا ينبه الإمام من خلال هذا النص على أفضلية العاقل على الأحمق ببيان صفات كلٍّ منهما. كما أنّ التكرار اللفظي لكلمة (وراء) بما فيه من إحالة قبلية في اللفظ الثاني المكرر أثره في سبك النص ظاهرياً بعد أن حبك في بالعلاقة الغيابية من خلال التعاكس أو المقارنة بين الموفقين.

---

[١] المصدر نفسه: ٤٩٣.
[٢] ينظر: أساليب البديع في نهج البلاغة، اطروحة دكتوراه: ١٣٠-١٣١.
[٣] نهج البلاغة: ٤٩٣، حكمة: ٣٧.
[٤] ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٦٤، والقاموس المحيط: ٨٠٨، مادة (ح.م.ق).

ومنه **قوله (عليه السلام): (الغنى في الغربةِ وطنٌ، والفقرُ في الوطنِ غربةٌ)**[1]. فالتماثل هنا استبطن علاقة (السببية) بين الجملتين، فكما أن سبب التوطين الغنى، فعكسه وهو سبب التغريب الفقر، وهذا يعني أن في تماثل الجمل أضداداً، هما (الغنى، والفقر)، هما من ولّدا التماثل بين الجملتين من خلال إعطاء كل ضد صورة هي عكس لصورة الضد الثاني وبديل لها، وبذلك اختلفت نتيجة الضدين إلى ضدين آخرين هما (وطن، وغربة)، اللذين جاءا عكساً لسياقهما، وعلى الشكل الآتي:

الغنى ←—— الغربة ——→ وطن
الفقر ←—— الوطن ——→ غربة

فنتيجة الغنى: وطن، الذي هو عكس لسياقه (في الغربة). ونتيجة الفقر: غربة، الذي هو أيضاً عكس لسياقه (في الوطن)، وبذلك تحقق التعاكس على مستوى النص بأكمله. ((ومعنى هذا أن الغنى وطن بذاته سواء أكان في مكان الولادة أم في غيره، وأن الفقر غربة وسجن وتشريد أينما يكون حتى في مسقط الرأس))[2]. ولهذا وصل بين الجملتين ــ على مستوى العلاقات الحضورية ــ بالواو، لاتفاقهما في الخبرية لفظاً ومعنى ووجود المناسبة بينهما وهي علاقة التضاد بين (الغنى والفقر)، إذ مثلما وطّن الغنى الغريب عكس المعنى فبانَ حال الفقير الذي غرّبه فقره، ليبيّن أثر الفقر ودوره في هدم الشعور بالوطنية ومعاناة الأفراد وضياع انتماءاتهم لأوطانهم، وبالوصل بين المتنافرين يستطيع المتلقي أن يتعقل وجودهما معاً، أي يمكن أن يكون الغنى لشخص غريب في بلد ما سبباً للمواطنة، في حين يكون الفقر لشخص آخر سبباً لغربته وانتفاء وطنيته في البلد نفسه. كما أنّ في السبك المعجمي بالتكرار التركيبي إذ (المبتدأ + الجار والمجرور + الخبر) في الجملتين أثره في سبك النص وتماسكه.

ومثله **قوله (عليه السلام): (مَرارةُ الدنيا حَلاوةُ الآخرةِ، وحَلاوةُ الدنيا مَرارةُ الآخرةِ)**[3]. فالتماثل هنا واقع بين الجمل أو بين جملة بجملة، والعلاقة الغيابية بين الجملتين هي (اللزومية)، أو ما يسمى بالتلازم الذكري، فالدنيا تستلزم ذكر الآخرة، كما أنّ المرارة تستلزم ذكر الحلاوة،

---

[1] نهج البلاغة: ٤٩٥، حكمة: ٥١.
[2] في ظلال نهج البلاغة: ٤/٢٥٠.
[3] نهج البلاغة: ٥٢٨، حكمة: ٢٤٢

والمرارة والحلاوة مما يتذوقهما اللسان، ولعل الغاية من إيرادهما هو تقريب صورة الأعمال الدنيوية بأقرب المحببات إلى الإنسان ومقارنتها بالجزاء الآخروي. وفي ذلك يقول الشيخ البحراني: ((الحلاوة والمرارة للذة والألم، وظاهر أن آلام الدنيا اللازمة عن ترك لذاتها وعدم الألتذاذ بها طلباً للآخرة وشوقاً إلى ثوابها مستلزمة لحلاوة الآخرة ولذاتها، وكذلك الابتهاج للذات الدنيا يستلزم الغفلة عن الآخرة وترك العمل لها وذلك مستلزم لعذابها ومستعقب لشقاوتها))[1].

وعلى مستوى العلاقات الاستمرارية الحضورية، فقد سبك النص سبكاً معجمياً بالمصاحبة المعجمية، وهي علاقة (الضدية)، إذ المرارة ضد الحلاوة، والدنيا ضد الآخرة، ذلك أنه ((لما كانت الدنيا ضد الآخرة وجب أن يكون أحكام هذه ضد أحكام هذه* ... فإذا كان في الدنيا أعمال هي مرة المذاق على الإنسان قد ورد الشرع بإيجابها فتلك الأفعال تقتضي وتوجب لفاعلها ثواباً حلو المذاق في الآخرة. وكذلك العكس فما كان من المشتهيات الدنيوية التي قد نهى الشرع عنها توجب ــ وإن كانت حلوة المذاق ــ مرارة العقوبة في الآخرة))[2].

كما أنّ السبك المعجمي بالتكرار التركيبي (المبتدأ + الخبر)، والربط المعنوي بالإسناد، إذ أخبر عن مرارة الدنيا بـــ (حلاوة الآخرة) وحلاوة الدنيا بـــ (مرارة الآخرة)، وربط الجملتين بالواو، التي جمعت بين الأضداد بالسبب والنتيجة، إذ الحلاوة بسبب المرارة، والمرارة بسبب الحلاوة، وبذلك ترابط النص وتماسك.

ومن التقابل التماثلي جملة بجملة **قوله (عليه السلام): (الوفاءُ لأهلِ الغدرِ غدرٌ عندَ اللهِ، والغدرُ بأهلِ الغدرِ وفاءٌ عندَ اللهِ)**[3]. وعلاقة التضاد في هذا النص واضحة أيضاً بل تكاد تسيطر عليه بأكمله، فالوفاء غدر والغدر وفاء، ويسميه أحد الباحثين بـــ (التناظر عبر التضاد)، إذ يقول فيه: ((إذا ما أخذنا الجملتين بمعزل عن إضافتهما يتضح ذلك، نحو: (الوفاء غدر) و (الغدر وفاء)، وهنا

---

[1] شرح ميثم البحراني: ٤٣٥/٥.

* والمناسب للسياق لفظ (تلك) إشارة إلى الآخرة البعيدة.

[2] شرح ابن أبي الحديد: ٧٥/١٩.

[3] نهج البلاغة: ٥٢٩، حكمة: ٢٥٠.

تجسيد لظاهرة (التناظر عبر التضاد)))[1]، إلا أننا هنا لا نعزل الجمل بعضها عن بعض كما فعل الباحث، وإنما ندرسها كنص متكامل يؤثر ويتأثر، ولاسيّما أن سياق النص متعلق بأهل الغدر، لأنه مركزه والعامل في إنتاج الأضداد، ذلك أنه عندما يستحضر النص ضده الآخر، ويلقي بظلال ذلك على المتلقي ليستحضره في ذهنه، ألا وهو (الوفاء لأهل الوفاء وفاء عند الله، والغدر بأهل الوفاء غدر عند الله)، يلحظ أن العلاقة بين الجملتين هنا طردية، فما كان وفاءً فهو وفاء، وما كان غدراً فإنه غدر.

وبذلك نستطيع أن نكشف العلاقة المستبطنة بين الجملتين في الحكمة العلوية ألا وهي (الإبدالية التعاكسية)، فما كان وفاء لأهل الغدر فإنه غدر عند الله، وما كان غدر بأهل الغدر فهو وفاء عند الله، والانتهاء إلى هاتين النتيجتين المختلفتين وهما (غدر عند الله) و (وفاء عند الله) كان بسبب هذه العلاقة، ولهذا ربط بين الجملتين بالواو، أي للإشارة إلى الجمع بين المتضادين (الوفاء، والغدر)، بالعلاقة التعاكسية، فضلاً عن التكرار التركيبي، بما فيه من سبك معجمي، من خلال الإحالة في العناصر المكررة.

والنتيجة كانت أن ارتبطت الجملتان بعضهما ببعض وسبكتا ظاهراً بعلاقة التضاد وحبكتا عمقاً بالعلاقة الإبدالية التعاكسية. والملاحظ أن (أهل الغدر) قد جر بحرفين مختلفين، الأول: باللام التي تفيد الاستحقاق، والثاني: بالباء التي تفيد الإلصاق[2]، وذلك لدلالة متعلقة بالضدين، فبما أن الوفاء لأهل الغدر ليس باستحقاقهم جاء بحرف اللام الدال على هذا المعنى، أما الغدر بهم فهو استحقاقهم وجزاؤهم عندها جاء بالباء التي ألصقت المعنى بهم.

ومنه أيضاً **قوله (عليه السلام): (أحبِبْ حبيبكَ هوناً ما عسى أنْ يكونَ بغيضكَ يوماً ما، وأبغِض بغيضَكَ هوناً ما عسى أنْ يكونَ حبيبكَ يوماً ما)**[3]. والعلاقة الضدية أيضاً واضحة جداً في هذا النص، وهي من ولّدت التماثل بين الجملتين ولكن بطريقة العكس والتبديل في الكلمات، وجعلت

---

[1] المستويات الجمالية في نهج البلاغة: ٧٦.

[2] ينظر: المغني: ١١٠، ٢١١.

[3] نهج البلاغة: ٥٣٥، حكمة: ٢٥٩.

المتلقي في حركة دائمة مع هذه المفردات التي حركت الزمن وقلبته رأساً على عقب، فهذه الحكمة تدعو إلى الاعتدال في حب الحبيب وبغض البغيض، فربما دارت الأيام فصار الحبيب عدواً والعدو حبيباً، فإن حدث هذا الانقلاب كان الإنسان على استعداد تام له حتى لا يقع في الندم[١].

العلاقة الغائبة إذن في النص هي (المساوة) في الكمية أو المقدار. أكد هذا الاعتدال أو المساواة في مقدار الحب ومقدار البغض السبك المعجمي بالتكرار التركيبي، ذلك أن الجملتين جاءتا ((متناسقتين بناءً وتركيباً فلا زيادة بين الجملتين ولا نقصان في عدد الحروف والكلمات وطريقة نظمها))[٢]. كما أن الإحالة بالضمير المستتر (أنت) في فعل الأمر (أحبب) إحالة بعدية إلى الضمير نفسه في فعل الأمر (أبغض).

وفي استعمال ضمير المخاطَب إحالة خارجية إلى المتلقي، لأن في هذا النص درس في طريقة التعامل مع مَن حولنا من الأصدقاء والأعداء، ولهذا وصل بين الجملتين بالواو ((حتى يكون المعنى في هذه الجملة لفقاً لمعنى في الأخرى ومُضامّاً لها))[٣]، أي أن الهون في حب الحبيب عسى أن يكون بغيضاً مضموم إليه في النفس عكسه فهو يستحضره دون ذكره، ذلك أن قوله (عليه السلام): عسى أن يكون بغيضك، معناه: أبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك. وقوله (عليه السلام): عسى أن يكون حبيبك، معناه: أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك.

ومن التقابل التماثلي بالجملة أيضاً **قوله (عليه السلام): (أصدقاؤُك ثلاثةٌ، وأعداؤُك ثلاثةٌ؛ فأصدقاؤُك: صديقُكَ وصديقُ صديقِكَ وعدوٌّ عدوِّكَ. وأعداؤُك: عدوُّكَ وعدوٌّ صديقكَ وصديقُ عدوِّك)**[٤]. فالتماثل وقع هنا في العكس والتبديل للصديق والعدو، والعلاقة بين الجملتين هي الضدية أيضاً، فصديقك يقابل عدوك، وصديق صديقك يقابل عدو صديقك، وعدو عدوك يقابل صديق

---

[١] ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ١٢٩/١٩، وشرح ميثم البحراني: ٤٥١/٥، وشرح الشيخ محمد عبده: ٥٦٠، وفي ظلال نهج البلاغة: ٣٧٩/٤.

[٢] قصار حكم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، رسالة ماجستير: ٢٢٥.

[٣] دلائل الإعجاز: ٢٢٥.

[٤] نهج البلاغة: ٥٣٩-٥٤٠، حكمة: ٢٨٦.

عدوك. والعلاقة بين كل هذه المتقابلات هي الضدية. إلا أن النص استبطن علاقة أخرى داخل العلاقة الضدية ألا وهي علاقة (المشاركة أو المشابهة)، وهذا باعتقادنا ما أراد الإمام أن يوصله إلينا من خلال هذه الحكمة. فالعلاقة التي جمعت بين أصدقائك (الصديق، وصديق الصديق، وعدو العدو) هي المشابهة أو المشاركة فيما بينهم من مبادئ أو صفات أو أفكار. وكذلك هي العلاقة نفسها التي جمعت بين أعدائك (العدو، وعدو الصديق، وصديق العدو). أما العلاقة التي جمعت بين هاتين المجموعتين فهي علاقة (المعاكسة وعدم الانسجام) فيما بينها من أفكار أو صفات أو مبادئ[١]، وهذا على المستوى الغيابي.

أما على المستوى الحضوري أو ظاهر النص فقد أكد علاقة عدم الانسجام والتعاكس من خلال المخالفة في الربط بحرف العطف، إذ عطف جملتين على ما قبلهما بحرفين مختلفين الأولى: بالفاء التي أفادت الترتيب الذكري، وهو عطف مفصل على مجمل[٢]، ومعناها ((كون المذكور بعدها كلاماً مرتباً على ما قبلها في الذكر، لا أن مضمونها عقب مضمون ما قبلها في الزمان))[٣]، وهذا يعني تحقق السبك المعجمي بالتكرار، لأن التفصيل بمثابة التكرار لما أُجمل، وفي ذلك إحالة قبلية للمجمل. والثانية: بالواو التي أفادت الترتيب أيضاً، إذ ((ذهب قوم الى أنها للترتيب))[٤]، وبذلك فهي تقع أيضاً في باب التفصيل، لأنها معطوفة على الجملة التي قبلها.

وهذان الحرفان وإن ربطا النص بعضه ببعض إلا أن المخالفة بينهما أكدت قرب المتلقي أو المخاطب من أصدقائه بالفاء لالتصاقه بلفظ (أصدقاؤك) وبعده من أعدائه بالواو لانفصاله عن لفظ (أعداؤك)، والقرب يعني المشاركة والمشابهة والبعد يعني المعاكسة وعدم الانسجام.

---

[١] ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٤/٣٩٥-٣٩٦.

[٢] ينظر: المغني: ١٦٧-١٦٨.

[٣] شرح الرضي على الكافية: ٤/٣٨٥.

[٤] ينظر: الجنى الداني: ١٥٨.

المبحث الثالث: التقابل التماثلي المعنوي:

بعد استقراء فنون البديع المعنوية، ونظراً لعرضها على تقابل التماثل، ونتيجة لتوسيع المصطلح يمكن أن ندرس بعض هذه الفنون ضمن هذا التقابل، ولا سيّما أن القزويني قد أدخلها جميعاً ضمن مصطلح أو فن (مراعاة النظير) وقد انتهت الدراسة إلى أن النظير أو تقابل النظيرين هو عينه تقابل المتماثلين[١]، وهذه الفنون هي:

أولاً: مراعاة النظير:

والنظير في اللغة: من نَظَرَ، ((والنَّظِيرُ: المَثِيل))[٢]، ونظير الشيء مثله، أي مقابله ومماثله[٣]. وهذا المعنى اللغوي يؤكد دخوله ضمن مفهوم تقابل التماثل.

وفي الاصطلاح: يعني ((التناسب والائتلاف والتوفيق أيضاً، وهو أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد، كقوله تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٍ﴾[٤]))[٥]. فالشمس والقمر ليسا متضادين وإنما متماثلان في المعنى، بسبب وجود علاقة التناسب بينهما، وعلاقة التناسب تأتي من علاقة أخرى أعمق هي التجانس، أي باشتراكهما بالجنس، لكون الشمس والقمر من جنس الكواكب لذا هما متجانسان، أي متماثلان[٦].

ثانياً: تشابه الاطراف:

من مسوغات دراسته في هذا المبحث أنّ القزويني جعله من مراعاة النظير، وعنده هو: أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى، كقوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ

---

(١) تُراجع صفحة: ٧٦.

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٨١٤.

(٣) ينظر: أساس البلاغة: ٢٨٣/٢، مادة (ن.ظ.ر).

(٤) الرحمن:٥.

(٥) الإيضاح: ٣٤٣/١، وينظر: التلخيص: ٣٥٤، وخزانة الأدب: ٣٣٥/٢.

(٦) ينظر: المنطق، المظفر: ٤٦/١.

وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[1]، فاللطيف يناسب (لا تدركه الأبصار)، والخبير يناسب (وهو يدرك الأبصار)[2].

ونلاحظ هنا أيضاً بروز علاقة التناسب بين ألفاظ الأطراف المتشابهة، وهو السبب الثاني الذي دعا إلى دراسة هذا الفن ضمن تقابل التماثل المعنوي. ولهذا أسماه بعضهم المناسبة[3]. أما تشابه الأطراف فيريدون به معنى آخر هو: تشابه الآيات القرآنية أو الأبيات الشعرية في أطرافها كقول المولى سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ ﴾[4].

فالمصباح في نهاية الطرف مشابه لبداية الطرف الثاني، ومثله الزجاجة، وشواهده في الشعر كثيرة[5]، كقول أبي نواس[6]:

خزيمةٌ خيرُ بني خازمِ وخازمٌ خيرُ بني دارمِ
ودارمٌ خيرُ تميمٍ ومـــا مثلُ تميمٍ في بنـــي آدمِ
إلا البهاليلُ بنـــو هاشم وهم سيوفٌ لبني هاشمِ

فالملاحظ من المفهوم الثاني أن هذا الفن قائم على التكرار اللفظي[7]، إلا أنه لا يخلو من تماثل في المعنى، فالأطراف المتشابهة تتناسب فيما بينها بالمعنى، وفي ذلك يقوا ابن معصوم المدني (ت: ١١٢٠هـــ): ((وفي هذا النوع، أعني تشابه الأطراف دلالة على قدرة عارضة الشاعر، وتصرفه في الكلام ، وإطاعة الألفاظ له، ولا يخلو مع ذلك من حسن موقع في السمع

---

[1] الأنعام: ١٠٣.
[2] ينظر: الإيضاح: ٣٤٤/٢، والتلخيص:٣٥٤.
[3] ينظر: تحرير التحبير: ٣٦٣، وبديع القرآن: ١٤٥، وخزانة الأدب: ٤٥٨/٢.
[4] النور: ٣٥.
[5] ينظر: تحرير التحبير: ٥٢٠-٥٢١، وبديع القرآن: ٢٢٩-٢٣٠.
[6] ديوان أبي نواس: ٣٢٧/١.
[7] ينظر: بناء الأسلوب في شعر الحداثة: ١١٥.

والطبع، فإن معنى الشعر يرتبط ويتلاحم به حتى كأن معنى البيتين أو الثلاثة معنىً واحداً))[١]، وبذلك يكون لدينا نوعان من تشابه الأطراف:

الأول: تشابه الأطراف في اللفظ، ولا يخلو من معنى، كما في الشواهد الشعرية.

الثاني : تشابه الأطراف في المعنى، كما في الآية المباركة ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[٢].

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على اضطراب المصطلح واضطراب مفهومه عند البلاغيين، فإذا ما رجعنا إلى مفهوم المناسبة عند القزويني نراه يطلق عليها فن التفويف[٣]. وبما أن الدراسة اعتمدت تقسيمات القزويني لفنون البديع المعنوية، لذا ستفرده بالبيان لتحديد مفهومه ومدى بعده أو قربه من مصطلح المناسبة الذي نجده عند ابن أبي الإصبع المصري[٤].

ثالثاً: التفويف:

التفويف في اللغة: ((أصله من الفُوف وهو نقط بياض في أظفار الأحداث، الواحدة فوفة))[٥].
ومعناه الاصطلاحي عند القزويني (ت: ٧٣٩هـ): ((هو أن يؤتى في الكلام بمعان متلائمة في جمل مستوية المقادير أو متقاربتها))[٦].

أما ابن أبي الإصبع المصري (ت: ٦٥٤هـ) فقد ربط بين معنى التفويف لغةً واصطلاحاً، فقال: اشتقاق التفويف من الثوب الذي فيه خطوط بيض، والحبة البيضاء في النواة، وهي التي تنبت منها النخلة، والفوفة القشرة البيضاء التي تكون على النواة. فكأن المتكلم خالف بين جمل المعاني

---

[١] أنوار الربيع في أنواع البديع في أنواع البديع: ٣/٥٠.
[٢] الأنعام: ١٠٣.
[٣] ينظر: الإيضاح: ٢/٣٤٥.
[٤] ينظر: تحرير التحبير: ٣٦٣، وبديع القرآن: ١٤٥.
[٥] أساس البلاغة: ٢/٤٠، وينظر: القاموس المحيط: ٧٧٧، مادة (ف.و.ف).
[٦] الإيضاح: ٢/٣٤٥.

في التقفية كمخالفة البياض لسائر الألوان، لأن سائر الألوان أشد منه، إذ هو بسيط وهي مركبة، إلا السواد فإنه لا يقبل تركيباً البتة، فهو ضد البياض، ولا جرم أن الجمع بينهما في الكلام يسمى مطابقة[١].

أما معناه في الاصطلاح، فجاء عنه: ((والتفويف في الصناعة: عبارة عن إتيان المتكلم بمعان شتى من المدح أو الغزل أو غير ذلك من الفنون والأغراض، كل فن في جملة من الكلام منفصلة من أختها بالتجميع غالباً، مع تساوي الجمل المركبة في الوزنية، ويكون بالجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة))[٢].

ويرى البحث أن المفهومين متقاربان سواء عند ابن أبي الإصبع المصري أو القزويني، ودليلنا على ذلك استشهادهما بالأمثلة نفسها[٣]، كما في قول عنترة[٤]، الذي نطق بالتفويف المركب من الجمل الطويلة:

إن يُلحَقوا أكرُرْ وإن يستلحِقوا أشدُدْ وإن نَزَلوا بِضَنْكٍ أَنْزِلِ[٥]

ومنه ما جاء من الجمل المتوسطة قول أبي الوليد ابن زيدون[٦]:

تِهْ أحتمِلْ، واحتكِمْ أصبِرْ، وعِزَّ أهُنْ ودِلَّ أخضَعْ، وقُلْ أسمَعْ، ومُرْ أُطِعِ[٧]

---

[١] ينظر: تحرير التحبير: ٢٦٠.

[٢] المصدر نفسه: ٢٦٠-٢٦١، وينظر: بديع القرآن: ٩٨.

[٣] ينظر: تحرير التحبير: ٢٦١، والإيضاح: ٣٤٦/٢.

[٤] في الديوان: إنْ يُلحَقوا أكرُرْ وإنْ يُستَلْحَموا أشدُدْ وإنْ يُلفَوا بضنكٍ أنزلِ
ديوان عنترة: ٢٤٨.

[٥] ((إن يلحقوا: يدركوا عدوهم. أكرر: أهجم. إن يستلحقوا: إن يطلبوا لحاقي بهم. أشدد: أركض خيلي وأسرع بها. ضنك: ضيق وشدة. والحديث عنه مع قومه)). (الإيضاح: ٣٤٦/٢).

[٦] في الديوان: تِهْ أحتمِلْ، واستَطِلْ أصبِرْ، وعِزَّ أهُنْ وولَّ أقْبِلْ، وقُلْ أسمَعْ، ومُرْ أطِعِ
ديوان ابن زيدون: ١٧٠.

[٧] ((ته: تكبر. احتكم: تصرف على هواك. عز: تمنع وتعال. أهن: أذل وأخضع. دل: تجرأ على من تكبر ولطف)). (الإيضاح: ٣٤٦/٢).

كما أن التناسب واضح فيما بين الجمل الشعرية، وبذلك يمكننا أن نجعل المفهومين مفهوماً واحداً ومكملاً كلا منهما الآخر. ذلك أن المقصود بـــ (تساوي المقادير) في تعريف القزويني للتفويف: هو التوازي النحوي والتوازي الصوتي، وهذا هو المنصوص عليه في تعريف ابن أبي الإصبع المصري لهذا الفن[١].

إلا أنه من جانب آخر نلاحظ أن أبا هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـــ) قد أطلق على هذا المفهوم مصطلح (جمع المؤتلف والمختلف)، وقال في حدّه: ((هو أن يجمع في كلام قصير أشياء كثيرة مختلفة أو متفقة))[٢]، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾[٣].

وهذا المعنى لا يخرج عن المفهومين السابقين لمعنى التفويف، كما أن الآية المباركة لا تخلو من علاقة التناسب فيما بين جملها، لأن العدل يراد به العدل الاجتماعي، والإحسان كذلك. أما إيتاء ذي القربى حقه، والنهي عن الفحشاء والمنكر، والبغي، فهذه كلها أيضا واقعة ضمن المجتمع فهي إذن داخلة في العدل والإحسان.

وقد ذكرنا في مدخل حديثنا عن التفويف أنّ ابن أبي الإصبع المصري أطلق مصطلح المناسبة على ما أسماه القزويني تشابه الأطراف. وأن القزويني أطلق مصطلح التفويف على ما أسماه ابن أبي الإصبع المصري المناسبة[٤]، والجميع أطلق عليها صاحب سرّ الفصاحة ابن سنان الخفاجي (ت: ٤٦٦هـــ): تناسب الألفاظ من طريق المعنى[٥]. إلا أنه وسع دائرة هذا الباب وجعله

---

[١] ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٢٨.
[٢] الصناعتين: ٤٠١.
[٣] النحل: ٩٠.
[٤] ينظر: تحرير التحبير: ٣٦٣، وبديع القرآن: ١٤٥، والإيضاح: ٣٤٤/٢-٣٤٥.
[٥] ينظر: سر الفصاحة: ١٩٩.

يضم التقابلات بأنواعها، أي تقابل التضاد، وتقابل التماثل، وتقابل التخالف[١]. والدراسة قد فصّلت القول في ذلك، وبيّنت الخطة فيها، ووزعت الفصول عليها مما يغني إعادة القول فيها.

وعوداً على بدء تلاحظ الدراسة أن المصطلحات الثلاثة (مراعاة النظير، وتشابه الأطراف، والتفويف) تشترك جميعاً في علاقة التناسب، ولهذا أدخلها القزويني جميعاً في مراعاة النظير[٢]. أما المحدثون فيطالعنا الدكتور جميل عبد المجيد الذي أشار إلى ذلك صراحةً، إذ أدخلها جميعاً ضمن علاقة التناسب، وعرّف هذه العلاقة بقوله: ((وهي علاقة تعني التناسب بين معاني جمل لا مفردات، ووجوه التناسب أكثر من أن تحصى))[٣].

هذا يعني أن التناسب من العلاقات الدلالية العميقة التي تحبك النص داخلياً، إلا أنها تختلف باختلاف الجمل والتراكيب، فقد تتناسب بالنوع (تماثل) كما في محمد وجعفر، فهما فردين من نوع واحد، أو في الجنس (تجانس) كالإنسان والفرس، باعتبار اشتراكهما بالحيوانية، أو في الكم (تساوي) في المقدار، أو في الكيف (تشابه) في الهيأة. والاسم العام للجميع هو (التماثل)[٤].

لذا ارتأت الدراسة أن تسمي هذا المبحث بالتقابل التماثلي المعنوي ليضم بذلك هذه المصطلحات جميعاً، ويتجنب هذه التفرعات الاصطلاحية والمفاهيم المتداخلة.

---

[١] ينظر: المصدر نفسه:١٩٩-٢٠٤.

[٢] ينظر: الإيضاح: ٣٤٣/٢-٣٤٧.

[٣] البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٦٧.

[٤] ينظر: المنطق، المظفر: ٤٦، وأساسيات المنطق: ١١٥، والمنطق الصوري: ١٨٩-١٩٦.

فمن تقابل التماثل المعنوي (مراعاة النظير):

ومثله **قوله (عليه السلام): (الفكرُ مرآةٌ صافيةٌ، والاعتبارُ منذرٌ ناصحٌ، وكفى أدباً لنفسِكَ تجنبُكَ ما كرهتَهُ لغيرِكَ)**[1]. فالفكر والاعتبار والأدب من الألفاظ والمعاني المتناظرة، لتماثلها في (النوع) باعتبارها صفات أخلاقية يتحلى بها الفرد، كما أنها ترتبط ببعضها البعض، فلولا الفكر الصافي لم يكن هناك اعتبار أو تجنب ما تكره لغيرك، والذي هو تأديب للنفس، هذا يعني تحقق السبك المعجمي بالمصاحبة المعجمية بعلاقة التلازم الذكري، فإذا ذُكر الفكر ذُكر الاعتبار، والاعتبار يستلزم ذكر التأديب، ولهذا وصل بين الجميع بالواو، لإثبات هذه العلاقة التلازمية فيما بينها، فهي وإن كانت جميعها متماثلة في النوع إلا أن الوصل بينها بالواو فيه نوع من خصوصية كلٍّ منها، وأثره في إكمال الآخر وتكامله.

وهذا يعني أن الربط بالواو ربط إضافي، الغاية منه إضافة أحدهما للآخر، وتتميمه، فضلاً عن الإحالة بالضمير المخاطَب (الكاف) في العبارة الأخيرة دون العبارتين الأولى والثانية، لما في ذلك من إحالة خارجية مقامية للمتلقين جميعهم، وللأزمان كلها، وللإشعار بأن الخطاب أو النص لا يتحدد بزمنه وشخوصه فقط.

ومنه **قوله (عليه السلام): (اعجَبُوا لِهذا الإنسانِ ينظرُ بشحمٍ، ويتكلمُ بلحمٍ، ويسمعُ بعظمٍ، ويتنفسُ من خَرْمٍ)**[2]. فقد نبه الإمام إلى عظمة وإبداع الخلق الإلهي بالإشارة إلى أربع آلات هي: البصر والكلام والسمع والتنفس، التي تكون بأربعة أعضاء هي: العين واللسان والأذن والأنف، وجميعها في بدن الإنسان[3]. أي أنها تتجانس أو تتماثل بـــ (الجنس) لاشتراكها في بدن الإنسان. ((وخصها بالذكر لكونها مع ضعفها ضرورية في وجود الإنسان على شرفه وعلو رتبته في المخلوقات ولا يقوم إلا بها ليكون ذلك محل التعجب واعتبار لطف الصانع الحكيم))[4]. والربط بين

---

[1] نهج البلاغة: ٥٤٩، حكمة: ٣٥٥.

[2] المصدر نفسه: ٤٨٧، حكمة: ٤.

[3] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٥/٣٠٠-٣٠١، وفي ظلال نهج البلاغة: ٤/٢٢١.

[4] شرح ميثم البحراني: ٥/٣٠٠-٣٠١.

هذه الجمل بالواو تستدعيه المناسبة بين ألفاظها، لأنها داخلة جميعاً في باب العجب منها، فهي على صغرها لا يستطيع الإنسان العيش بدونها، ويختل توازنه بفقد إحداها. كما تحقق السبك المعجمي من خلال المصاحبة بعلاقة الجزء بالجزء، إذ الأعضاء جميعها التي ذُكرت أجزاء متعلق بعضها بالبعض الآخر، فهي أجزاء ضمن جزء أكبر منها، هو الرأس، والرأس جزء من جزء آخر هو البدن، وهكذا. وإنما خصت بالذكر، لأنها أصغر وأدق شيء في الإنسان إلا أنها ضرورية لتواصله، إذ لا يغني عنها شيء.

وكما أن الإحالة بضمير الجماعة (الواو) في (اعجبوا)، إحالة بعدية إلى اسم الإشارة (هذا)، الذي فيه إحالة قبلية إلى الضمير المتصل في (اعجبوا)، فهو يشير إلى ما يثير العجب، من خلال الربط السببي باللام، كما أن فيه إحالة بعدية إلى الضمائر المستترة في (ينظر، ويتكلم، ويسمع، ويتنفس) وبذلك تحقق السبك والحبك في النص العلوي.

ومثاله أيضاً **قوله (عليه السلام): (مِن كفاراتِ الذنوبِ العظامِ إغاثةُ الملهوفِ، والتنفيسُ عن المكروبِ)**[1]، فإغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب من مراعاة النظير، بل إنهما شيء واحد[2]، لذا هما متماثلان في (الكم)، أي: متساويان في المقدار، ولهذا جعل الإمام علي (عليه السلام) نتيجتهما واحدة هي إنهما من كفارات الذنوب العظام.

وفي الحكمة العلوية تقديم وتأخير، أي تقديم المسند (الخبر) وتأخير المسند إليه (المبتدأ)، وإنما قدم المسند (من كفارات الذنوب العظام) ليثير تساؤلاً وتشويقاً لمعرفة ماهية الأمر الذي يكفر به الإنسان عن الذنوب العظام[3]، فجاء المسند إليه ليشبع فضول المتلقي أو المخاطب فكان بـــ (إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب). والربط بالواو هو للجمع بينهما، وللدلالة على أنهما شيء واحد.

---

[1] نهج البلاغة: ٤٩٠، حكمة: ٢٠.

[2] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٣٠٨/٥، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢٣٠/٤.

[3] ينظر: التقديم والتأخير في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ٦٢.

ومثله **قوله (عليه السلام): (الصلاةُ قربانُ كلِّ تقيٍّ، والحجُ جهادُ كلِّ ضعيفٍ، ولكلِّ شيءٍ زكاةٌ، وزكاةُ البدنِ الصيامُ، وجهادُ المرأةِ حسنُ التبعلِ)**[1]. فالصلاة والحج والزكاة والجهاد جميعها من مراعاة النظير، ذلك أنها في علاقتها الغيابية تماثلت فيما بينها في (النوع) باعتبارها جميعاً من العبادات[2]. وربط بينها بالواو للإشارة إلى ضرورة اجتماعها معاً، بوصفها جميعاً من التكاليف الواجبة على العبد.

ومن التماثل المعنوي (تشابه الأطراف في اللفظ):

مثاله **قول أمير البلاغة والبيان علي بن أبي طالب (عليه السلام): (الظفرُ بالحزمِ، والحزمُ بإجالةِ الرأي، والرأيُ بتحصينِ الأسرارِ)**[3]. حيث تتشابه نهاية كل فقرة ببداية الفقرة التي تليها لارتباطها معها في المعنى. فالظفر بالنصر مرتبط بالحزم وهو التخطيط أو الضبط، والحزم مرتبط بإجالة الرأي أي إعماله أو دراسته دراسة علمية، وإجالة الرأي تتم بالسر وطي الكتمان[4]. فالتماثل فيما بين هذه الألفاظ في علاقته الغيابية جاء في (النوع) باعتبارها جميعاً أسباباً بعضها لبعض. فالحزم سبب للظفر، وإجالة الرأي في اختيار المصلحة سبب للحزم، وكتمان السر سبب في صلاح الرأي، لأن في إعلانه فساده[5].

والربط بين الجمل بالواو للتشريك بينها في علاقة السببية، فضلاً عن الإشارة إلى ضرورة اجتماع هذه المعطوفات معاً لتأدية النتيجة الصحيحة، وهي: الظفر. كما أن في النص إحالة مقامية خارجية، لأنه بمثابة الجواب عن سؤال افتراضي، ربما استحضره ذهن المتلقي، وهو: كيف يتحقق الظفر؟. فضلاً عن السبك المعجمي بتكرار اللفظ نفسه مرتين، وهكذا يقوم العنصر المعجمي المعاد بوظيفة الربط في النص، بما فيه من وحدة الإحالة.

---

[1] نهج البلاغة: ٥١١، حكمة: ١٢٩.
[2] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٣٨٣/٥.
[3] نهج البلاغة: ٤٩٥، حكمة:٤٣.
[4] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٣٢٨/٥، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢٤٧/٤، وشرح السيد عباس الموسوي: ٧٤٤.
[5] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٣٢٨/٥.

وهذا اللون البديعي ((لا يعتمد على توقع القارئ كما في الألوان السابقة، وإنما يعتمد على مفاجأته ببدء يتفق مع الختام، ومن المفاجأة يتم إحداث الأثر الأسلوبي على مستوى الدلالة ومستوى الإيقاع الصوتي))[١]. أي فكأنما (عليه السلام) قال: (الظفر بتحصين الأسرار) إذ نلاحظ الاختصار المشحون بالفائدة أيضاً، فما بين الظفر وتحصين الأسرار هو ما يفاجئ المخاطب، إذ التفصيلات الدقيقة التي ربَّما يغفل عنها ليكون مصيره الفشل الذريع.

ومثله أيضاً **قوله (عليه السلام): (لأنسُبَنَّ الإسلامَ نسبةً لم ينسُبْها أحدٌ قبلي، الإسلامُ هو التسليمُ، والتسليمُ هو اليقينُ، واليقينُ هو التصديقُ، والتصديقُ هو الإقرارُ، والإقرارُ هو الأداءُ، والأداءُ هو العملُ)**[٢]. وهنا يسترسل الإمام بالمفاجآت الواحدة تلو الأخرى بما يصدم المتلقي بترابط المعاني وتلاحم الألفاظ، فيجعله مشدود الأسماع لا يجد دون الإصغاء محيصاً، حيث الأطراف المتشابهة تتماثل فيما بينها في (النوع)، باعتبارها جميعاً (مقدمات) الواحدة منها تستلزم الأخرى، فالإسلام يلزمه التسليم لله، والتسليم يلزمه اليقين، واليقين يلزمه التصديق، والتصديق يلزمه الإقرار[٣]، وهكذا حتى نهاية النص، إذ يظل المعنى يتحرك في مساره الأفقي وصولاً إلى المعنى النهائي المنبثق من النص بأكمله[٤].

والربط بالواو على مستوى ظاهر النص هو بسبب وجود علاقة التلازم، أو علاقة اللازم بملزوم بين الألفاظ، لإبراز تلاحمها وتداخلها في تأدية المعنى التام الذي لا نقص فيه، وهذا يعني تحقق المصاحبة المعجمية بعلاقة التلازم الذكري، فضلاً عن السبك المعجمي بتكرار العنصر المعجمي المعاد نفسه، والتكرار التركيبي المتحقق في الجمل، إذ تتكون من (المبتدأ + ضمير الفصل + الخبر)، مع ما في هذا التناسق التركيبي من إشارة إلى مساواتها في الأهمية، فجميعها مقدمات إلى العمل، فكأنما الإمام (عليه السلام) قال: (الإسلام هو العمل).

---

[١] بناء الأسلوب في شعر الحداثة: ١١٦.

[٢] نهج البلاغة: ٥٠٨، حكمة: ١١٨.

[٣] ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ٢٥١/١٨، وشرح ميثم البحراني: ٣٧٣/٥.

[٤] ينظر: أساليب البديع في نهج البلاغة، اطروحة دكتوراه: ٢١١.

ومنه **قوله (عليه السلام) في بعض حكمه المجموعة في نص واحد: (... مَن كَثُرَ كلامُهُ كَثُرَ خطؤُهُ، ومَن كَثُرَ خطؤُهُ قلَّ حياؤُهُ، ومَن قلَّ حياؤُهُ قلَّ ورعُهُ، ومَن قلَّ ورعُهُ ماتَ قلبُهُ، ومَن ماتَ قلبُهُ دخلَ النارَ)**[1]. فالأطراف هنا متشابهة في اللفظ، والأحداث فيها تتسابق دونما توقف وكأن السرعة هنا هي التي تسيطر على النص، فلا مهلة ولا أناة ولا تريث، فما أن يقرأ المتلقي العبارة الأولى حتى يرى نفسه يصل إلى العبارة الأخيرة، فكأنه عليه السلام قال: (من كثر كلامه دخل النار)[2].

والجمل التي بينها تتماثل في (النوع) أيضاً، لأنَّها أسباب بعضها لبعض فكل واحدة منها تستلزم الأخرى[3]، وتشترك جميعاً في إتمام المعنى حتى تصل إلى ختام النص وهو دخول النار. والربط بالواو مما يتطلبه النص ويحث عليه، ذلك أن المعطوفات بين (من كثر كلامه، ودخل النار) هي التي أنارت للمتلقي عواقب أو نتائج كثرة الكلام التي أودت بصاحبه دخول النار، فضلاً عن الربط بأسلوب الشرط، الذي يؤكد العلاقة السببية بين الأطراف المتشابهة، وذلك لدلالته على سببيّة الأول ومسببيّة الثاني[4]، فضلاً عن السبك المعجمي بالتكرار التركيبي بأسلوب الشرط في الجمل المكونة للنص، كما أن الإحالة بضمير الغائب إحالة خارجية مقامية تصف أجواء خاصة قد نمر بها جميعاً، إذ لا يتوقف النص عند شخص واحد وموقف جامد، وإنما يشمل زمان أوسع بشخوصه كلها.

ومنه أيضاً **قوله (عليه السلام): (ألا وإنَّ مِن البلاءِ الفاقةَ، وأشدُّ مِن الفاقةِ مرضُ البدنِ، وأشدُّ مِن مرضِ البدنِ مرضُ القلبِ، ألا وإنَّ مِنَ النعَمِ سَعَةُ المَالِ، وأفضَلُ مِن سَعَةِ المَالِ صحةُ البَدَنِ، وأفضَلُ مِن صِحَّةِ البَدَنِ تقوى القلْبِ)**[5]. فالأطراف هنا تكاد تكون متشابهة في اللفظ، لولا تقابل المتضادين الحاصل بين (البلاء، والنعم)، ذلك أنّه وإن كان لفظ البلاء لمطلق الاختبار بالخير

---

[1] نهج البلاغة: ٥٤٦، حكمة: ٣٣٩.

[2] ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ٢١٩/١٩، وشرح ميثم البحراني: ٤٨٨/٥.

[3] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٤٨٧/٥-٤٨٨، وفي ظلال نهج البلاغة: ٤٢٠/٤.

[4] ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٨٦/٤.

[5] نهج البلاغة: ٥٥٥، حكمة: ٣٧٨،

والشر، فتدخل في ذلك النعم، لأنها من الخير[1]، إلا أنه بحكم السياق دلّ على الاختبار بالشر، وذلك لوجود الفاقة، ومرض البدن، ومرض القلب، فضلاً عن مقابلته بالنعم.

وفيها أشار (عليه السلام) إلى درجات البلاء وتفاوتها بالشدة والضعف، وإلى ما يقابلها من درجات النعم وتفاوتها بالشدة والضعف أيضاً. ومعنى هذا أن الجمل في الحكمة العلوية قد اختلفت في الكمية أو المقدار شدة وضعفاً، إلا أنها من جانب آخر تماثلت في معنى عميق هو تشابهها في (الهيأة أو الكيفية)، باعتبارها جميعاً من البلاءات، ذلك أنه لما كان ((البلاء في الخير والشر، والله تعالى يبلي العبد بلاء حسناً وبلاء سيئاً))[2]، والنعم من الخير أو البلاء الحسن، دلّت على أنها من البلاءات. ودليلنا في ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[3]. والملاحظ هنا أن المتضادين (البلاء، والنعم) هما من أنتجا التماثل المعنوي، هذا فضلاً عن الألفاظ المتقابلة في النص، وعلى الشكل الآتي:

البلاء ← الفاقة (الفقر) ← مرض البدن ← مرض القلب (فسقه)
النعم ← سعة المال (الغنى) ← صحة البدن ←تقوى القلب (صحته)

إذ أنّ النص يدور حول (البلاء والنعم)، وحول نتيجتهما (مرض القلب، وتقواه)، فكأنه (عليه السلام) قال: (ألا وإنّ من البلاء مرض القلب، ألا وإنّ من النعم تقوى القلب)، إلا أن المعنى استدعى أن يأتي بدرجات البلاء ودرجات النعم، ليتبّين حجمهما ومنزلتهما وأثرهما في حياة الإنسان الدنيوية والآخروية، ولينّبه المتلقي على أفضليتهما مقارنة بغيرهما.

وعلى مستوى العلاقات الاستمرارية على ظاهر النص نلاحظ الربط بالواو لوجود علاقة التضاد بين لفظي(البلاء، والنعم) هذا من جهة، ومن جهة أخرى الربط بالواو جاء ليشرك

---

[1] ينظر: أساس البلاغة: ١/٧٧.
[2] معجم مقاييس اللغة: ١٣٤.
[3] الأنبياء: ٣٥.

المعطوفات بدرجات البلاء، ودرجات النعم. كما أن السبك المعجمي بتكرار اللفظ نفسه يشد النص ويجعله متماسكاً، لما فيه من وظيفة ربط النص، بدلالته على وحدة الإحالة.

ومن التماثل المعنوي (تشابه الأطراف في المعنى):

مثاله **قوله (عليه السلام): (إنَّ للهِ ملكاً ينادي في كلِّ يومٍ: لِدوا للموتِ، واجمعوا للفناءِ، وابنوا للخرابِ)**[1]. فالموت والفناء والخراب تتشابه أطرافها في المعنى بدلالتها على نهاية الشيء، وهي متماثلة أو متشابهة في (الكيف أو الهيأة)، بوصفها غايات طبيعية لفناء الدنيا وعطبها، فالولد يموت، والأموال تفنى، والدور تخرب[2]. فالهيأة أو الكيفية التي تصير إليها هذه الأطراف واحدة ، هي النهاية والفناء.

أكد هذه العلاقة ارتباط الألفاظ بـــ (اللام) الجارة، ((وتسمى أيضاً لام العاقبة أو لام المآل))[3]، أو كما يسميها البحراني بلام العاقبة[4]، فهي((دليل واضح على حتمية هذا المصير الذي أفادت (إنّ) الواقعة في بداية الحكمة تأكيده وترسيخه))[5]، فالربط هنا ربطاً زمنياً باللام، وهو الربط الزماني الطبيعي للأطراف المتشابهة، فالأولاد بعد زمان تموت، وكذلك الأموال تفنى بمرور الأيام والسنين، والدور تخرب بعد تعاقب الزمان عليها.

وبسبب تشابه الأطراف في المعنى، ولوجودها معاً في حياة الإنسان الدنيوية، إذ الإنجاب، وجمع الأموال، وبناء الدور جنباً إلى جنب، وصل بينها بالواو، وفي ذلك زيادة الاشتباك والاقتران بينها، حتى أنه لا يمكن أفراد أحدهما عن الآخر، إذ يتعقل وجودها معاً. فضلاً عن الإحالة بضمير واو الجماعة في (لدوا) إحالة بعدية إلى الضمير نفسه في (اجمعوا، وابنوا)، فضلاً عن التكرار التركيبي في النص، إذ (الفعل والفاعل(ضمير الجماعة الواو) + الجار والمجرور)، مع ما في هذا

---

(1) نهج البلاغة: ٥١٠، حكمة: ١٢٥.

(2) ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ٢٦٣/١٨، وشرح ميثم البحراني:٣٨١/٥.

(3) الجنى الداني: ٩٨.

(4) ينظر: شرح ميثم البحراني: ٣٨١/٥.

(5) قصار حكم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، رسالة ماجستير: ١١٨.

التكرار من دلالة على التشابه في بدء الأمور وختامها أو نهايتها، وبذلك تماسك النص وترابط بعضه ببعض.

ومثله **قوله (عليه السلام): (مَن أطاعَ التواني ضيعَ الحقوقَ، ومَن أطاعَ الواشي ضيعَ الصديقَ)**[1]. فكما أن الإهمال والتقصير في أداء أعمال العباد فيه تضييع لحقوقهم فكذلك طاعة الواشي أو النمام يضيع الصديق[2]، فالتماثل المعنوي فيما بين الجملتين واضح جداً، فالأطراف متساوية في النتيجة، ذلك أن (الكمية أو المقدار) التي تصل إليها الجملتين واحدة، هي الضياع، أي ضياع الحقوق وضياع الصديق، فالجملتان متماثلتان بعلاقة عميقة هي: (الكم أو المقدار).

والربط بالواو هو لإثبات اجتماع أو اشتراك الجملتين في الطاعة والتضييع. فضلاً عن السبك المعجمي بتكرار لفظي (أطاع، وضيع) بما فيهما من إشارة إلى ربط النص سابقه بلاحقه، ووحدة الإحالة، والتكرار التركيبي بأسلوب الشرط في الجملتين، إذ (اسم الشرط + جملة فعل الشرط + جملة جواب الشرط)، بدلالته على تأكيد المعنى وتقريره.

ومنه أيضاً **قوله (عليه السلام): (عندَ تناهي الشدةِ تكونُ الفرجةُ، وعندَ تضايُق حَلَق البلاءِ يكونُ الرخاءُ)**[3]. فالشدة هي تضايق حلق البلاء، والفرجة هي الرخاء، فالأطراف جميعاً متشابهة في المعنى، فكما أن تناهي الشدة يستلزم الفرج فكذلك تضايق حلق البلاء يستلزم الفرج منه أو الرخاء والسعة[4]. فالجملتان متماثلتان في المعنى أو متساويتان في (الكم أو المقدار)، فتناهي الشدة مساوٍ في الكمية لتضايق حلق البلاء، والفرج مساوٍ في المقدار للرخاء والسعة.

وبسبب وجود هذه العلاقة المستبطنة الغيابية جمع الإمام علي (عليه السلام) بين الجملتين وربط بينهما بالواو، فضلاً عن الربط الزمني باللفظ (عند)، أي عند وصول زمن الشدة إلى نهايته يأتي

---

(1) نهج البلاغة: ٥٢٧، حكمة: ٢٣٠.

(2) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٣٦٠/٤، وشرح السيد عباس الموسوي: ٧٩٠.

(3) نهج البلاغة: ٥٤٧، حكمة:٣٤١.

(4) ينظر: شرح ميثم البحراني: ٤٨٩/٥، وشرح السيد عباس الموسوي: ٨٢١.

زمن الفرجة، وهكذا. وفي تكرار لفظ (عند) ربط آخر على مستوى السبك المعجمي، بما فيه من الربط في النص، ووحدة الإحالة بين الجملتين.

أما ما جاء من التماثل المعنوي (التفويف):

فمثاله **قوله (عليه السلام): (أزرى بنفسِهِ مَن استشعرَ الطمعَ، ورضيَ بالذُّلِّ مَن كشفَ عن ضُرِّهِ، وهانتْ عليهِ نفسُهُ مَن أمَرَ عليها لسانَهُ)**[1]. فقد جمع بين أمور مختلفة في جمل مستوية المقادير، والمعنى: أن من جعل الطمع شعاره ــ وهو ضد القناعة ــ فقد حقر نفسه، ومن كشف عن فقره وسوء حاله فقد رضي بذله، ومن سلط لسانه على ما يؤذي النفس دون مراجعتها فقد أهان نفسه[2].

هذا يعني أن بين هذه الجمل قاسم مشترك وإن اختلفت في مواضيعها، فهي تتماثل جميعاً في (النوع)، لأن التحقير والإذلال والإهانة معنى واحد وصفة واحدة مذمومة، ولهذا ربط بينها بالواو، أي لإفادة الاشتباك والاقتران بين الجمل، فجميعها دالة على التحقير، والإذلال، والإهانة. فضلاً عن السبك المعجمي بالتكرار التركيبي في أسلوب الشرط، وتقديم الجواب على فعله (جملة جواب الشرط + اسم الشرط + جملة فعل الشرط)، بما في ذلك من دلالة على تأكيد العلاقة الغائبة بينها، وهي تشابهها وتساويها في النوع. كما أن الإحالة بضمير الغائب هي إحالة خارجية مقامية تتعدى حدود الشخص الواحد، والمكان الواحد، والزمان الواحد.

ومثله **قوله (عليه السلام): (البخلُ عارٌ، والجبنُ منقصةٌ، والفقرُ يُخرِسُ الفَطِنَ عن حجتِهِ، والمقلُّ غريبٌ في بلدتِهِ)**[3]. فالجمل هنا تتماثل فيما بينها، لأنها على المستوى الغيابي تتشابه في (الكيفية أو الهيأة)، فجميعها تفريط، فالبخل تفريط بالكرم، والجبن تفريط بالشجاعة، والفقر تفريط بقول الحجة أو الحق لأن قلة المال يوهم القصور عن مقاومة الخصم فيحصل التخوف من الكلام،

---

[1] نهج البلاغة: ٤٨٧، حكمة:٢.

[2] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٢٦٩/٥، وشرح الشيخ محمد عبده: ٥٠٣، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢١٤/٤-٢١٥.

[3] نهج البلاغة: ٤٨٧، حكمة: ٢.

وكذلك المقل ــ وهو الفقير أيضاً ــ فلعدم الحاجة إليه بسبب فقره وإقلاله تقل الإخوان والأعوان لديه فهو كالغريب الذي لا يُعرف[١] وكالوحيد الذي لا يُؤنس، وهذا أيضاً تفريط بالعلاقات الاجتماعية، لأنها قد تؤدي إلى التقاعس والانعزال وعدم مخالطة الناس. والربط بالواو هو لبيان علاقة التشريك بين هذه الألفاظ المتماثلة في المعنى، فجميعها تفريط. والإحالة هنا خارجية مقامية أيضاً.

ومنه **قوله** (عليه السلام): **(العجزُ آفةٌ، والصبرُ شجاعةٌ، والزهدُ ثروةٌ، والورعُ جُنَّةٌ، ونِعمَ القرينُ الرضا)**[٢]. حيث جمع بين غرضي المدح والذم في جمل مستوية المقادير أو تكاد ، فقد ذم العجز وهو عدم القدرة على دفع أي ضرر، وبذلك يصبح كل شيء يصيب الإنسان آفة سواء أكان فقراً أم مرضاً أم جهلاً أم هوىً. وبخلافه مدح الصبر على هذه الآفات، وبأن دفعها شجاعة، وثنّاها بأن جعل الزهد فيها أو الرغبة عمّا في أيدي الناس ثروة، بل أن الزهد هو الغنى الأكبر[٣].

فإذا ما شعر الفقير بغناه لم يهتم بآفة الفقر أو المرض، أو قاده هواه إلى سخط الله، ثم وصلها بالورع الذي فيه تكون الوقاية من كل آفة من الآفات السابقة، ثم جعل نعم المصاحب والصديق هو القناعة والرضا بقضاء الله وقدره خيره وشره[٤]، أي الرضا بهذه الآفات إن كانت بقضاء الله وقدره.

وبذلك تماثلت هذه العبارات جميعاً في المعنى أو العلاقة الغيابية المستدعاة في النص، وهي تساويهما في (الكم أو المقدار). فكما أن العجز يؤدي إلى هذه الكمية من الآفات، فالصبر سيكون عليها نفسها، وكذلك الشجاعة عليها، والزهد فيها، والورع عنها، والرضا بها. فجميعها استدعت وأشارت إلى المقدار نفسه، حتى كأن هذه العبارات أكملت بعضها لتخرج لنا بفائدة أو حكمة واحدة

---

[١] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٢٩٧/٥، وشرح السيد عباس الموسوي: ٧٣١-٧٣٢.

[٢] نهج البلاغة: ٤٨٧، حكمة: ٢.

[٣] هذا ما ذكره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في موضع آخر بقوله: (الغنى الأكبر اليأس عمّا في أيدي الناس). (نهج البلاغة: ٥٣٤، حكمة:٣٤٢).

[٤] ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ٧١/١٨-٧٢، وشرح ميثم البحراني: ٢٩٧/٥-٢٩٨، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢١٦/٤-٢١٧، وشرح السيد عباس الموسوي: ٧٣٢.

هي: ((إن تعاسة الإنسان قد تأتي من داخله لا من خارجه، ومن صنع يده لا من صنع القدر، لأنه يرفض الانسجام مع ظروفه الخاصة التي تمسه في الصميم وتؤثر عليه وعلى شؤونه، ولا يجني من معاندتها إلا الآهات والحسرات))[١]. والربط بالواو هو لإفادة التشريك والاقتران بينها في هذه العلاقة.

ومنه أيضاً **قوله (عليه السلام): (صدرُ العاقلِ صندوقُ سرِّهِ، والبشاشةُ حبالةُ المودةِ، والاحتمالُ قبرُ العيوبِ)**[٢]. حيث جمع بين النصح والإرشاد في جمل متساوية المقادير، والتماثل بين الجميع هو في (الكيفية)، أي أنها متشابهة في عمقها. فالعاقل يحفظ سره في صدره (قلبه)، والبشاشة تجعل صاحبها يصطاد القلوب إليه أي يصطاد مودة أخيه من (قلبه)، واحتمال الأذى والصبر عليه قبر للعيوب في (قلبه)، فجميعها تتم بالكيفية نفسها فتتشابه في ماهيتها[٣]. والربط بالواو هو بسبب وجود هذه المناسبة، فضلاً عن الإشارة إلى مسألة الجمع، أي أنها تجتمع في هذا العضو، وهو القلب.

ومثله أيضاً **قوله (عليه السلام): (قُرِنَتِ الهيبةُ بالخيبةِ، والحياءُ بالحرمانِ، والفرصةُ تمرُّ مَرَّ السحابِ، فانتهزوا فُرصَ الخيرِ)**[٤].وهنا جمع بين غرضين هما: المدح والإرشاد في جمل تكاد تكون مستوية المقادير إلا أنها متلائمة في المعنى. فالخوف من الآخرين يوجب عدم قضاء الحاجة والظفر بالمطلوب، والحياء كذلك يستلزم ترك طلب الحاجة وقضائها، أي أن الهيبة والحياء يفوتان فرص الخير، أي وقتها السانح المناسب التي تمر مر السحاب، أي سريعة الزوال[٥]. لذا أمرنا ــ على سبيل الإرشاد ــ بانتهازها لطلب حوائجنا وقضائها.

---

[١] في ظلال نهج البلاغة: ٤/٢١٨.

[٢] نهج البلاغة: ٤٨٧، حكمة: ٢.

[٣] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٥/٢٩٩، وشرح السيد عباس الموسوي: ٧٣٢.

[٤] نهج البلاغة: ٤٨٩، حكمة: ١٧.

[٥] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٥/٣٠٧، وشرح الشيخ محمد عبده: ٥٠٦، وشرح السيد عباس الموسوي: ٧٣٦.

فالجمل متماثلة فيما بينها في المعنى ومتعلقة بعضها ببعض، لأنها ارتبطت بعلاقة مستبطنة على مستوى العلاقات الاستمرارية الغيابية، وهي: تماثلها في (النوع)، الذي هو عدم طلب الحاجة وقضائها. والربط بالواو لبيان هذه المناسبة التي دعت إلى الجمع بينها.

تقابل المتناقضين

النقيض لغة: من نَقَضَ، النون والقاف والضاد أصل صحيح، يقال: نَقَضَ البناء والحبل، انْتَقَضَ انْتِقاضاً، أي: انتكث انتكاثاً، وهو ضد الإبرام[١].

ومن المجاز: نَقَضَ العهد. وفي الشعر النقائض، وهي أن يقول الشاعر شعراً فينقض عليه شاعرٌ آخر حتى يجيء بغير ما قال، كنقائض جرير والفرزدق. والمناقضة في الكلام: إذا ناقض قوله الثاني الأول[٢]. ومنه ((النقيضان من الكلام: ما لا يصح أحدهما مع الآخر، نحو: هو كذا وليس بكذا في شيء واحد وحال واحدة))[٣].

ومن هذين المعنيين المجازيين الأخيرين جاء المعنى الاصطلاحي للتناقض، إذ عدّ الدكتور بدوي طبانة ما تقابل عن طريق النفي والإثبات تناقضاً[٤].

وعلى هذا يكون معنى **تقابل النقيضين اصطلاحاً:** أن ((يكون بين اللفظ ونفيه بأداة نفي، مثل: لا، غير، ليس، فهو تقابل الإيجاب والسلب أو الإثبات والنفي... ولا يوجد وسط بين النقيضين، لأنهما على طرفين متباعدين تمام التباعد))[٥].

وهذا هو الخلاف الجوهري بين المتضادين والمتناقضين، فعندما نقول: أبيض لا أبيض، لا يوجد وسط بينهما في مجال القول اللوني، في حين يوجد وسط بين أبيض وأسود في مجال القول اللوني. كما أنه ليس بالضرورة أن يكون لكل حد ضد، في حين لكل حد نقيض، فمثلاً: الأزرق لا

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٠٠٧، ومفردات ألفاظ القرآن: ٨٢١، والقاموس المحيط: ٦٠٤، مادة (ن.ق.ض).

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٨٢١، وأساس البلاغة: ٢٩٩/٢، والقاموس المحيط: ٦٠٤، المادة نفسها

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ٨٢١، مادة (ن.ق.ض)، وينظر: تأويل مشكل القرآن: ١١٦.

(٤) ينظر: معجم البلاغة العربية: ١٨٣-١٨٤.

(٥) التفكير المنطقي: ٦٥.

ضد له في عالم الألوان، إلا أن له نقيضاً هو لا أزرق[١]. هذا يعني أن التدرج مسموح به في تقابل الضدين، أما في تقابل النقيضين فلا وجود له البتة.

ونتيجة لتوسيع مصطلح التقابل، يمكن إدخال طباق السلب والإيجاب ضمن تقابل النقيضين، لمشاركته له في المصطلح والمفهوم بعد أن أُفرد بالدراسة جاعلينه إما من تقسيمات الطباق[٢]، أو إيراده فناً بلاغياً منفرداً تحت عنوان (باب السلب والإيجاب)[٣].

ويقصد بتقابل السلب والإيجاب* أو النفي والإثبات: ((هو أن تبني الكلام على نفي الشيء من جهة وإثباته من جهة أخرى، أو الأمر به من جهة والنهي عنه في جهة. وما يجري مجرى ذلك))[٤]. فمثال الأمر والنهي قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾[٥]. ومثال النفي والإيجاب قوله جلّ وعلا: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾[٦].

وهذا المعنى يختلف عمّا جاء عند القزويني وابن الناظم، فالطباق عندهما نوعان: طباق السلب وطباق الإيجاب. فالإيجاب ما جاء فيه الضدان موجبين غير منفيين، وهذا ما تناولوه ضمن تقابل الضدين. أما السلب فهو ما اختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً بأن يكون أحدهما مثبتاً والآخر منفياً، أو أحدهما أمراً والآخر نهياً. وبقولهم هذا أيضاً أدخلوه ضمن تقابل الضدين، مستشهدين عليه بقول البحتري[٧]:

---

[١] ينظر: المنطق الصوري: ١٤٠-١٤١.

[٢] ينظر: تحرير التحبير: ١١٢، وبديع القرآن: ٣٢.

[٣] ينظر: الصناعتين: ٤٠٥، وسر الفصاحة: ٢٠٥، وتحرير التحبير: ٥٩٣، وبديع القرآن: ١١٦.

* هذا المصطلح ذكره ابن أبي الإصبع في كتابه (بديع القرآن) مع تعريفه، وذكره في كتابه (تحرير التحبير) أيضاً، إلا أنه أورد تعريفاً آخر له لا يتناسب مع ما ذكره هنا، وإن شابهه في مسألة النفي والإثبات. (ينظر: تحرير التحبير: ٥٩٣).

[٤] الصناعتين: ٤٠٥، وينظر: سر الفصاحة: ٢٠٥، وبديع القرآن: ١١٦، ومنهاج البلغاء: ٤٤-٤٥، وخزانة الأدب: ١٦٢/٣.

[٥] المائدة: ٤٤.

[٦] الزمر: ٩.

[٧] في الديوان: تُقيّض. ديوان البحتري: ١٩٢٨.

يُقيّضُ لي مِن حيثُ لا أعلمُ النوى ويسري إليّ الشوقُ مِن حيثُ أعلمُ[١]

إذ يرون أن قوله (أعلم) تضاد مع (لا أعلم). ولعل الذي جعلهم يعتقدون ذلك هو أن من سبقهم من البلاغيين جعلوا مصطلح التناقض مرادفاً لمصطلح التضاد[٢].

والحقيقة أن التضاد بينهما مستبطن في العلاقة العميقة (الغيابية)، فقوله (لا أعلم) يستبطن (أجهل) وهو ضد (أعلم) وهذه علاقة دلالية باطنية. أما ظاهرياً فقد ارتبط بعلاقة أخرى هي (التناقض بالنفي).

ومن هنا تأتي أهمية تقابل النقيضين في علم الدلالة، إذ إنه أحد العلاقات الدلالية التي تربط بين الألفاظ ربطاً معجمياً أو ما يسمى بالسبك المعجمي، من خلال التنقل بين المنطوق (لا أعلم) والمفهوم (أجهل) مما يضفي حركة متبادلة بين المتناقضات، إذ السالب في المنطوق يخلق الموجب في المفهوم[٣]. فضلاً عن ذلك الوقت التأملي الذي يعطيه التقابل النقيضي للمتلقي أبطأ أو أكثر زمناً من الوقت الذي يعطيه التقابل التضادي. فعندما نسمع كلمة أبيض فإن التصور المضاد لها أسرع في الذهن من التصور النقيضي لها. أي أن (أسود) أسرع إلى الذهن من (لا أبيض) وهذا يدل على أنهما مختلفان[٤].

كما يمكن للبحث أن يدخل فناً آخر من فنون البديع تحت عنوان تقابل النقيضين، لأنه لا يقوم إلا على التناقض، وهذا الفن هو: الرجوع. ويعرّفه القزويني بقوله: ((هو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة، كقول زهير[٥]:

قِفْ بالديارِ التي لم يَعفُها القِدَمُ بلى وغيرَها الأرواحُ والدِّيَمُ))[٦]

---

[١] ينظر: المصباح: ١٩١، والتلخيص: ٣٥٠-٣٥١، والإيضاح: ٣٣٦/٢-٣٣٧.
[٢] ينظر: البديع في نقد الشعر: ١٧٦، والطراز: ١٩٨/٣، والبرهان: ٢٨١/٣.
[٣] ينظر: بناء الأسلوب في شعر الحداثة: ٢٤٧، ٢٥٥.
[٤] ينظر: المنطق الصوري: ١٤١-١٤٢.
[٥] شرح شعر زهير بن أبي سلمى: ١١٦.
[٦] الإيضاح: ٣٥٢/٢.

فقوله: (لم يعفها القِدم) في صدر البيت ناقضه بالإيجاب في عجزه بقوله (بلى) الدال على النقيض المستبطن فيها أي: (عفاها القِدم). وبذلك دخل (الرجوع) تحت عنوان تقابل النقيضين.

وتقابل المتضايفين يصلح أيضاً لأن يُدرس ضمن تقابل التناقض، لمشابهته له في عدم وجود الضدية بين اللفظين المتضايفين، كالأبوة والبنوة، والفوقية والتحتية... ألخ، فالعلاقة بينهما ليست ضدية وإنما تضايفية. وبذلك يمكن للدراسة أن تقسم هذا الفصل على ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: تقابل السلب والإيجاب.

المبحث الثاني: التقابل التراجعي.

المبحث الثالث: تقابل المتضايفين.

المبحث الأول: تقابل السلب والإيجاب:

السلب لغة: من سَلَبَ الشيء سَلْبَاً، أي أخذه واختطفه، فهو مسلوب[١]. **والإيجاب لغة:** من وَجَبَ الشيء يَجِبُ وُجوباً: لَزِمَ، أي استحقه واستوجبه وأوجبه[٢].

أما اصطلاحاً: فقد عرفه ابن أبي الإصبع المصري (ت: ٦٥٤هـ) بقوله: ((هو بناء الكلام على نفي الشيء من جهة وإيجابه من جهة أخرى. أو أمر بشيء من جهة ونهي عنه من غير تلك الجهة))[٣].

على أن لا يفهم من هذا التعريف أن ورود النفي مشروط بورود الإيجاب، أو مجيء الأمر مشروط بمجيء النهي، بل قد يرد النهي فقط في النص دون الأمر، أو قد يأتي النفي حصراً في الحكمة دون ضده الإيجاب أو الإثبات. وقد أشار إلى هذه المسألة ابن أبي الإصبع المصري بقوله: ((وطباق السلب: وهو أن يأتي المتكلم بجملتين أو كلمتين إحداهما موجبة والأخرى منفية، وقد تكون الكلمتان منفيتين))[٤]، كقول الفرزدق[٥]:

لَعَنَ الإلهُ بني كُليبٍ إنهُمْ لا يغدرُونَ ولا يفُونَ لجارِ[٦]

هذا يعني أنه قد تأتي الكلمتان أمريتين معاً في جملة واحدة، أو نهييتين في جملة أخرى ... وهكذا.

ومثاله في النهج **قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (كُنْ سمحاً ولا تَكُنْ مبذراً، وكُنْ مقدراً ولا تَكُنْ مقتراً)**[٧]. فالتناقض هنا بين الأمر والنهي في (كن ولا تكن) مع مسانيدهما (سمحاً ومبذراً) في الجملة الأولى و(مقدراً ومقتراً) في الجملة الثانية.

---

[١] ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٦٦، مادة (س.ل.ب).
[٢] ينظر: القاموس المحيط: ١٤٣، مادة (و.ج.ب).
[٣] بديع القرآن: ١١٦، وينظر: الصناعتين: ٤٠٥.
[٤] تحرير التحبير: ١١٤.
[٥] في الديوان: قَبَحَ الإلهُ، ينظر: شرح ديوان الفرزدق: ٤٥٠.
[٦] ينظر: تحرير التحبير: ١١٣.
[٧] نهج البلاغة: ٤٩٢، حكمة: ٢٩.

والعلاقة المنطقية المستبطنة بينهما هي (التكميلية أو التتميمية) أو (الترابطية)، إذ لو اكتفى النص بالأمر دون النهي وصار الكلام (كن سمحاً وكن مقدراً) لتحير الذهن في ذلك، إذ كيف على الإنسان أن يكون سمحاً ومقدراً في الوقت نفسه، فعندما قال: (ولا تكن مبذراً ولا تكن مقتراً) ذهب اللبس ووضح المراد، وكذلك العكس أي لو اكتفى النص بالنهي دون الأمر لظهر اللبس في الكلام. وفي شرح هذه الحكمة يقول البحراني: ((وهو أمر بفضيلة السماحة والكرم ونهي عن الكون على طرفي الإفراط والتفريط منها، فطرف إفراط هو التبذير وطرف التفريط هو التقتير))[١].

وهذه العلاقة الغيابية المستدعاة أكدتها العلاقات اللغوية فزادت من سبك النص وترابطه، إذ ربطت جملتي (الأمر والنهي) الأولى بالواو مع جملتي (الأمر والنهي) الثانية، لوجود المناسبة أو العلاقة بينهما وهي السبك المعجمي بعلاقة التناقض، كما أن الإحالة بالمسند إليه المحذوف المقدر بـــ (أنت) للمخاطب فيها واحد، وهذا يعني أن المخبر عنه في الجملتين واحد، وبذلك أوجب الوصل بالواو الأفعال للمخاطب جميعاً وجعله يفعلها معاً، أي أن يكون سمحاً وفي الوقت نفسه أن لا يكون مبذراً، وأن يكون مقدراً وفي الوقت نفسه أن لا يكون مقتراً، وبذلك ازداد معنى الجمع بالواو قوة وظهوراً. فضلاً عن السبك المعجمي بالتكرار التركيبي، إذ (الأمر (كن) مع خبره + والنهي (لا تكن) مع خبره)، بما فيه من إلزامية في التقرير والتأكيد، فكان نتيجة هذه العلاقات الترابط والتماسك النصي.

ومن تقابل الإيجاب والسلب **قوله (عليه السلام): (اعقِلُوا الخبرَ إذا سمعتموهُ عقلَ رعايةٍ لا عقلَ روايةٍ فإنَّ رواةَ العلمِ كثير ورعاتَهُ قليلٌ)**[٢]. والعقل في اللغة: من ((عقل البعير من باب ضرب، أي ثنى وظِيفَهُ مع ذراعه فشدهما في وسط الذراع. وذلك الحبل هو العقال، والجمع: عَقَلَ))[٣]، جاء عن أبي هلال العسكري قوله: ((عقل البعير إذا شده فمنعه من أن يثور))[٤] فالمراد من العقل في هذه الحكمة الشريفة: احكموا أو اضبطوا الخبر. وفي هذا النص اثبت عقل الخبر

---

[١] شرح ميثم البحراني: ٣١٩/٥.

[٢] نهج البلاغة: ٥٠٢، حكمة: ٩٢.

[٣] ينظر: مختار الصحاح: ٢٢٢، والقاموس المحيط: ٩٥٢، مادة (ع.ق.ل).

[٤] الفروق اللغوية: ٨٣.

(عقل رعاية) ثم نفاه بـــ (لا عقل رواية) مع مجيء صيغة الأمر به (اعقلوا) دون ذكر نقيضه النهي (لا تعقلوا). والعلاقة بين إثبات العقل ونفيه هي (الإبدالية)، أي بدلاً من أن تعقله عقل رواية أعقله عقل رعاية، ولهذا وردت صيغة الأمر به دون النهي عنه، أي لأن العقل ــ سواء أكان عقلاً بالتطبيق أم عقلاً بالتنظير ــ مرغوب فيه بل يُشجع عليه، لذا لم يرد النهي عنه. وهذا على مستوى العلاقات الاستبدالية الغيابية أو المنطقية.

أما على مستوى التوزيع (العلاقات اللغوية أو الركنية) التي ربطت أجزاء النص فأربع؛ الأولى: الربط بأسلوب الشرط بـــ (إذا) غير الجازمة الدالة على التوقيت[١]، وأن ما بعدها كثير الوقوع[٢]. ويقتضي أسلوب الشرط جملتين؛ الأولى: فعل الشرط، والثانية: جواب أو جزاء الشرط، وجوابه مترتب على فعله[٣]. وفي الحكمة تقديم وتأخير، أي تقديم جواب الشرط على الأداة وفعل الشرط. وأصل الكلام: (إذا سمعتم الخبر فاعقلوه عقل رعاية لا عقل رواية ...).

وقيل إن التقديم والتأخير هنا واجب، وذلك أن في الشرط ضميراً يعود على بعض الجواب، وعند تأخير الجواب سيعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، وهذا ممتنع نحوياً. فقدم الجواب (اعقلوا الخبر) على الشرط (سمعتموه) وجوباً، لأن في الشرط ضميراً (الهاء) يعود على بعض الجواب[٤]. إلا أنه يمكن القول إن لذلك غاية أو دلالة ــ فليس ترتيب أسلوب الشرط لازماً وثابتاً، فقد يطرأ عليه شيء من التغيير بتقدم الجواب على الأداة وفعلها[٥] ــ وهذه الدلالة هي أهمية الجواب على فعل الشرط[٦]، أي أهمية العقل عند السماع لا أهمية السماع، إذ إن سماع الخبر دون عقله مما لا فائدة مرجوة فيه.

---

[١] ينظر: المقتضب: ٢/٥٤.
[٢] ينظر: معاني النحو: ٤/٦١.
[٣] ينظر: المقتضب: ٢/٤٥، والهمع: ٤/٣٢٢.
[٤] ينظر: التقديم والتأخير في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ١١٢-١١٤.
[٥] ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٣٨.
[٦] ينظر: البرهان: ٣/١٥٠.

وجاء في إحدى الدراسات الجامعية أن العدول عن ترتيب عناصر الجملة الشرطية بتقديم الجواب على الأداة وشرطها في هذه الحكمة العلوية هو لغرض مفاجأة المخاطب بالقيد بعد الإطلاق، حيث جعل الإمام عقل الخبر مقيداً بسماعه، فبدأ بالإطلاق وذلك حين أمرهم بعقل الخبر ثم قيده بالسمع[١]. ورأيه هذا يؤكد ما ذهبت إليه الدراسة في سبب مجيء صيغة الأمر بـــ (اعقلوا) دون ذكر نقيضه النهي (لا تعقلوا).

ودخول الفاء على جواب الشرط هنا واجب، ذلك أنه إذا كان الجواب أو الجزاء جملة طلبية كالأمر، والنهي، والاستفهام... إلخ، فلابد من رابط بينه وبين الشرط وفعله، وهي الفاء[٢]، ويرى ابن هشام في حذفها ضرورة سواء أكان في الشعر أم في النثر[٣]. إلا أن الدراسة هنا ترى في حذفها عدولاً أو انزياحاً أو دلالة غائبة مستبطنة ألا وهي السرعة في عقل الخبر، وذلك ما لا نجده عند ذكر الفاء بدلالتها على الترتيب مع السببية[٤]. فضلاً عن الربط الجملة الثانية بالفاء السببية العاطفة جملة على جملة*، وهي قوله: (فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل)، والربط السببي له أثره في شدّ النص، ذلك أنه يعطي علة أو سبب عقل الخبر عقل رعاية، وبذلك اتصلت الجملة بما قبلها.

والعلاقة الثانية التي ربطت النص هي: الإحالة بضمير (واو الجماعة) في (اعقلوا) إحالة بعدية إلى ضمير الجمع في (سمعتموه)، وهذا يعني أن المخاطبين هم أنفسهم في الكلمتين.

والثالثة: فهي الإحالة بالاسم المخصص بالإضافة في (عقل رعاية) و (لا عقل رواية) بمعنى (في) ذلك أن المضاف إليه (رعاية ورواية) ظرفان واقعان فيهما المضاف (عقل) فأفاداه

---

[١] ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ٢٢٣-٢٢٤.

[٢] ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١١٠/٤، والهمع: ٣٢٧/٤.

[٣] ينظر: المغني: ١٧١.

[٤] ينظر: الجنى الداني: ٦٦.

* ذلك أن من الوجوه التي ترد عليها الفاء أن تكون سببية، وذلك غالب في العاطفة جملة على جملة. (ينظر: المغني: ١٦٩).

التخصيص[١]، أي إثبات تخصيص عقل الخبر في رعاية، ونفي التخصيص في رواية. والإضافة فيهما المعنوية المحضة*.

أما الرابعة: فهي السبك المعجمي بتكرار اللفظ نفسه في النص، وذلك في ألفاظ كثيرة تكررت في هذا النص، وهي (اعقلوا، وعقل)، (رعاية، ورعاته)، (رواية، ورواة)، وما يؤديه العنصر المعجمي المكرر من أثر في الربط بين أجزاء النص، بدلالته على وحدة الإحالة. وهذه العلاقات اللغوية مجتمعة جعلت النص وحدة متكاملة مترابطة ومتماسكة.

ومن السلب بالنفي فقط **قوله (عليه السلام): (لا خيرَ في الصمتِ عن الحكمِ كما أنَّهُ لا خيرَ في القولِ بالجهلِ)**[٢]. فالسلب الوارد في عبارة (لا خير) في الموضعين ارتبطا بعلاقة (المشابهة)، ذلك أن الصمت أو السكوت عن الحكم بإظهار الحق وإحقاقه يشبه الناطق بالجهل الذي لا يعرف الحق من الباطل أو الحلال من الحرام، فكأنما العالم إذا سكت عن الحق فهو كالجاهل في الباطل[٣].

يؤكد هذه العلاقة الإحالة بالأداة (كما) ذلك أنها عند التحقيق مكونة من: (كاف) التشبيه، و(ما) اسم موصول بمعنى (الذي)[٤]، و(أنّ) واسمها ضمير (الهاء) صلتها، والتقدير: (لا خير في الصمت عن الحكم كالذي أنه لا خير في القول بالجهل). هذا يعني أن الاسم الموصول فيه إحالة بعدية إلى الذي يقول بالجهل. كما يؤكدها الإحالة بـــ (أفْعَل) التفضيل غير القياسي (خير)، إذ الأصل: أخير، حيث كثر حذف همزته في التفضيل لكثرة الاستعمال[٥] ،فهو لم يدل هنا على تفضيل شيء على شيء آخر وإنما يراد به مجرد الزيادة في أصل الوصف[٦]، أي أن المراد باسم التفضيل

---

[١] ينظر: الهمع: ٤/٢٦٧-٢٦٨.

* الإضافة المحضة أو المعنوية: هي التي تفيد تعريف المضاف إذا كان المضاف إليه معرفة، وتخصيصه إذا كان المضاف إليه نكرة. (ينظر: المصدر نفسه: ٤/٢٦٨).

[٢] نهج البلاغة: ٥١٨، حكمة: ١٧٢.

[٣] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٥/٤٠٧، وفي ظلال نهج البلاغة: ٤/٣٣٠.

[٤] ينظر: الجنى الداني: ٤٨٠، والمغني: ١٨٣.

[٥] ينظر: الهمع: ٦/٤٤-٤٥.

[٦] ينظر: معاني النحو: ٤/٢٦٩.

في هذا النص هو الزيادة في نفي الخيرية في الموضعين، أو بمعنى أدق دل اسم التفضيل في الموضعين على المشابهة بنفي الخيرية فيهما. فضلاً عن السبك المعجمي بتكرار اللفظ (لا خير) نفسه مرتين في النص، وما يؤديه هذا التكرار من وظيفة ربط النص ووحدة الإحالة، وبذلك سُبِك النص ظاهرياً بعد أن حُبِك داخلياً بعلاقة المشابهة.

ومن السلب بالنفي أيضاً **قوله (عليه السلام): (ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ ولا ضَلَلْتُ ولا ضُلَّ بي)**[1]. فهنا سلبيان أثنان، الأول: (ما كذبتُ ولا كُذِّبتُ). والعلاقة بينهما هي علاقة (لازم بملزوم)[2]، إذ إن من لوازم عدم الكذب انتفاء التكذيب. والثاني: (ولا ضللتُ ولا ضُلَّ بي) والعلاقة بينهما أيضاً هي لازم بملزوم.

أما على المستوى النحوي فإن هذه المتنافيات قد ربطت بالواو، ومن وجوه الواو العاطفة أن تقترن بـــ (لا) إن سبقت بنفي، لتفيد أن الفعل منفي عنهما في حال الاجتماع والافتراق[3]، وهذا مما يؤكد علاقة اللزومية، ذلك أن من نفي عنه الكذب نفي عنه التكذيب ومن نفي عنه التكذيب نفي عنه الضلال ومن نفي عنه الضلال نفي عنه التضليل. أي أنه (عليه السلام) لو قال: ما كذبت ولا ضللت، لتعين عند المتلقي أنه لا يُكذب ولا يُضل به، لأن من عرف بعدم كذبه لن يُكذب، ومن عرف بعدم ضلاله، لن يُضلَّ به.

ومثال الإيجاب والسلب **قوله (عليه السلام): (يَنَامُ الرَّجُلُ على الثُّكْلِ ولا يَنَامُ على الحَرَبِ)**[4]. فالإيجاب (ينام) والسلب (لا ينام) فهما متقابلان تقابلاً تناقضياً، والعلاقة بينهما هي (التضاد)، أي أن قوله (لا ينام) معناه: (يستيقظ) وهذا المعنى ضد (ينام). وإنما جاء الإمام علي (عليه السلام) بالنقيض دون الضد، لأن الاستيقاظ قد يكون حالة طبيعية للإنسان، كما في حالة الرجل الأولى، أما عدم النوم أو بلفظ أدق (لا ينام) لا يكون إلا لحالة خارجة عن إرادة الإنسان، كما في حالة الرجل

---

(1) نهج البلاغة: ٥١٨، حكمة: ١٧٥.
(2) ينظر: شرح ميثم البحراني: ٤٠٨/٥.
(3) ينظر: الجنى الداني: ١٦١، والمغني: ٣٤٣.
(4) نهج البلاغة: ٥٤١، حكمة: ٢٩٨.

الثانية. وهذا ما أراد الإمام أن ينبه عليه في الموقفين، فـ ((الثكل: فقد الأولاد، والحرب ــ بفتح الراء ــ سلب المال، والأول بقضاء الله وقدره، والرضا به والصبر عليه عقل وإيمان. والثاني ظلم واعتداء، والسكوت عنه ذل وهوان))[١]. فحاله في فقد الأولاد: النوم. أما حاله في فقد الأموال بالحروب فهو السهر والعجز عن النوم.

أما السبك النحوي فنراه أيضاً في الربط بالواو، لوجود مناسبة أو علاقة التناقض بينهما، وليس هناك سببٌ يقتضي الفصل بينهما، فضلاً عن ذلك الإحالة بالضمير المستتر في (لا ينام) إحالة قبلية إلى (الرجل)، أي أن المخبر عنه في الجملتين واحد وهو المسند إليه الفاعل، وبذلك ازداد معنى الوصل بين الجملتين قوة وظهوراً وأوجب له الفعلين جميعاً وجعله يفعلهما معاً، ذلك ((أنه إذا كان المُخْبَر عنه في الجملتين واحداً، كقولنا: هو يقول ويفعل، ويضر وينفع ... ازداد معنى الجمع في (الواو) قوة وظهوراً، وكان الأمر حينئذ صريحاً))[٢]، أي أن من ينام على الثكل أو الفقد هو هو لا ينام على الحرب. كما أن في استعمال اسم غير محدد، وهو (الرجل) فيه إحالة خارجية مقامية تثير ذهن المتلقي ليعكس الصورة إلى واقع أوسع من مكان النص وزمانه، فضلاً عن ذلك السبك المعجمي بعلاقة التناقض جعل النص وحدة كلامية متماسكة.

ومن السلب والإيجاب **قوله (عليه السلام): (لا تسألْ عمّا لا يكونُ، ففي الذي قد كانَ لكَ شغلٌ)**[٣]. فالنقائض هنا واضحة إذ وقعت بين (لا يكون وكان) والعلاقة بينهما هي (الزمنية) والمعنى: ((لا تتمن من الأمور بعيدها فكفاك من قريبها ما يشغلك))[٤].

أكد هذا المعنى النفي في الفعل المضارع (لا يكون) فهو نفي للمستقبل البعيد، ذلك أن (لا) حرف موضوع لنفي المستقبل[٥]، وثبوت (كان) بعد دخول (قد) عليه فقربته من الحال، لأن (قد) معناها: التأكيد، وتفيد تقريب الماضي من الحال، فإذا قلنا: (قام زيد) يحتمل الماضي القريب

---

[١] في ظلال نهج البلاغة: ٤/٤٠٠.
[٢] دلائل الإعجاز: ٢٢٦.
[٣] نهج البلاغة: ٥٤٩، حكمة: ٣٥٤.
[٤] شرح الشيخ محمد عبده: ٥٧٧.
[٥] ينظر: الصاحبي: ٢٥٧، وشرح المفصل: ٥/٣١.

والماضي البعيد، فلما أدخلنا (قد) عليه اختص بالقريب[١]. وقد ارتبط النص العلوي بعضه ببعض بأداة الربط (الفاء) العاطفة جملة على جملة الدالة على السببية، ذلك أنها إن عطفت جملة على جملة دلت على السببية[٢]. أي أن ما قبل الفاء سبب وعلة لما بعدها، وما بعدها مُسبَب ومعلول لما قبلها. أي أن الربط السببي بالفاء جعل النص مترابطاً ومتماسكاً.

ومن النهي **قوله (عليه السلام): (لا تقلْ ما لا تعلمُ بلْ لا تقلْ كلَّ ما تعلمُ فإنَّ اللهَ سُبْحَانَه قَد فرضَ على جوارِحِكَ كُلِّها فرائضَ يحتجُّ بها عليكَ يومَ القيامةِ)**[٣]. فالتناقض بالسلب واقع في (لا تقل مالا تعلم) و (لا تقل كل ما تعلم) والعلاقة بينهما هي (المشابهة)، فالنهي عن قول ما لا يعلم يشابه النهي عن قول ما يعلم لاحتمال الكذب في كليهما[٤]، يؤكد هذه العلاقة السياق من خلال الربط بحرف العطف (بل) الدال على الإضراب، من غير إبطال الجملة التي قبله، فإن (بل) إذا ((وقع بعده جملة كان إضراباً عمّا قبلها...على جهة الترك للانتقال من غير إبطال))[٥].

فضلاً عن الربط السببي بالفاء السببية، ذلك أن من الوجوه التي ترد عليها (الفاء) دلالتها على ((السببية، وذلك غالب في العاطفة جملة))[٦] ومن هذه الدلالة بينت علة عدم القول في الحالين (عدم العلم والعلم) لأن ((كل عضو من أعضاء الإنسان حد لا يتعداه، وعمل خاص يعود على العامل ومجتمعه بالنفع والصلاح، فإذا أساء وتجاوز الحد واستغل طاقته وأعضاءه في الإيذاء والإضرار بالآخرين كان مسؤولاً أمام الله، وحقت عليه كلمة العذاب، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً﴾[٧]، وقال: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ

---

[١] ينظر: حروف المعاني: ١٣، وشرح المفصل: ٩٢/٥.
[٢] ينظر: الجنى الداني: ٦٤، والمغني: ١٦٩.
[٣] نهج البلاغة: ٥٥٤، حكمة: ٣٧٢.
[٤] ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ٢٦٦/١٩، وشرح ميثم البحراني: ٥٠٩/٥.
[٥] الجنى الداني: ٢٣٥، وينظر: الهمع: ٢٥٥/٥-٢٥٦.
[٦] المغني: ١٦٩.
[٧] الإسراء: ٣٦.

عَتِيدٌ﴾[1].))[2]. كما أن الإحالة بالضمير المستتر (أنت) في (لا تقل) الإحالة فيه بعدية إلى الضمير المستتر نفسه في (لا تعلم، ولا تقل، وما تعلم)، وفيه إحالة بعدية أيضاً إلى ضمير (الكاف) في (جوارحك، وعليك). وبذلك ترابط النص وتماسك.

[1] ق: ١٨.

[2] في ظلال نهج البلاغة: ٤/٤٤٣.

المبحث الثاني: التقابل التراجعي:

أو الرجوع، **وهو لغة من:** رَجَعَ يرجِعُ رُجوعاً ومَرْجِعاً، إذا عاد[١]. وهذا ما يوافق **معناه اصطلاحاً**، إذ يعرفه القزويني (ت: ٧٣٩هـ) بقوله: ((هو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة))[٢]، أي لفائدة أو لغاية، أو لعلاقة مستبطنة يريد المتكلم توضيحها وإبرازها من خلال ذكر النقيضين، ومثاله بيت الحماسة ليزيد بن الطثرية[٣]:

أليسَ قليلاً نظرةٌ إنْ نظرتُها إليكِ؟! وكلا ليسَ منكِ قليلُ[٤]

فقد رجع الشاعر عن كلامه السابق وهو قوله (قليلاً) بنقضه* في عجز البيت (ليس قليلُ) والنكتة في هذا النقض هو استكثار النظرة حتى لو كانت واحدة إلى المحبوب ولهذا نفى قلتها.

وقد ورد هذا الفن عن أُسامة بن منقذ (ت: ٥٨٤هـ) وابن أبي الإصبع المصري (ت: ٦٥٤هـ) ــ وهما سابقان على القزويني ــ إلا أن ابن منقذ ضمّنه الاستثناء[٥]، وابن أبي الإصبع المصري ضمنه الاستدراك، وجعل الاستثناء باباً منفرداً بعده[٦]، والاطلاع عليها جميعاً يبيّن أن المفهوم الذي تؤديه هذه المصطلحات واحد، بدلالة الأمثلة المستشهد بها، فهي واحدة عند الجميع.

هذا يعني أن الاستثناء والاستدراك متفقان في المفهوم، وهو الرجوع على الكلام السابق بالنقض سواء أكان النقض بالاستثناء أم بالاستدراك. وبذلك دخلت هذه المصطلحات تحت مصطلح

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٢٢، ومفردات ألفاظ القرآن: ٣٤٢، مادة (ر.ج.ع).

(٢) الإيضاح: ٣٥٢/٢.

(٣) من الشعر المنسوب إليه. (ينظر: شعر يزيد بن الطثرية: ٨٨)

(٤) ينظر: الإيضاح: ٣٥٢/٢.

* وقد يكون العود بالضد لا بالنقيض فقط، كما في قول الشاعر:

إنَّ ما قلَّ منكَ يَكثُر عندي وكثيرٌ ممَّنْ تحبُّ القليلُ

فلفظي (قليل وكثير) متضادان لا متناقضان. وهذا ما تناولته الدراسة في الفصل الأول، لذا تقتصر هنا على ما كان الرجوع أو العود بالنقيض، وذلك طلباً لترتيب الخطة. (ينظر: الصناعتين: ٣٩٥، والإيضاح: ٣٥٢/٢).

(٥) ينظر: البديع في نقد الشعر: ١٢٠.

(٦) ينظر: تحرير التحبير: ٣٣١-٣٣٣، وبديع القرآن: ١١٧، ١٢١.

الرجوع لاحتماله لهما. ولا سيّما وأن الدراسة اعتمدت تقسيمات القزويني لهذه الفنون، فلم يرد عنده هذان الفنان، ونقصد بذلك (الرجوع والاستثناء) و (الرجوع والاستدراك)، وإنما هما يرجعان عنده إلى فن واحد هو الرجوع. وبسبب دلالة الرجوع على الاستدراك والاستثناء اختلف عن السلب والإيجاب، لعدم وجود هذين المعنيين فيه، لذا أفردته الدراسة بمبحث خاص.

ومثال التقابل التراجعي **قوله (عليه السلام): (لا غنى كالعقلِ، ولا فقرَ كالجهلِ، ولا ميراثَ كالأدبِ، ولا ظهيرَ كالمشاورةِ)**[1]. فالتناقض بالرجوع وارد هنا بالنفي بـــ (لا) فقط دون العود على نقيضه، لأن موجبه مذكور ومنفيه مضمور (غائب)، وسياق الكلام كالآتي:

لا غنى بالمال، الغنى بالعقل.
لا فقر بالمال، الفقر بالجهل.
لا ميراث بالمال، الميراث بالأدب.
لا ظهير بكثرة العدد، الظهير بالمشاورة.

فالعلاقة العميقة التي جمعت بينهم هي (المقارنة) بدلالة نقيضها المحذوف (بالمال) الذي اشتركت فيه جميعاً. أما علاقة (الظهير) بالجميع أو بصورة أدق علاقته بالمال، فهي علاقة لازم بملزوم، ذلك أن من لوازم المال كثرة العدد أو الظهير.

أكد هذا المعنى أي (المقارنة بالأفضلية) حرف الجر (الكاف) بدلالته على الاستعلاء، ((وهو أن تكون بمعنى على))[2]، والمعنى: (لا غنى على العقل، ولا فقر على الجهل، ولا ميراث على الأدب، ولا ظهير على المشاورة). زاد من قوة هذه العلاقة دخول (لا) النافية للجنس، بدلالتها على نفي خبرها (الكاف وما دخلت عليه) عن الجنس الواقع بعدها (الغنى، والفقر، والميراث، والظهير) نفياً عاماً، لأنها ((تنفي على جهة استغراق الجنس))[3]، وتسمى لا التبرئة الاستفراقية[4]، أي

---

[1] نهج البلاغة: ٤٩٥، حكمة: ٤٩.
[2] الجنى الداني: ٨٤، وينظر: المغني: ١٨٣.
[3] شرح المفصل: ٢٦٣/١، ، وينظر: الهمع: ١٩٣/٢.
[4] ينظر: شرح الر ضي على الكافية: ١٥٥/٢.

التنصيص على استفراق خبرها من المبتدأ. فالعقل أغنى الغنى، والجهل أفقر الفقر، والأدب أفضل من كل موروث من مال أو قنية، والمشاورة أظهر أو أقوى من كثرة العدد[1]. وقد ارتبط النص بعضه ببعض بالواو ربطاً إضافياً، لمشاركة المتناقضات جميعاً بالمقارنة والاستعلاء، كما أن السبك المعجمي بتكرار (الكاف) في خبر لا النافية للجنس، وما يؤديه هذا التكرار من وظيفة الربط بين أجزاء النص، فضلاً عن وحدة المحيل زاد من شد النص وترابطه، أكد هذا الترابط التكرار التركيبي، وهو (لا النافية للجنس + اسمها + (الجار والمجرور) خبرها) في النص من بدايته إلى نهايته، إذ الغاية منه إثبات اشتراك النص جميعه بالنفي والاستعلاء.

ومثله **قوله** (عليه السلام): **(لا يُقيمُ أمرَ اللهِ سبحانه إلاّ مَن لا يُصانعُ، ولا يُضارعُ، ولا يَتَّبعُ المطامعَ)**[2]. فالنفي في قوله (لا يقيم) يستدعي أو يستحضر متناقضاته إذ المعنى: (لا يُقيم أمر الله سبحانه من يُصانع ويُضارع ويتّبع المطامع، وإنّما يُقيم أمر الله من لا يُصانع ولا يُضارع ولا يتّبع المطامع). فالرجوع أو النقض متحقق في هذه المنفيات المذكورة ومتناقضاتها المستبطنة، والاستثناء متحقق في المنفيات المذكورة مع دلالته على العلاقة بين هذه المتناقضات التي هي (المعاكسة) بدلالة الاستثناء، لما فيه من ربط عكسي في النص، إذ المعنى: يقيم أمر الله من لا يُصانع: لا يداري ويداهن، ولا يُضارع: لا يشابه المبطلين أو لا يتشبه بأئمة الحق وليس هو منهم أو من المضارعة بمعنى الخضوع والذلة، ولا يتّبع المطامع: لا يتبع ميوله وأهواءه، ولا يقيم أمر الله من يُصانع، ويضارع، ويتّبع المطامع[3]. فالمعاكسة بين هذه الأصناف واضحة جداً.

اما على مستوى سبك النص فقد جاء المتناقضان الأخيران معطوفان بـــ (الواو) على (لا يصانع) لمشاركتهما له في الحكم الإعرابي، وهو مجيؤهما صلة للموصول الحرفي (مَن) والذي يقع بدوره مستثنى بأداة الاستثناء (إلا)، وبذلك قامت الواو بوظيفة الربط بين أجزاء النص، لدخول المعطوفات جميعها بالاستثناء.

---

(1) ينظر: شرح ميثم البحراني: ٥/٣٣٠-٣٣١.

(2) نهج البلاغة: ٥٠٥، حكمة: ١٠٥.

(3) ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ١٨/٢١٩، وشرح ميثم البحراني: ٥/٣٦١، وفي ظلال نهج البلاغة: ٤/٢٨٤-٢٨٥، وشرح السيد عباس الموسوي: ٧٥٨.

والاستثناء مفرغ لعدم وجود أو ذكر المستثنى منه، فحكم المستثنى هنا هو الإعراب بحسب العوامل الداخلة عليه[١]، أي أن الاسم الموصول (من) هنا فاعل، و(أمر الله) مفعول به واجب التقديم، وذلك لأنه مقصور على الفاعل بـــ (النفي و إلا)[٢]. فضلاً عن ذلك فقد قام الاستثناء بوظيفة الإحالة، وذلك بإحالته الاسم الموصول (مَن)، وهو المستثنى إحالة قبلية إلى الضمير المستتر في (لا يقيم)، وهو المستثنى منه.

فبالاستثناء المفرغ يتحقق القصر أو الحصر للتوكيد[٣]، أي حصر إقامة أمر الله على من نفيت عنه هذه الصفات، ذلك أن القصر بالنفي والاستثناء يفيد توكيد النفي[٤]. والاقتران بـــ (لا) المكررة التي تفيد أن الفعل منفي عنها في حالتي الاجتماع والافتراق[٥]، أكسبت النص معنى آخر، ذلك أن الإنسان إذا كان لا يصانع فهذا يعني أنه لا يضارع ولا يتبع المطامع والعكس صحيح، وبمعنى آخر: أن الذي يقيم أمر الله هو الذي نفيت عنه هذه الخصال مجتمعة أو مفترقة. إذن الحكمة متماسكة تدعم بعضها بعضاً لتكوّن نصاً بامتياز.

ومنه **قوله (عليه السلام): (لا يُعابُ المرءُ بتأخيرِ حقِّهِ، إنَّما يُعابُ مَن أخذَ ما ليسَ لَهُ)**[٦]. فالمتناقضان هنا هما (لا يعاب، ويعاب)، والعلاقة المستبطنة بينهما هي (المعاكسة) بين من أخر حقه ومن أخذ ما ليس بحقه، والمعنى: ((المتسامح في حقه لا يعاب وإنما يعاب سالب حق غيره))[٧]. وإذا كان القصر بـــ (النفي والاستثناء) يفيد توكيد النفي فإن القصر بـــ (إنّما) يفيد توكيد

---

[١] ينظر: المقتضب: ٣٩٤/٤، ٣٩٨، والهمع: ٢٥٠/٣.
[٢] ينظر: التقديم والتأخير في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ٨٧.
[٣] ينظر: الاستثناء في القرآن الكريم: ١١.
[٤] ينظر: من أسرار اللغة: ١٩٠، وأساليب النفي في العربية: ١٢٩.
[٥] ينظر: الجنى الداني: ١٦١، والمغني: ٣٤٣.
[٦] نهج البلاغة: ٥١٧، حكمة: ١٥٦.
[٧] ينظر: شرح الشيخ محمد عبده: ٥٣٨.

الإثبات[1]، أي أن قصر العيب هنا خاص بإثبات العيب لا نفيه، وخاص بقصره على من أخذ حق غيره لا المؤخر لحقه.

وفي الأداة (إنّما) سبك نحوي لقيامها بوظيفة الربط العكسي بين الجملتين، فما لا يعاب في الجملة الأولى يعاب في الجملة الثانية، وفي ذلك تأكيد للعلاقة الغيابية المستبطنة، وهي (المعاكسة)، هذا فضلاً عن الإحالة المتمثلة بالضمير المستتر في (يعاب) إحالة قبلية إلى (المرء)، وهذا يعني أن الجزء الثاني من الحكمة ارتبط بجزئها الأول فشكل وحدة كلامية متماسكة ومتكاملة. كما أن هناك إحالة خارجية مقامية إلى المتلقي، من خلال استعمال اسم غير محدد، وهو (المرء)، وفي ذلك يعطي الإمام (عليه السلام) صورة عامة وغير معروفة يثني عليها مرة، ويوبخها مرة أخرى حسب المقام أو الظرف الذي ترد فيه، مما يجعل ذهن المتلقي يتفاعل مع النص ضمن مدى أوسع من الحكمة وزمانها.

ومن التقابل التراجعي **قوله (عليه السلام): (لا تجعَلُوا علمكُم جهلاً ويقينَكُم شكاً، إذا علمتُم فاعملُوا وإذا تيقنتُم فأقدِموا)**[2]. فالعلاقة بين نهي جعل العلم جهلاً واليقين شكاً من جهة وإثباتهما من جهة أخرى هي علاقة (مطلق بمقيد)، فالعلم مطلق بالجهل، أو منفي بالجهل، لأنه جعل علمه كله جهلاً. واليقين مطلق بالشك، أو منفي بالشك، لأنه جعل يقينه كله شكاً. أما الإثبات فيهما فمقيدان بالعلم والتيقن.

والسبك النحوي نراه في كمال الانقطاع بين النهي والإثبات، ذلك أن الجملة الأولى إنشائية طلبية لفظاً ومعنى، لتصدرها بأداة النهي (لا) في (لا تجعلوا)، والجملة الثانية خبرية لفظاً ومعنى إذ إن الجملة الشرطية تعد من الجمل الخبرية[3]، وليس في الفصل ما يوهم* خلاف المقصود

---

[1] ينظر: من أسرار اللغة: ١٩٠، وأساليب النفي في العربية: ١٢٩.

[2] نهج البلاغة: ٥٣٦، حكمة: ٢٦٥.

[3] ينظر: الهمع: ٤٣/٤.

* كما في الموضع الثالث من مواضع الوصل (لا، ويرحمك الله). (ينظر: الإيضاح: ١٥٩/١، وعلم المعاني: ١٦٠).

لوجود المناسبة، لأن الثانية جاءت مقيدة للأولى، فضلاً عن علاقة التناقض بينهما. هذا يعني أن الرابط بين الجملتين هو رابط معنوي، فلشدة السبك بين أجزاء النص، لم يحتج إلى الرابط اللفظي.

وفي ذلك يقول الشيخ محمد عبده: ((من لم يظهر أثر علمه في عمله فكأنه جاهل وعلمه لم يزد على الجهل، ومن لم يظهر أثر يقينه في عزيمته وفعله فكأنه شاك متردد، إذ لو صحّ اليقين ما مرض العزم))[١]، ولتكونوا علماء بحق فاعملوا إذا علمتم، ولتكونوا من المؤمنين المخلصين أقدموا إذا تيقنتم، ومن ترك العمل بعلمه ويقينه فقد ألغى عقله ودينه وضميره[٢]. وهذا ما أوضحه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله في حكمة أخرى: (العلم مقرون بالعمل. فمن علم عمل، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلاّ ارتحل)[٣].

وكما أن الإحالة بضمير واو الجماعة في (تجعلوا) هي التي ربطت النص بعضه ببعض، إذ يحيل إلى ضمير واو الجماعة في (اعملوا، وأقدموا) إحالة بعدية، فضلاً عن السبك المعجمي بتكرار اللفظ نفسه في (علمكم، وعلمتم، فاعملوا)، و(يقينكم، وتيقنتم) بما في هذا التكرار من وحدة المحيل، ومن ثُمّ ربط النص.

ومنه ما **قاله (عليه السلام) عندما كان على قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ساعة دفنه: (إنَّ الصبرَ لجميلٌ إلاّ عنكَ، وإنَّ الجزعَ لقبيحٌ إلاّ عليكَ، وإنَّ المُصابَ بكَ لجليلٌ، وإنَّهُ قبلكَ وبعدكَ لجللٌ)**[٤]. فهنا استبطان لتناقضات يستحضرها الذهن عند سماعه النص، فيسترجعها بأسلوب الاستثناء، وهو كالآتي:

الصبر لجميلٌ إلا عنك ليس جميلاً.
إن الجزع لقبيحٌ إلا عليك ليس قبيحاً.
إن المصاب بغيرك لجللٌ إلا بك ليس جللاً.

---

[١] شرح الشيخ محمد عبده: ٥٦٢.
[٢] ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٣٨٤.
[٣] نهج البلاغة: ٥٤٩، حكمة: ٣٥٦.
[٤] المصدر نفسه: ٥٣٩، حكمة: ٢٨٣.

وهذا النقض الأخير ذكره بقوله: (وإنه قبلك وبعدك لجلل)، أي: هين وبسيط*، وهو دليلنا على ما ذكرنا من تداعيات غيابية. والعلاقة بين هذه المتناقضات المذكورة والمستبطنة هي (المعاكسة)، يؤكد هذه العلاقة وهذه المحذوفات الشيخ البحراني بمضمون قوله: بما أن الصبر معناه: السلوان والغفلة عن الفقيد فكان غير جميل على رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، وبما أن الجزع في المصيبة يستلزم دوام تذكره وذكر أخلاقه وسنته وسيرته فكان غير قبيح من هذا الوجه إلا على غيره. ومن هنا كان المصاب به أعظم من المصاب بأحد من الناس، وأن كل مصاب بأحد من قبله أو بعده فهو سهل هين بالنسبة إليه[1]. وكيف لا يكون كذلك وبوجوده (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) استمرار للوحي واستمرار الاتصال بالسماء.

ومن ناحية العلاقات اللغوية نلاحظ أن الجمل وصلت جميعاً بالواو، وذلك لاتفاقها بالخبرية لفظاً ومعنى وليس هناك سببٌ يقتضي الفصل بينها، والمناسبة فيها ظاهرة وتامة، وهي التناقض، وفي هذا الوصل ربط للنص من خلال الواو الرابطة. فضلاً عن ذلك فإن المستثنى في هذه الجمل واحد يعود إلى الرسول المصطفى محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، وإذا كان ذلك كذلك ازداد معنى الجمع بينهما بالواو قوة وظهوراً، وأوجبت له (الواو) اسم (إنّ) المشبهة بالفعل وخبرها. كما أوجبت له المستثنى بأداة الاستثناء (إلا) وجعلتها جميعاً لرسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

وفي الاستثناء أيضاً ربط بين أجزاء النص، ويعزز علاقة المعاكسة بين المتناقضات، بدلالته على الربط العكسي، فضلاً عن الإحالة بضمير الكاف المخاطَب العائد على الرسول المصطفى محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في النص جميعه، فكان النص بذلك نصاً مسبوكاً مترابطاً، ومحبوكاً متماسكاً.

---

* يؤكد هذا المعنى ما نقله ابن أبي الحديد لهذه الحكمة برواية أخرى هي: (وإن المصاب بك لجليل وإنه بعدك لقليل). (نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٩/١٦٠، حكمة: ٢٩٨).

[1] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٥/٤٦٦، وشرح الشيخ محمد عبده: ٥٦٥.

ومن التقابل التراجعي **قوله (عليه السلام): (لا تَظُنَّنَّ بكلمةٍ خرجتْ مِن أحدٍ سوءاً وأنتَ تجدُ لها في الخيرِ محتملاً)**[1]. فقوله: (وأنت تجد لها في الخير محتملاً) تقابل (لا تظنن)، وهذا يعني أن معنى النص: (لا تظنن... بل ظن بها خيراً)، فقوله: (لا تظنن) تقابل نقيضها (ظن) الذي استدعاه ذهن المتلقي من العلاقة الغيابية للنص.

والعلاقة بينهما هي علاقة (تخصيص لعموم)، فقوله: (وأنت تجد لها في الخير محتملاً) تخصيص للعموم قبله، إذ ليس كل كلام يسمعه المتلقي لابد أن يشك فيه أو يظن به سوءاً، أي ((لا تتهم أحداً بسوء ما دام لكل ظاهر باطن، فإذا كان ظاهر الكلام أو الفعل حسناً أو لا قبح فيه، فخذ به واعتمد عليه حتى يثبت العكس، وإن كان سيئاً فاحجم ولا تأخذ بهذا الظاهر، فربما كان الواقع على خلافه إلا إذا انكشف كالشمس ولا سبيل للتأويل))[2].

والسبك النحوي نراه في الربط بـــ (الواو) الحالية، ذلك أنه يجوز أن تقترن الجملة الأسمية المثبتة بالواو والضمير معاً ويجوز تركها[3]، أي الواو. ولترك الواو وإثباتها دلالة في المعنى وفارق في النص[4]. ففي دخول الواو على الجملة الحالية يقول عبد القاهر الجرجاني: ((كل جملة جاءت حالاً ثم اقتضت الواو فذلك لأنك مستأنف بها خبراً وغير قاصد إلى أن تضمها إلى الفعل الأول في الإثبات))[5].

هذا يعني أن قوله (عليه السلام): (وأنت تجد لها في الخير محتملاً) حال من الفاعل المخاطب المستتر في الفعل (تظنن)، وفي اقتران الجملة بالواو: إن النص بدأ بالنهي عن الظن ثم استأنف خبراً مثبتاً مرتبطاً بما قبله بالواو الحالية. كما نلاحظ توفر الإحالة بالضمير المستتر (أنت) في

---

(1) نهج البلاغة: ٥٤٨، حكمة: ٣٥٠.
(2) في ظلال نهج البلاغة: ٤/٤٢٥.
(3) ينظر: الهمع: ٤/٤٢.
(4) ينظر: معاني النحو: ٢/٢٥٦-٢٥٧.
(5) دلائل الإعجاز: ٢١٣.

(تظنن) إحالة بعدية إلى الضمير الظاهر (أنت) في الجملة الحالية. ويكفي البحث بذلك دليلاً على ثبوت النصية للحكمة العلوية سبكاً وحبكاً.

وفي التقابل التراجعي أيضاً **قال (عليه السلام): (الدنيا خُلِقتْ لغيرِها، ولم تُخلقْ لنفسِها)**[1]. فالرجوع بالتناقض هنا وقع بين (خُلقت، ولم تُخلق)، والعلاقة بينهما هي (السببية)، أي خلقت سبباً للآخرة ولم تخلق سبباً لنفسها، وإنما ((للاستعداد فيها لدرك ثواب الله في الآخرة))[2]، أي أن الدنيا خلقت ((سبيلاً إلى الآخرة ولو خلقت لنفسها لكانت دار خلد))[3]. وهذا يستدعي ألفاظاً غائبة في النص، والمعنى: (الدنيا خُلقت للآخرة، والدنيا لم تُخلق للدنيا).

هذا على مستوى الحبك، أما على مستوى السبك النحوي، فالواو وصلت وربطت بين جملتين خبريتين لفظاً ومعنى والقصد من الربط هو اشتراك الجملتين بعلاقة الضدية، كما هو واضح من المعنى الغيابي المستدعى من النص، إذ الدنيا ضد الآخرة. كما أن الإحالة بالضمير المستتر نائب الفاعل (هي) في قوله (لم تُخلق) فيه إحالة قبلية إلى نائب الفاعل (الدنيا)*، والإحالة بضمير (ها) في قوله (لغيرها) فيه إحالة بعدية إلى الضمير نفسه في (لنفسها)، مما زاد ذلك من ترابط النص. فضلاً عن السبك المعجمي بينهما المتحقق بعلاقة التناقض بين(خُلقت، ولم تُخلق). كل ذلك جعل النص مسبوكاً ومحبوكاً.

---

(1) نهج البلاغة: ٥٦٥، حكمة: ٤٥١.

(2) شرح ميثم البحراني: ٥٣٨/٥.

(3) شرح الشيخ محمد عبده: ٥٩٦.

* الخالق أو الفاعل في هذا النص هو المولى جلّ وعلا، والدنيا نائب فاعل، وإنما تُرك الفاعل وجيء بما ينوب عنه للعلم به عند المخاطب. (ينظر: معاني النحو: ٦٢/٢).

المبحث الثالث: تقابل المتضايفين:

التضايف في اللغة: من ((ضَيَفَ: الضاد والياء والفاء أصل واحد صحيح يدل على ميل الشيء إلى الشيء، يقال: أضَفْت الشيء إلى الشيء: أملته. وضافت الشمس تَضِيف: مالت))[١].

ومن هنا جاء **المعنى الاصطلاحي:** إذ إن كل شيء يميل إلى شيء آخر فقد أثبت وجوده، فـ ((الاضافة في كلام النحويين في اسم مجرور يضم إليه اسم قبله. وفي كلام بعضهم في كل شيء يثبت بثبوت الآخر كالأب والابن... فان كل ذلك يقتضي وجوده وجود آخر، فيقال لهذه: الأسماء المتضايفة))[٢].

وحدّه في كتب البلاغة: ((هو الشيء الذي إنما يقال بالقياس إلى غيره، مثل الضعف إلى نصفه، والمولى إلى عبده، والأب إلى ابنه. فكل واحد من الأب والابن، والمولى والعبد، والضعف والنصف، يقال بالإضافة إلى الآخر. وهذه أشياء من جهة ما أن كل واحد منها يقال بالقياس إلى غيره من المضاف. ومن جهة أن كل واحد منها بإزاء صاحبه كالمقابل له، فهي من المتقابلات))[٣].

أما حده في كتب المنطق: فـ ((هو علاقة وجود بين اسمين، بحيث لا يوجد أحدهما بدون الآخر، أو لا يمكن أن تعقل ماهية أحدهما بدون أن يخطر في الذهن ماهية الآخر))[٤]، كالأبوة والبنوة، والفوقية والتحتية، والعلية والمعلولية، والتقدم والتأخر ... ألخ[٥].

وأهمية تقابل التضايف تأتي من استبطانه لعلاقات أخرى، كعلاقة (الشركة) بين الشريك والشريك، وعلاقة (الرباط الزوجي) بين الزوج والزوجة، وعلاقة (السيادة) بين الحاكم والمحكوم،

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٥٨٢، مادة (ض.ي.ف)

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ٥١٣.

(٣) معجم البلاغة العربية: ١٨٣-١٨٤، وينظر: العمدة: ١٤/٢، وسر الفصاحة: ٢٣٨.

(٤) المنطق الصوري: ١٤٢.

(٥) ينظر: المنطق، المظفر: ٤٨-٤٩، والمقرر في توضيح منطق المظفر: ١١٩/١.

وهكذا[١]. ويسميه أحد الباحثين بالتقابل العكسي[٢]. وترى الدراسة أن هذا المصطلح مجانب للصواب، ذلك أنه أقرب إلى التضاد منه إلى التضايف، هذا أولاً. وثانياً: أن في كتب البلاغة فناً بديعياً يعرف بالعكس والتبديل[٣]، مفهومه أقرب ما يكون إلى تقابل المتماثلين منه إلى تقابل المتضايفين كما توضح في مكانه[٤].

ومن تقابل المتضايفين **قوله (عليه السلام): (إنَّ الأمورَ اذا اشتبهتْ اعتُبِرَ آخِرُها بأوَّلِها)**[٥]. فالمتضايفان هما (آخرها و أولها) والعلاقة بينهما هي علاقة (الزمانية)، فكل أول لابد له من آخر، وكل آخر له أول، فأول الأمور أسباب وآخرها نتائج، والأسباب تدل على المسبَبات فإذا ما اشتبهت أو التبست الأمور في أولها لم تتضح في آخرها، وهنا على العقل أن يقيس آخرها على أولها، لأن البداية تدل على النهاية، والمقدمة تبشر بالنتيجة، وعلى حسب البدايات تكون النهايات، فإذا كانت المقدمات خاطئة كانت النتيجة خاطئة[٦]. والعكس صحيح.

وجاءت الألفاظ مرتبطة بعضها ببعض في أسلوب شرطي بالأداة الشرطية غير الجازمة (إذا) الوقتية، الدالة على الأمر الواقع لا محالة[٧]. وتقتضي أداة الشرط جملتين؛ الأولى: فعل شرط، والثانية: جزاء أو جواب، والجواب مترتب وقوعه على وقوع الشرط[٨]. وهذا يعني ارتباط النص ربطاً سببياً من خلال أسلوب الشرط، وهذا أولاً.

---

[١] ينظر: المنطق الصوري: ١٤٤.
[٢] ينظر: أساليب البديع في نهج البلاغة، اطروحة دكتوراه: ١٣٤.
[٣] ينظر: العمدة: ٢٨٩/٢، والبديع في نقد الشعر: ٤٦، وتحرير التحبير: ٣١٨، والإيضاح:٣٥١/٢.
[٤] تُراجع صفحة: ٧٥-٧٦.
[٥] نهج البلاغة:٤٩٧، حكمة: ٧١.
[٦] ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ١٧٨/١٨، وشرح الشيخ محمد عبده: ٥١٦، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢٥٧/٤، وشرح السيد عباس الموسوي: ٧٤٦.
[٧] ينظر: المقتضب: ٥٤/٢-٥٥.
[٨] ينظر: شرح المفصل: ١٠٨/٥، والهمع: ٣٢٢/٤.

وثانياً: بناء الفعل للمجهول، إذ جاء (آخرها) نائب فاعل للفعل (اعتُبِر)، وإنما حذف الفاعل لأن مراد المتكلم لا يتعلق بتعيينه[1]. أما ثالثاً: فهو تعلق مقابله التضايفي (بأولها) بالفعل المبني للمجهول (اعتُبِر) نفسه من خلال حرف الجر (الباء)، فضلاً عن الإحالة بالضمير المجرور بالإضافة (ها) في (آخرها) إحالة بعدية إلى الضمير نفسه في (بأولها)، فزاد ذلك من شد النص بعضه ببعض.

ومن تقابل المتضايفين أيضاً **قوله (عليه السلام): (عِظَمُ الخالقِ عندكَ يُصغِّرُ المخلوقَ في عَينِكَ)**[2]. فالخالق ليس تضاداً مع المخلوق، جلّ وعظم المولى عن ذلك، وإنما هما متقابلان تقابلاً تضايفياً، والعلاقة بينهما هي (التمكن أو السيطرة أو الغلبة)، ولا نسبة للمخلوق إلى الخالق، فمن هو المخلوق ليقال: إن عظم الخالق يصغر المخلوق في العين. ولكن كلامه (عليه السلام) محمول على مخاطبة العامة الذين تضيق أفهامهم عمّا ذكرناه[3].

والتصغير هنا لا يتوقف على الاختراعات والاكتشافات التي عظّمت مخترعيها ومستكشفيها ــ كما ذهب إلى ذلك الشيخ محمد جواد مغنية[4]ــ وإنما يشمل إن لم نقل يختص بالظالمين والمتسلطين على رقاب الفقراء والمستضعفين، فرُبّ فقير زهد في الأغنياء لأنه رأى الله هو الغني الكريم فلا يطلب سواه، ورُبّ مظلوم انتصر على الظالم لأنه رأى الله هو الجبار المتكبر فلا يخشى غيره.

وقد ارتبط المتضايفان بعلاقة لغوية ركنية هي مجيء لفظ (الخالق) مجروراً بالإضافة للمصدر (عِظَمُ) على وزن (فِعَل)، و(عِظَمُ) مبتدأ خبره جملة (يُصغِّرُ المخلوق في عينكَ)، أي أن النص ارتبط ارتباطاً معنوياً بالإسناد، ولهذا فصل بين الجملتين، أي بسبب التوسط بين الكمالين مع

---

(1) ينظر: الهمع: ٢/٢٦٢.
(2) نهج البلاغة: ٥٠٩، حكمة: ١٢٢.
(3) ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ١٨/٢٥٧.
(4) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٤/٢٩٩.

قيام المانع، وهو كون الجملتين متناسبتين وبينهما رابطة قوية، لكن يمنع من العطف مانع وهو عدم التشريك في الحكم[١].

هذا يعني أن وصل الجملتين بالواو سيفسد المعنى، لأنه حينها ستنتظر الجملتان خبراً يبيّن أو يوضح علة تعظيم الخالق وتصغير المخلوق، وهذا ما لا يريده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، لأنه جعل الأولى سبباً في الثانية، فضلاً عن الإحالة بـــ (كاف) المخاطب في (عندك) إحالة بعدية إلى الضمير نفسه في (عينك)، وهي إحالة خارجية مقامية عائدة إلى المتلقي. وبذلك تم المعنى ونفد الكلام.

ومثله أيضاً **قوله (عليه السلام): (لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ)**[٢]. وإذا كانت العلاقة هناك هي علاقة التمكن والغلبة فإن العلاقة هنا هي علاقة (السيادة أو العبادة)، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣]، والعبادة في اللغة هي: الطاعة[٤]، ومن طاعته أن لا يعصى طاعة لمخلوق من خلقه أياً كانت منزلة هذا المخلوق ودرجة قرابته.

والسبك النحوي متحقق بـــ (لا) النافية للجنس التي تدل على نفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها، والخبر هنا معرب منصوب لأنه شبيه بالمضاف وعامل فيما بعده، لأنه مصدر[٥]، والشبيه بالمضاف: هو ما اتصل به شيء من تمام معناه[٦]، والمتعلق به هنا الجار والمجرور (لمخلوق)، وبذلك يكون خبر (لا) شبه الجملة من الجار والمجرور والمضاف إليه (في معصية الخالق). أي ارتبط النص ربطاً معنوياً بالإسناد، وبذلك اتصل أول الكلام بآخره واحتاج كلاً منهما الآخر في إتمام المعنى وسبك النص.

---

[١] ينظر: أساليب المعاني في القرآن: ٢٣٥-٢٣٦.
[٢] نهج البلاغة: ٥١٧، حكمة: ١٥٥.
[٣] الذاريات: ٥٦.
[٤] ينظر: القاموس المحيط: ٢٨٢، مادة (ع.ب.د).
[٥] ينظر: المقتضب: ٤/٣٥٧-٣٥٩، وأسرار العربية: ٢٤٦-٢٥٢.
[٦] ينظر: الهمع: ٤/٢٧١-٢٧٢.

ومنه **قوله (عليه السلام): (يومُ المظلومِ على الظالمِ أشدُّ مِن يومِ الظالمِ على المظلومِ)**[1]. فالألفاظ المتضايفة هنا هي (المظلوم والظالم)، والعلاقة بينهما هي (التسلط أو القهر). ولا يراد بيوم المظلوم على الظالم يوم القيامة فقط، وإنما قد يتحقق ذلك في الدنيا قبل الآخرة ((إما بيد المظلوم وغيره من الثائرين على الظلم، وإما من ظالم مثله، وإما بيد الخالق وهو أشد بأساً وأشد تنكيلاً))[2].

هذا على مستوى الغيابي. أما على مستوى الحضوري فنلاحظ أن النص ارتبط بعضه ببعض بعلاقة الإسناد بين المبتدأ والخبر ربطاً معنوياً، إذ المبتدأ في الجملة الأولى (يوم) وخبره في الجملة الثانية (أشدّ)، حيث يصح وقوع الخبر المفرد من المشتقات[3] مع ما في الخبر من دلالة على المشاركة والزيادة، لأنه اسم تفضيل[4]. أي مشاركة يوم الظالم ليوم المظلوم بالعلاقة الغيابية وهي التسلط والقهر، وزيادتهما في يوم المظلوم منه في يوم الظالم.

هذا يعني أن في اسم التفضيل إحالة بعدية إلى ما بعده. فضلاً عن السبك المعجمي بتكرار لفظي (المظلوم، والظالم)، وما في هذا التكرار من وحدة الإحالة مما يجعل النص مترابطاً أيضاً. وبذلك تداخل النص ببعضه وسبك ظاهراً بعلاقة الإسناد وحبك عمقاً بعلاقة التسلط والقهر.

ومثله **قوله (عليه السلام): (يومُ العدلِ على الظالمِ أشدُّ مِن يومِ الجورِ على المظلومِ)**[5]. إلا أنه هنا فضلاً عن التضايف في (الظالم والمظلوم) أضاف ضدين هما (العدل والجور)، ولهذه الإضافة دلالة عميقة هي (التفريق بين اليومين)، فالأول حق والثاني باطل.

ومن تقابل المتضايفين **قوله (عليه السلام): (مودةُ الآباءِ قَرابةٌ بين الأبناءِ، والقَرابةُ إلى المودةِ أحوجُ مِن المودةِ إلى القرابةِ)**[6]. والعلاقة بين المتضايفين (الآباء والأبناء) هي (النسب

---

(1) نهج البلاغة: ٥٢٧، حكمة: ٢٣٢.
(2) في ظلال نهج البلاغة: ٣٦١/٤.
(3) ينظر: الهمع: ١٠/٢.
(4) ينظر: شرح الحدود النحوية: ٩٣.
(5) نهج البلاغة: ٥٤٥، حكمة: ٣٣٢.
(6) المصدر نفسه: ٥٤١، حكمة: ٢٩٩.

وصلة الدم)، بدليل ذكر (المودة والقرابة). والنص مترابط ظاهرياً ربطاً معنوياً بعلاقة الإسناد، ذلك أن (مودة الآباء) مبتدأ خبره (قرابة بين الأبناء). و(مودة) قد تكون مصدراً ميميّاً على وزن (مَفْعَل) مؤنثه (مَفْعَلَة) دالةً على الذات[١]، أي ذات الآباء. وقد تكون اسم مصدر على وزن (مَفْعَلَة) أيضاً، ودالةً على سبب الفعل[٢]، على تقدير القول: (القرابةُ مودةٌ)، أي أن سبب وجود القرابة بين الآباء والأبناء هو المودة بينهم، فلولا المودة لم يكن للأبوة دور في القرابة أو التقريب بينهم، وهذا التوجيه أصوب من سابقه، لأنه في المصدر الميمي الذات مضافة إليها، وهي (الآباء).

(المودة) إذن اسم مصدر والإضافة فيها محضة، لأن إضافة اسم المصدر عند النحاة محضة[٣]، والإضافة هنا ليست على تقدير حرف جر، لأن الإضافة أوسع من أن تكون بمعنى حرف، فاسم المصدر هنا متعدٍ وقد أُضيف إلى مفعوله، وهو يتعدى إليه في الأصل بلا تقدير حرف[٤]، فنقول: مودتهم الآباءَ. وبذلك أُسند الخبر إلى المبتدأ فكأنه قال: (المودةُ قرابةٌ). وقد ورد هذا المعنى حقاً في حكمة أخرى قبلها هي قوله (عليه السلام): (المودةُ قرابةٌ مستفادة)[٥].

وإنما سميت إضافة محضة، لأنها أفادت المضاف تخصيصاً، فالمضاف إليه نكرة[٦]، والقصد تخصيص المودة بمن هو قريب لك في رابطة الدم حفاظاً على صلة الأرحام. ولهذا ربط بين الجملتين بالواو، إذ الاتفاق في الخبرية لفظاً ومعنى وليس هناك سببٌ يقتضي الفصل بينهما، فضلاً عن المناسبة التامة بين الجملتين[٧]، فالجملة الثانية تتحدث عن أحوجية القرابة إلى المودة المذكورين في الجملة قبلها.

---

[١] ينظر: معاني الأبنية في العربية: ٣٤.
[٢] ينظر: المصدر نفسه: ٣٩.
[٣] ينظر: الهمع: ٤/٢٧١-٢٧٢.
[٤] ينظر: معاني النحو: ٣/١٠٤.
[٥] نهج البلاغة: ٥٢٢، حكمة: ٢٠١.
[٦] ينظر: الهمع: ٤/٢٦٨.
[٧] ينظر: علم المعاني: ١٥٩.

وتفضيل المودة بين الآباء والأبناء على القرابة أو صلة الدم بينهما، لأن المودة أصل في المعاونة ومستغنية عن القرابة، فقد لا تكون مع القرابة معاونة إذا فقدت المحبة، فالأقرباء بحاجة إلى المودة. أما الأوداء فلا حاجة بهم إلى القرابة[١]. هذا يعني أن (((مودة الآباء) المحبة والتصافي بين الآباء إذا نشأ عليه الأبناء وتربوا في أجوائه يصبح ذلك كصلة القربى والدم))[٢]. وبذلك اتصل الكلام فاستحق أن يُطلق عليه نصاً متكاملاً.

ومن عجائب حكمه (عليه السلام) أنه يمكننا أن نقتطع عبارة صغيرة من بعض حكمه لتكوّن نصاً وأسلوباً تام المعنى واضح الدلالة، كما في **قوله (عليه السلام): (ما ظَفِرَ مَن ظَفِرَ الإثمُ بِهِ، والغالبُ بالشرِّ مغلوبٌ)**[٣].

فقوله: (الغالب بالشر مغلوب) واضح الدلالة تام المعنى مستغنٍ عمّا قبله. والعلاقة بين المتضايفين هي (التسلط أو القهر)، إلا أنه هذه المرة وقع على نفسه فغلبها، لأنه إذا كان الشر وسيلة للغلبة فإنه لم يغلب، لأنه بِشرِّهِ صار مغلوباً عند الله في صورة غالب[٤] عند نفسه أو في أعين الناس. فما أجمل الصورة التي قدمها الإمام علي (عليه السلام) من خلال علاقة التضايف بين اللفظين.

والسبك متحقق أيضاً بعلاقة الإسناد، إذ المبتدأ (الغالب) وخبره (مغلوب)، أي أن المبتدأ بحاجة إلى الإخبار عنه بالخبر، هذا أولاً. وثانياً: تعلق الجار والمجرور (بالشر) باسم الفاعل (الغالب)، وهو عينه الضمير المحذوف في (مغلوب)، والتقدير: (الغالب بالشر مغلوب به). وهذا يعني أن في النص سبك بالحذف، مع ما في هذا الحذف من إحالة في الضمير المجرور بالباء المحذوف (به) إحالة قبلية إلى (بالشر)، وهذا يعني من جهة أخرى أن في الحذف سبك معجمي بالتكرار، لأن المحذوف هو نفسه المذكور.

---

[١] ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ١٧٦/١٩، وشرح ميثم البحراني: ٤٧٠/٥، وشرح الشيخ محمد عبده: ٥٦٧.
[٢] شرح السيد عباس الموسوي: ١١٢.
[٣] نهج البلاغة: ٥٤٤، حكمة: ٣١٨.
[٤] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٤٧٨/٥، وشرح الشيخ محمد عبده: ٥٧١.

وبما أن هذه الجملة وصلت بما قبلها بـــ (الواو)، فالشر هنا وقع تقابلاً نظيرياً أو تماثلياً بالمعنى مع (الإثم)*، أو الحبك الدلالي بعلاقة الترادف بين (الإثم، والشر) الذي جعل الجملتين متماسكتين بعضهما ببعض. وهذا يعني التشريك بين الجملتين بالمعنى مما زاد من اقترانهما، فللتوسط بين الكمالين مع عدم وجود مانع من الوصل، إذ إن الجملتين متفقتان بالخبرية لفظاً ومعنى، ارتبط الكلام ببعضه.

وفي ذلك يقول الشيخ محمد عبده: ((إذا كانت الوسيلة لظفرك بخصمك ركوب إثم واقتراف معصية فإنك لم تظفر حيث ظفرت بك المعصية فألقت بك إلى النار، وعلى هذا قوله: (الغالب بالشر مغلوب)))[1]، أي أن قول الإمام (عليه السلام) الأخير هو نفسه قوله الأول، إلا أنه كما ذكرنا في بداية الحديث عن هذه الحكمة أنه يمكن عدّ كل جزء منها نصاً قائماً برأسه غير محتاج إلى ما يكمل أو يتمم معناه.

ومن تقابل المتضايفين **قوله (عليه السلام) ــ يعلمنا التهنئة بالمولود ــ (شكرتَ الواهِبَ، وبُورِكَ لكَ في الموهوبِ، وبَلَغَ أشُدَّهُ ورُزِقتَ برَّهُ)**[2]. والعلاقة بين (الواهب والموهوب) هي (الاستعلاء والعظمة)، إذ الذي يهب الأشياء دونما مقابل لابد أن يكون عظيماً متعالياً. والله جلّ وعلا هو الواهب للنعم بجميع أشكالها المادية والمعنوية، فهو العظيم المتعالي. والموهوب في الحكمة العلوية هو المولود.

وقد تلاحم النص بـــ (الواو)، أو ربط بين الكلام بـــ (الواو) ربطاً إضافياً، لاتفاق الجمل بالخبرية لفظاً ومعنى، وليس هناك سببٌ يقتضي الفصل بينها. كما أن المناسبة بينهما ــ التضايف ــ موجودة، فضلاً عن ذلك أن الجملتين الأخيرتين متعلقتان بما قبلهما باعتبارهما دعاء للموهوب.

---

* قد مرّ بيان ذلك ــ أي تقابل النظيرين أو المتماثلين ــ في الفصل الثاني من الاطروحة.

[1] شرح الشيخ محمد عبده: ٥٧١.

[2] نهج البلاغة: ٥٤٧، حكمة: ٣٤٤.

وفي الحكمة المباركة ((إرشاد للتهنئة بالولد، فيها أربع فوائد؛ أحدها: تذكير الوالد بشكر الله وإلفاته إليه. الثانية: استنزال البركة منه بالدعاء فيما وهب له. الثالثة: الدعاء للموهوب بالبقاء وبلوغ الأشد، وهو كمال القوة لغاية الانتفاع به. الرابعة: الدعاء بثمرته والانتفاع به، وهي أن يرزقه بره ونفعه))[1]. كما أن الإحالة بضمير تاء الفاعل في (شكرتَ) إحالة بعدية إلى الكاف في (لك)، وإلى تاء الفاعل في (رُزِقتَ) جعلت النص مسبوكاً مترابطاً، فضلاً عن الإحالة بالفعل المبني للمجهول في (بُورك، ورُزقت) إحالة قبلية إلى (الواهب)، إذ في حذف الفاعل إحالة قبلية إلى (الواهب)، وسبك معجمي بالتكرار، لأن المحذوف هو نفسه المذكور.

[1] شرح ميثم البحراني: ٥/٤٩٠.

الفصل الرابع

تقابل المتخالفين

التخالف لغة: يأتي من خَلَفَ يَخلُف بمعنى تغيّر، يقال: خَلَفَ فم الصائم خُلُوفاً، وخُلُوفة: تغيّرت رائحته. ومثله: اللبن والطعام إذا تغير طعمه أو ريحه[١].

أما اصطلاحاً: فالتخالف عند ابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ):((مقابلة الشيء بما ليس ضده))[٢]، ومثله عند العلوي: ((مقابلة الشيء بما يخالفه من غير مضادة))[٣].

ومن خلال هذين المعنيين ــ اللغوي والاصطلاحي ــ يتبيّن لنا أن في التخالف تقابلاً بين الألفاظ، ولكن ليس بالمضادة وإنما بالمغايرة، كما في ((حالة فم الصائم قبل التغير تتقابل مع حالته بعد التغير، ونفس الشيء مع تغير حالة الطعام))[٤]، ولذلك أطلق علماء المنطق على الألفاظ المتقابلة بالتخالف لفظ المتغايرة أو المتغايران[٥].

ويستشهد عليه الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) بقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾[٦]، إذ يقول: ((فقابل الشر بالرشد، وهما خلافيان، وضد الرشد الغي، وضد الشر الخير، والخير الذي يخرجه لفظ الشر ضمناً نظير الرشد قطعاً. والغي الذي يخرجه لفظ الرشد ضمناً نظير الشر قطعاً. حصل من هذا الشكل أربعة ألفاظ: نطقان وضمنان، فكان بهما رباعيان))[٧].

---

[١] ينظر: القاموس المحيط: ٧٤٥، مادة (خ.ل.ف).
[٢] المثل السائر: ١٥١/٢.
[٣] الطراز: ٢٠٠/٢.
[٤] أسلوب التقابل في الربع الأخير من القرآن الكريم، رسالة ماجستير: ١٩.
[٥] ينظر: المنطق، المظفر: ٤٦.
[٦] الجن: ١٠.
[٧] البرهان: ٢٨١/٣.

ومن خلال استدعاء العناصر الحاضرة لأضدادها الغائبة ــ التي أشار إليها الزركشي بقوله: (نطقان) للحاضرة، و(ضمنان) للغائبة ليتأصل بذلك المنهج الحديث بالتراث العربي ــ يمكن للبحث أن يدخل ما يسمى بالطباق المعنوي ضمن مفهوم التقابل بالخلاف لتقارب المفهومين، ذلك أن حدّ الطباق المعنوي هو((مقابلة الشيء بضده من جهة معناه دون لفظه))[١].

أي أنه ليس هناك علاقة تضاد بين لفظيهما مثله مثل تقابل التخالف، يؤكد هذا التداخل الآية التي استشهد بها العلوي على تقابل الخلافيين هي نفسها التي استشهد بها القزويني على أحد أنواع الطباق المعنوي (الخفي)، وهي قوله جلّ وعلا: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[٢].

فالشدة مخالفة للرحمة، والرحمة ليست ضداً للشدة، وإنما ضد الشدة اللين، وضد الرحمة القسوة، إلا أنه لما كانت الرحمة من مسببات اللين حسنت المقابلة بينهما[٣]. وبذلك يمكن أن ندخل الطباق المعنوي ضمن تقابل التخالف.

ذلك إذا ما عرفنا أن دراستين أكاديميتين قد أخذتا بتعريف أبي هلال العسكري للطباق الخلافي* بتوجهين: الأولى: أسمته (تقابل التخالف)[٤]، والثانية أطلقت عليه (الطباق المعنوي)[٥]. فضلاً عن ذلك فإن الخلاف أعم من التضاد، إذ كل متضادين متخالفين وليس كل متخالفين متضادين[٦].

---

[١] الطراز: ٢/٢٠٠.

[٢] الفتح:٢٩.

[٣] ينظر: الطراز: ٢/٢٠١، والإيضاح: ٢/٣٣٩.

* إذ يقول فيه: ((وقد طابق جماعة من المتقدمين بالشيء وخلافه على التقريب لا على الحقيقة، وذلك كقول الحطيئة، الديوان: ٢٧٨.

وأخَذْتَ أطرَارَ الكلامِ فلم تَدَعْ شَتْماً يَضُرُّ ولا مَديحاً يَنْفَعُ

والهجاء ضد المديح، فذكر الشتم على وجه التقريب)). (الصناعتين:٣١٥-٣١٦).

[٤] ينظر: التقابل الدلالي في نهج البلاغة، رسالة ماجستير:٢٤.

[٥] ينظر: الطباق في القرآن الكريم، رسالة ماجستير: ١٧.

[٦] تُراجع صفحة: ١٦-١٧.

وبمعنى آخر يمكن للألفاظ المتقابلة خلافياً أن لا تستبطن أضداداً فقط فربما استبطنت تناقضاً أو تضايفاً، كما سيتضح ذلك عند إيراد التطبيقات على نهج البلاغة. ونتيجة لهذا التداخل بين التقابل الخلافي والطباق المعنوي، وشمولية أو سعة التخالف، وتجنباً لكثرة التقسيمات، يمكن أن نقسم التقابل التخالفي على ثلاثة أقسام*:

الأول: التقابل التخالفي الظاهر (الطباق المعنوي).
الثاني: التقابل التخالفي الخفي (الطباق الخفي).
الثالث: التقابل التخالفي التناقضي والتضايفي.

فإذا ما استبطن التخالف تضاداً، كما لاحظنا ذلك في الاستشهاد القرآني سمي تقابلاً خلافياً ظاهراً. أما إذا استبطن تضاداً أعمق سمي تقابلاً خلافياً خفياً. أما إذا استبطن تناقضاً أو تضايفاً فعد تقابلاً خلافياً تناقضياً أو تضايفياً.

إلا أنه قبل الخوض في هذه المباحث تجب الإشارة إلى علاقة التخالف بعلم الدلالة، إذ يعد التخالف من العلاقات الدلالية بين الألفاظ فـ((التخالف علاقة دلالية أساسية، وتعد من أهم العلاقات المحددة لدلالة الكلمة. إن تَعرّف الكلمات الواقعة مع كلمة أخرى في علاقة تخالف يحدد لنا دلالات هذه الكلمة عن طريق ثنائيات التخالف))[1]، أي ما يسمى بالمصاحبة المعجمية.

وأهمية علاقة التخالف متأتية من الحرية المتاحة للمبدع في بناء تراكيبه الخاصة، والمنطلقة من خلفيته الذهنية التي تتقابل فيها الدلالات على غير مضادة، وبذلك يحل المبدع محل المعجم في

---

* أخذ البحث القسمين الأولين من دراستين، الأولى: للباحث عبد الكريم حافظ العبيدي الذي قسم التقابل على قسمين؛ الأول: التقابل الظاهر: وقصد به ما ظهر فيه التضاد واضحاً بيّناً. والثاني: التقابل الخفي: هو ما عنيناه بدراستنا. (ينظر: ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية، رسالة ماجستير: ٩٧، ١٠٥). والدراسة الثانية: للباحثة نِعَم هاشم الجماس، التي قسمت الطباق المعنوي على قسمين أيضاً؛ الأول: الطباق المعنوي الظاهر، والثاني: الطباق= المعنوي الخفي. (ينظر: الطباق في القرآن الكريم، رسالة ماجستير: ١٧-١٨، ١٤٩-١٧٩). إلا أن البحث هنا أخذ المسميات فقط دون مضامينها، ذلك أن الدراسة الأولى أغفلت بقية المتقابلات، كالمتناقضات والمتماثلات وغيرها. أما الدراسة الثانية فقد اكتفت بدراسة الطباق وحده، أما البحث هنا فقد جعل الطباق المعنوي أحد أنواع التقابل التخالفي، وهو (التقابل التخالفي الظاهر)، كما سيتضح.

[1] مدخل إلى علم اللغة: ١٥٠.

إبراز الدلالة الخلافية التقابلية[1]. ولهذا يعرف الدكتور محمد عبد المطلب التخالف بقوله: ((أن تكون اللفظة الأولى مخالفة للثانية على نحو شبيه بالتضاد، مع ملاحظة وجود تناسب بين الطرفين، فهو تخالف من جانب وتناسب من جانب آخر، ينتهي إلى بناء تقابلي))[2].

[1] ينظر: بناء الأسلوب في شعر الحداثة: ٢٣٣.

[2] ينظر: المصدر نفسه.

المبحث الأول: التقابل التخالفي الظاهر:

قلنا إن التقابل التخالفي الظاهر هو التقابل الذي استبطن تضاداً ظاهراً، أي: سهلاً واضحاً، لا يحتاج إلى دقة النظر وإعمال الفكر، وهو ((أن يكون التقابل فيه واضحاً لا لبس فيه ولا تعقيد، وتكون دلالاته قريبة المنال سهلة الإدراك يستوي فيه تحصيل مقصودها وبيان المراد منها كل من ينظر إليها))[١].

وهو الأكثر شيوعاً من صنوه التقابل الخفي، لأنه واضح الدلالة يستوي في إدراكه أوسط الناس فهماً وذكاءً، هذا يعني أن التقابل الخلافي الظاهر هو الذي يتعلق فيه اللفظان المتخالفان في إحدى العلاقات الباطنية التي يسهل كشفها وتشخيصها[٢].

ومن التقابل التخالفي الظاهر **قوله (عليه السلام): (سيئةٌ تسُوءُكَ خيرٌ عندَ اللهِ مِن حسنةٍ تُعجبُكَ)**[٣]. فإذا ما عرفنا أن السيئة تقابلها الحسنة تقابلاً ضدياً[٤]، فمن الطبيعي أن يكون المقابل الضدي لـــ (تسوءك) لفظ (تحسنك)، إلا أنه (عليه السلام) أورد مقابلاً خلافياً لها هو لفظ (تعجبك)، لإفادة علاقة عميقة وهي إيراد ما يدل على حالة فاعل الحسنة، وهي العجب مثلما أورد حالة فاعل السيئة، وهي الاستياء، أي أن العلاقة المستبطنة بينهما هي (الهيأة أو الكيفية).

والنتيجة التي استبطنتها السيئة التي أساءت فاعلها هي حسنة أو حسنات عند الله والعكس هو الصحيح، أي أن النتيجة التي استبطنتها الحسنة التي أثارت عجب صاحبها هي سيئة أو سيئات عند الله، وفي ذلك يقول الشيخ محمد عبده: ((الحسنة المعجبة ربما جر الإعجاب بها إلى سيئات، والسيئة المسيئة ربما بعث الكدر منها إلى حسنات))[٥]، ودليله قوله سبحانه في التوابين، أي الذين

---

[١] ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية، رسالة ماجستير: ٩٧.
[٢] ينظر: المصدر نفسه: ٩٧.
[٣] نهج البلاغة: ٤٩٥، حكمة: ٤١.
[٤] ينظر: القاموس المحيط: ١٠٩٦، مادة (ح.س.ن).
[٥] شرح الشيخ محمد عبده: ٥١٢.

يسيئون فيندمون، أو تسوؤهم إساءتهم فيتوبون[١]: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ ﴾[٢]. وبذلك استدعى النص لعناصر غيابية هي (السيئات والحسنات).

وقد سبك النص في الإحالة باسم التفضيل غير القياسي (خير)، بدلالته على ((أن شيئاً زاد في صفة نفسه على شيء آخر في صفته فلا يكون بينهما وصف مشترك كقولهم: العسل أحلى من الخل))[٣]، فـ ((ليس الخل مشاركاً للعسل في الحلاوة، وإنما المعنى اتصاف العسل بالحلاوة أكثر من اتصاف الخل بالحموضة))[٤]. فضلاً عن إفادة (أفْعَل) التفضيل بُعد الأفضل وتجاوزه عنه بـ (مِن)[٥]، واقترانه بها بسبب تجرده من (أل) والإضافة[٦].

كل ذلك أدى ــ فضلاً عن ترابط النص بسبب وقوعه بين السيئة والحسنة ــ إلى تغيير دلالة السيئة والحسنة، فإذا السيئة عند الله حسنة، والحسنة عند الله سيئة، وبذلك سبك نحوياً باسم التفضيل ومعجمياً بعلاقة التخالف. فضلاً عن الإحالة بضمير كاف المخاطَب في (تسوءك) إحالة بعدية إلى الضمير نفسه في (تعجبك)، مع ما في ضمير المخاطَب من إحالة خارجية مقامية إلى المتلقي.

ومنه أيضاً **قوله (عليه السلام): (مَن حَذَّرَكَ كمَن بَشَّرَكَ)**[٧]. البشارة من بَشَرَ، وتكون للخير والشر، إلا أن تقيد بقيد[٨]، وهي هنا قيدت بخلافها (حذرك) فدلت على البشارة بالخير، والمعنى: ((من حذرك من الشر كمن بشرك بالخير))[٩]، فالعلاقة بينهما إذن علاقة (العام بالخاص). وبذلك

---

[١] ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢٤٥/٤.
[٢] الفرقان: ٧٠.
[٣] شذا العرف:٨١.
[٤] معاني النحو: ٢٦٨/٤.
[٥] ينظر: المصدر نفسه: ٢٧٠/٤.
[٦] ينظر: الهمع: ١١٠/٥.
[٧] نهج البلاغة: ٤٩٦، حكمة:٥٤.
[٨] ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١١٧، مادة (ب.ش.ر).
[٩] في ظلال نهج البلاغة: ٢٥٢/٤.

استدعت الحكمة أضداداً غائبة هي (الشر والخير)[١]، بدليل الخلافيين (حذرك وبشرك)، وفي عدم ذكر لفظي (الخير والشر) توسيع وإطلاق لذهن المتلقي، إذ يذهب به الذهن بعيداً ليتصور هذا التحذير بأشكاله المختلفة ممَ قد يكون؟ أو بصورة أوضح فإن النص سيخاطب أذهان مختلفة كل واحدة ترى فيها تحذيراً من شيء يختلف عمّا يراه الآخر، وهنا تكمن براعة النص.

ويمكن أن يستبطن اللفظان(حذرك وبشرك) علاقة أخرى غير علاقة العام بالخاص ألا وهي علاقة (التشبيه)، أي تشبيه المحذر بالمبشر، لأن ((المعنى من حذرك من الشر فقد بشرك بالخير))[٢]. أكد هذه العلاقة على المستوى الحضوري أو التركيب وجود حرف الكاف الجارة التي من دلالاتها التشبيه[٣]، ((ووجه الشبه ظاهر، وهو ترغيب في الإقبال على المحذر واستماع تحذيره لغرض النجاة بتشبيهه بالمبشر))[٤].

زيادةً على ذلك الإحالة بالاسم الموصول (مَن حذرك) بمعنى (الذي) إحالة بعدية إلى الاسم الموصول الثاني (كمن بشرك) فضلاً عن ذلك الربط بعلاقة الإسناد، إذ الموصول الثاني مع صلته خبر للموصول الأول مع صلته. كما أن في السبك المعجمي بتكرار الاسم الموصول (من) فيه من الربط بدلالته على وحدة المحيل، وهذا كله جعل النص متماسكاً، أي مسبوكاً.

ومثله **قوله(عليه السلام): (خُذِ الحكمةَ أنَّى كانتْ فإنَّ الحكمةَ تكونُ في صدرِ المنافقِ فَتَلَجْلَجُ في صدرِهِ حتى تَخرجَ فتسكُنَ إلى صواحبِها في صدرِ المؤمنِ)**[٥]. و(التلجلج) من الفعل الثلاثي الصحيح المضعف العين (لجّ)، ومعناه: تردد الكلام وتحريكه[٦]، وبهذا المعنى يكون مقابلاً خلافياً للفظة (تسكن)، لاستبطانه الاضطراب والحركة المخالفة لحالة الثبات والاستقرار أو السكون[٧].

---

[١] ينظر: القاموس المحيط: ٣٨٦، مادة (ش.ر.ر).
[٢] في ظلال نهج البلاغة: ٢٥٢/٤.
[٣] ينظر: حروف المعاني: ٣٩، والمغني:١٨٢.
[٤] شرح ميثم البحراني:٣٣٢/٥.
[٥] نهج البلاغة:٤٩٨، حكمة:٧٤.
[٦] ينظر: القاموس المحيط: ١٩٩، مادة (ل.ج.ج)، وشرح السيد عباس الموسوي:٧٤٩.
[٧] ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٦٤، مادة (س.ك.ن)، وشرح السيد عباس الموسوي: ٧٩٤.

والعلاقة بينهما هي (السببية)، فلولا حركتها في صدر المنافق لم تسكن في صدر المؤمن، فمعنى قوله (عليه السلام): إن الحكمة في ((اضطرابها وعدم ثباتها في صدر المنافق وكونه ليس مظنة لها غير مستقرة فيه إلى أن تخرج إلى مظنتها وهي صدر المؤمن فتسكن إلى صواحبها من الحكم فيه))[١].

وبوجود الفاء السببية، التي تعطف جملة على جملة[٢] تتأكد وتقوى هذه العلاقة في قوله: (فإن الحكمة...) و (فتلجلج...) و (فتسكن...) وبذلك ربطت ما بعدها بما قبلها، وهذا يعني أنها ربطت النص على مستوى ظاهره، أي سبكته بعد أن حبكته على مستوى العمق، هذا أولاً.

وثانياً: حرف الجر (حتى) بدلالته على انتهاء الغاية[٣]، وبذلك دخل ما بعدها في حكم ما قبلها، فهي ((تفيد تَقَضّي الفعل شيئاً فشيئاً))[٤]، وبذلك جعلت حركة الحكمة واضطرابها (تلجلج) بداية غايتها، أما نهاية غايتها فهي قوله: (تخرج)، على اعتبار (تخرج) مصدر مؤول من (أن والفعل المضارع) وتقديره: حتى أن تخرج، هو مجرورها.

وثالثاً: فالفاء العاطفة الثانية في (تسكن) ((ومعناها التعقيب))[٥]، ولهذا نصبته عطفاً على الفعل المضارع قبله (تخرج) المنصوب ــ كما قلنا سابقاً ــ بأن المصدرية المضمرة، وهذا ما جعل النص مكملاً بعضه بعضاً.

أما رابعاً: فيأتي السبك المعجمي بتكرار اللفظ نفسه (الحكمة) الذي زاد من ربط النص وتماسكه بدلالته على وحدة المحيل، أي أن الحكمة هي نفسها في الموضعين، فضلاً عن المصاحبة المعجمية بعلاقة التضاد بين المنافق والمؤمن، وبذلك حبك النص داخلياً وسبك ظاهرياً.

---

[١] شرح ميثم البحراني: ٥/٣٤٣-٣٤٤.
[٢] ينظر: الجنى الداني: ٦٤، والمغني:١٦٩.
[٣] ينظر: حروف المعاني: ٦٤، والصاحبي: ٢٢٢.
[٤] الهمع:٤/١٦٥.
[٥] الجنى الداني: ٦١، والمغني: ١٦٨.

ومثاله أيضاً **قوله (عليه السلام): وقد سمع رجلاً من الحرورية* يتهجد ويقرأ، فقال: (نومٌ على يقينٍ خيرٌ مِن صلاةٍ في شَكٍّ)**[1]. فبما أن الصلاة لا تكون إلاّ في يقظة فقد خالفت (النوم)، وذلك لأنها استبطنت ضداً وهو (اليقظة)، وضد النوم اليقظة[2]. والعلاقة بينهما هي (المفاضلة)، أي عقد المفاضلة بين عقيدة النائم وعقيدة اليقظان.

أكد هذا المعنى على المستوى الحضوري، الإحالة باسم التفضيل (خير) ودلالة اسم التفضيل على أن شيئاً زاد في صفة نفسه على شيء آخر في صفته، أي دلّ على مطلق الزيادة المجردة ودرجاتها الذاتية المقصورة على صاحبها[3].

هذا يعني أن (النوم على يقين) أخير في ذاته من (الصلاة في شك)، فالأخير غير مشارك للأول في الخيرية. يؤكد هذا المعنى مجيء (اليقين) مجروراً بحرف الجر (على) وتكون للاستعلاء، أو العلو[4]، ومجيء (الشك) مجروراً بحرف الجر (في)، و((معناه الوعاء، الظرفية))[5].

فالفوقية والتمكن المتحقق في (اليقين) أولى بالخير من الصلاة الواقعة في الظرف (شك)، فالشك بدلالة حرف الجر (في) ظرف للصلاة، وهذا مما لا خير فيه. وفي ذلك يقول الشيخ البحراني فيما مضمونه: نوم العالم على يقين أولى وخير من عبادة الجاهل في شك[6]. فضلاً عن السبك المعجمي بعلاقة التضاد بين اليقين والشك، وبذلك بانت لُحمة النص وطريقة سبكه على المستويين الغيابي (بعلاقة التفاضل) والحضوري باسم التفضيل وحرفي الجر (على، وفي).

---

* حروراء: ((هي قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها نزل به الخوارج الذين خالفوا الإمام علي (رضي الله عنه) فنسبوا إليها ... وبها كان أول تحكيمهم واجتماعهم حين خالفوه)). (معجم البلدان: ٢/ ٢٤٥).

[1] نهج البلاغة: ٥٠١، حكمة:٩١.

[2] ينظر: القاموس المحيط: ٦٤٥، مادة (ي.ق.ظ).

[3] ينظر: النحو الوافي: ٤٠٦/٣.

[4] ينظر: الصاحبي:٢٣٤.

[5] حروف المعاني: ١٢، وينظر: شرح المفصل: ٤٧١/٤.

[6] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٣٥٢/٥.

وقد جعل أحد الباحثين لفظي (النوم والصلاة) المتخالفين مع لفظي (اليقين والشك) المتضادين من الألفاظ المتقابلة الحادة[١]، ويقصد بذلك: الألفاظ المتقابلة غير القابلة للتنوع أو التعدد، وتوافقه الدراسة فيما ذهب إليه عند تحليله للنص على المستوى الحضوري، وقد وصل إلى نتيجة يقول فيها: إن((المفاضلة عند الإمام قد أخذت منحى طريفاً وجديداً كشفه أسلوب التقابل الحاد ... فاليقين هو أن تعبد الله كأنك تراه ... وهذا الفهم كسر للمألوف المعتاد ولمعنى التعبد... ليس من رصد ظاهرة الصلاة كما هي في الظاهر بوصفها حركات تصحبها ألفاظ، بل من جدواها وغايتها النهائية بأنها صلة قصدية توصلك إلى اليقين بالخالق))[٢].

ومن التقابل التخالفي الظاهر **قوله (عليه السلام): (غَيرةُ المرأةِ كفرٌ وغَيرةُ الرجلِ إيمانٌ)**[٣]. وهنا قارن الإمام بين غيرتين: غيرة المرأة فجعلها كفراً، وغيرة الرجل فجعلها إيماناً. والكفر والإيمان متخالفان، ذلك أن ضد الكفر الإسلام، وضد الإيمان النفاق[٤].

هذا يعني أنهما خرجا عن العلاقة الضدية التي ذهبت إليها إحدى الدراسات[٥]. والعلاقة بين اللفظين هي (المقارنة)، فغيرة الرجل إيمان مقارنة بغيرة المرأة التي تقود إلى الكفر.

ووفق التوزيع السياقي، فضلاً عن العلاقة الخلافية التي ربطت بين اللفظين، التي أمدتهما به المصاحبة المعجمية أو السبك المعجمي فقد وجب الوصل بين الجملتين بالواو لاتفاقهما في الخبرية لفظاً ومعنى مع وجود المناسبة (التخالف)، وليس هناك مانع من الوصل، أي ربط النص بعضه ببعض بالواو، كما أن استعمال أسماء غير محددة (نكرة)، وهي المرأة والرجل فيه إحالة خارجية مقامية إلى المتلقي، فضلاً عن السبك المعجمي بتكرار اللفظ نفسه (غيرة) لما لهذا التكرار من وظيفة الربط بين أجزاء النص، فضلاً عن دلالته على وحدة المحيل.

---

[١] ينظر: أساليب البديع في نهج البلاغة، اطروحة دكتوراه: ١٠٢.
[٢] أساليب البديع في نهج البلاغة، اطروحة دكتوراه: ١١٠-١١١.
[٣] نهج البلاغة: ٥٠٨، حكمة: ١١٧.
[٤] تُراجع صفحة: ٤٨-٤٩.
[٥] ينظر: التقابل الدلالي في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ٥٠.

ولعل قائلاً يقول: كان من الأجدر بالمقام أن ينسب الإمام غيرة المرأة إلى شيء آخر غير الكفر، وذلك لشدة وقع هذه الكلمة على السامع، ولأن غيرة المرأة ناتجة عن عاطفتها أو حبها لزوجها. ولنا مع هذا الإشكال وقفة وجواب.

فالغيرة التي تنتج عن حب الزوجة لزوجها خشية من أن تأخذه امرأة أخرى، ولا سيّما أن الشرع جوز له الزواج بأربع، تعتبر حالة طبيعية، فالإسلام لا يحاسبها على هذه الحالة النفسية الطبيعية، ولكنها تُعدُّ كفراً إذا أخذت بعداً آخر، بأن تُحرّم تعدد الزوجات، أو تُنكر هذا التشريع السماوي، ولهذا نسب غيرتها إلى الكفر.

أما الرجل فغيرته على زوجته من الإيمان، فلا يجوز لغيره النظر إليها أو مسها بسوء، شريطة ألا تتعدى الغيرة حدها المعقول، كما في قوله (عليه السلام) في وصيته لابنه الحسن (عليه السلام): (إياك والتغاير في غير موضع غيرة، فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم، والبريئة إلى الريب)[1]. أي أن الغيرة في غير موضعها تدفع الإنسانة البريئة إلى الريب والشك، وإلى عدم الثقة بنفسها، وقد يؤدي ذلك بها إلى عقدة نفسية[2].

ومن التقابل التخالفي الظاهر **قوله (عليه السلام): (الأَمْرُ قَرِيبٌ والاصْطِحَابُ قَلِيلٌ)**[3]. فقد اتفقت الشروح جميعاً على أن المراد بالأمر القريب: الموت، والمراد بالاصطحاب قليل: الدنيا[4]، وهذا يعني تخالف الموت مع الدنيا بدلالتها على الحياة، فـ((قوله (عليه السلام): الأمر قريب: إشارة إلى قرب الموت من هذا الإنسان، ومع قربه لم يصحب معه من الأعمال الصالحة إلا القليل))[5]. فضلاً عن ذلك التخالف بين لفظي (قريب، وقليل)، ذلك أن ضد البعيد: القريب، وضد القليل:

---

[1] نهج البلاغة: ٤٣١، رسالة: ٣١.

[2] ينظر: تأملات إسلامية حول المرأة: ١٢٢-١٢٣، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢٩٥/٤، وشرح السيد عباس الموسوي: ٧٦٣.

[3] نهج البلاغة: ٥١٧، حكمة: ١٥٨.

[4] ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ٣١٥/١٨، وشرح ميثم البحراني: ٤٠٣/٥، وشرح الشيخ محمد عبده: ٥٣٨، وشرح السيد عباس الموسوي: ٧٧٧، وفي ظلال نهج البلاغة: ٣٢٦/٤.

[5] شرح السيد عباس الموسوي: ٧٧٧.

الكثير[١]. وإنما جمع الإمام (عليه السلام) بينها بالمصاحبة المعجمية (التخالف)، لعلاقة عميقة رابطة بينها جميعاً هي: (النهاية الوقتية أو الزمنية)، أي نهاية وقت الحياة الدنيا، ونهاية وقت تحصيل الأعمال الصالحة، وربما كان المعنى: الوقت المتبقي من العمر قليل مع قلة الأعمال الصالحة.

وعلى المستوى الحضوري يلاحظ البحث ارتباط الجملتين بـــ (الواو)، وذلك بسبب وجود المناسبة الضدية بين الجملتين على المستوى الداخلي للنص، فضلاً عن كونهما خبريتين لفظاً ومعنى، وبذلك تعلقت الواحدة منهما بالأخرى حتى صارتا كالجملة الواحدة، لا تفهم الأولى إلا بالثانية والعكس صحيح.

ومنه أيضاً **قوله (عليه السلام): (اتَّقُوا ظنونَ المؤمنينَ، فإنَّ اللهَ تعالى جعلَ الحقَّ على ألسنتِهم)**[٢]. فالإمام هنا خالف بين (الظن والحق) والظن من ((الظاء والنون أصل صحيح يدل على معنيين مختلفين: يقين وشك))[٣]، وهذا يعني أن الظن محتمل لمعنيين هما (الشك واليقين) والشك ضد اليقين[٤]، إذن (الظن) من المشترك اللفظي*، لأنه لفظ محتمل لمعنيين مختلفين والذي يحدد أحد هذين المعنيين هو السياق. أما الحق فيستدعي ضده الباطل، لأن ضد الحق: الباطل[٥] والحق والباطل يستبطنهما لفظ ظن، لأن كل يقين حق وكل شك باطل.

والنص العلوي هنا أورد كلمة عامة هي (الظن)، ولكنه خصصها بعد ذلك بالحق المرادف لليقين، إذن العلاقة بين المتخالفين (الظن والحق) هي علاقة (خصوص بعموم أو خاص بعام)، فالظن عام والحق تخصيص لهذا العام. وهذا ما جعل النص متماسكاً على مستوى العمق أو المعنى

---

[١] ينظر: القاموس المحيط: ٢٥٧، ٩٦٧، مادة (ب.ع.د)، ومادة (ق.ل.ل).
[٢] نهج البلاغة: ٥٤١، حكمة: ٣٠٠.
[٣] معجم مقاييس اللغة: ٦١٥، مادة (ظ.ن.ن).
[٤] ينظر: المصدر نفسه: ١٠٧١، مادة (ي.ق.ن).
* والمشترك اللفظي: هو أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين مختلفين أو أكثر، كعين المال، وعين السحاب. (ينظر: الصاحبي: ٤٥٦، والمزهر: ٣٦٩/١).
[٥] ينظر: القاموس المحيط: ٨٠٧، مادة (ح.ق.ق).

المستبطن، فالمؤمن بصفائه وقربه من المولى جلّ وعلا، يجعله سبحانه ينطق بالحق واليقين فلا يتطرق إليه الشك، وإنما ظنه دائماً في محله ظناً يقينياً حقيقياً[1].

أما على المستوى الحضوري فتأتي الفاء السببية الرابطة الداخلة على قوله: (فإن الله تعالى جعل الحق على ألسنتهم) لبيان علة الأمر في الاتقاء من ظن المؤمن[2]. إذن الارتباط بين الجملتين اللتين حوتا الخلافيين هو ارتباط علة بمعلول. فضلاً عن الإحالة بضمير الهاء في (ألسنتهم) إحالة قبلية إلى (المؤمنين)، وهذا سبك نحوي آخر أدى إلى ترابط النص.

---

[1] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٤٧١/٥، وفي ظلال نهج البلاغة: ٤٠١/٤.

[2] ينظر: معاني النحو: ١٤/٤.

المبحث الثاني: التقابل التخالفي الخفي:

ويقصد بالتقابل الخفي: الغامض، أي الذي يحتاج إنعاماً للنظر وتدقيقاً للفكر، لأنه يستبطن تضاداً أعمق، لذا يستعصي على غير أهل التخصص والدراسة استخراجه، ولهذا ((تتفاضل الناس في فهمه ولا يستقيم أمره لكل مريد إلا بعد تأمل وإدراك وذكاء لماح، لأن التقابل فيه لا يكون مباشراً بسبب غياب الألفاظ المتقابلة الدالة عليه، وإنما يتحصل من السياق والتركيب وطريقة تأليف العبارات داخل النصوص))[1].

وخفاؤه هذا بسبب العلاقة الباطنية الخفية التي علقتهما معاً، فالتقابل الخفي إذن ((هو الجمع بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق مثل السببية واللزوم))[2].

ومثاله **قوله (عليه السلام): (أهلُ الدنيا كركبٍ يُسارُ بهِمْ وهمْ نيامٌ)**[3]. التقابل الخفي هنا وقع بين (الدنيا ونيام) اللذين يستدعيان أضدادهما (الآخرة والاستيقاظ)، وهما أيضاً خلافيان ونتيجة هذين الخلافيين ضدان أيضاً هما (أحياء وأموات)، وبذلك نصل إلى المخطط الآتي:

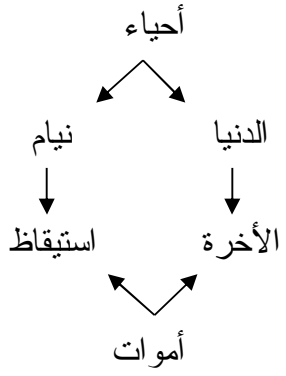

(1) ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية، رسالة ماجستير: ٩٧.
(2) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٦٦/٣.
(3) نهج البلاغة: ٤٩٦، حكمة: ٥٩.

والعلاقة التي استبطنها الخلافيان (الدنيا ونيام) هي (المفارقة) بين موقفين: الأول: وهو الناس أحياء في الدنيا (مستيقظون)، ولكنهم نيام، أي في غفلة عن غاية خلقهم ووجودهم، فلا يستفيقون أو يستيقظون إلاّ في الآخرة وهم أموات[١]، وهذا هو الموقف الثاني.

أما على المستوى الحضوري فقد جاءت جملة (وهم نيام) حالاً مبينة لهيئة صاحبها، فلا يفهم معنى ما قبلها إلاّ بها، ذلك أنّ من أقسام الحال أن تكون ((مبينة، وهو الغالب، وتسمى مؤسسة أيضاً، وهي التي تدل على معنى لا يفهم مما قبلها))[٢]، فهي وإن عُدّتْ فضلة من حيث الإسناد إلا أنها من حيث المعنى لا يمكن الاستغناء عنها[٣]، وهذا يعني أن جملة الحال ارتبطت بما قبلها ربطاً معنوياً.

وبما أن الحال جملة اسمية فلا بد من ضمير يربطها بصاحب الحال[٤]، ولذلك لزمتها (الواو) الحالية[٥] لإزالة التنصيص على الاستئناف[٦]، ذلك أن قولنا: (أهل الدنيا كركب يسار بهم، هم نيام) صارت جملة (هم نيام) غير متعلقة بما قبلها في المعنى، فهي خبر جديد نصاً. من هنا تتضح أهمية (الواو) في ربط النص بعضه ببعض، فجعلت جملة (وهم نيام) متعلقة بما قبلها مشتملة على ضمير يعود إلى (أهل الدنيا) مبينة حالهم فيها. أي أن في النص إحالة قبلية في الضمير (هم) إلى (أهل الدنيا).

ومن عجيب التقابل التخالفي الخفي **قوله** (عليه السلام): **(عجِبتُ لمَن يَقنطُ ومعهُ الاستغفارُ)**[٧]. فالتقابل هنا واقع بين (يقنط والاستغفار) على اعتبار أن القنوط: هو اليأس من رحمة الله،

---

[١] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٣٣٣/٥، وشرح السيد عباس الموسوي: ٧٤٦.
[٢] الهمع: ٣٩/٤.
[٣] ينظر: المصدر نفسه: ٨/٤.
[٤] ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤١/٢.
[٥] ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٠٢.
[٦] ينظر: معاني النحو: ٢٦٥/٢.
[٧] نهج البلاغة:٤٩٩، حكمة:٨٢.

والاستغفار: هو طلب الرحمة ومبدؤها، بشهادة القرآن الكريم[١]، وذلك في قوله عظُمت آلاؤه:﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٢]. والعلاقة المستبطنة الرابطة بين اللفظين هي (الغاية) التي يتجهان نحوها، وهي (الرحمة) بدلالة معناهما.

ومن ناحية التركيب الحضوري نلاحظ أن الجملة الاسمية (ومعه الاستغفار) قد ارتبطت بما قبلها عن طريق (الواو) الحالية والإحالة بالضمير، إذ لابد من رابط (الواو والضمير) يربط الجملة الأسمية بما قبلها لتؤذن بأن الجملة لم تبق على الاستقلال[٣]، وبذلك صارت هذه الجملة حالاً من القانط، فضلاً عن دلالة (مع) الظرفية هنا على موضع الاجتماع[٤]، أي أن رحمة الله تجمعنا وتحف بنا في الأحوال كلها وفي الأوضاع جميعها لا تفارقنا.

ولهذا يتعجب أمير المؤمنين (عليه السلام) من يأس العبد من رحمة ربه مع إحاطتها واجتماعها به. وهنا نرى كيف أن الواو الحالية ربطت النص ببعضه، فضلاً عن السبك المعجمي أو المصاحبة المعجمية التي ربطت اللفظين بعلاقة التخالف.

ومثله **قوله (عليه السلام): (مَن أحَبَّنا أهلَ البيتِ فليستعِدَّ للفقرِ جِلباباً)**[٥]. فاللفظان المتقابلان هما (الحب والفقر)، وضد الحب: الكره[٦]، وضد الفقر: الغنى[٧]. والكره الذي يستدعيه لفظ الحب يوافق الفقر ويناسبه، والغنى الذي يستدعيه لفظ الفقر يوافق الحب ويناسبه أيضاً، وهذه هي المعادلة

---

[١] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٣٤٧/٥، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢٦٧/٤.
[٢] الزمر: ٥٣.
[٣] ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤١/٢، والجنى الداني: ١٦٤.
[٤] ينظر: المغني: ٣٢٦.
[٥] نهج البلاغة:٥٠٥، حكمة: ١٠٦.
[٦] ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٨٩٠، مادة (ك.ر.ه).
[٧] ينظر: القاموس المحيط: ٤٢٦، مادة (ف.ق.ر).

الصحيحة، أي حب الغنى وكره الفقر. إلاّ أنّ الإمام (عليه السلام) قلب المعادلة بحبهم، فجعل حبهم سبباً لفقر محبيهم. فالعلاقة المستبطنة بين اللفظين المتخالفين إذن هي علاقة (السبب بالمسبب).

وعلى مستوى العلاقات الاستمرارية التركيبية، فقد جاءت هاتان اللفظتان في سياق شرطي يستلزم جملتين؛ الأولى: فيها فعل الشرط (أحبنا)، والثانية: فيها جواب الشرط (فليستعد للفقر جلباباً)، و ((الشرط والجزاء جملتان، ولكنا نقول: إن حكمهما حكم جملة واحدة، من حيث دخل في الكلام معنى يربط إحداهما بالأخرى، حتى صارت الجملة لذلك بمنزلة الاسم المفرد في امتناع أن تحصل به الفائدة))[1]، وهذا يعني تأكيد العلاقة الغيابية، لأن الأسلوب الشرطي ربط سببي في النص. والرابط الآخر بينهما هو الفاء الداخلة على جواب الشرط مع دلالتها على التعقيب (الاتباع)، والسببية دون العطف، ولهذا لم يجزم الفعل بعدها بالأداة الشرطية (مَن)، وذلك بسبب فقد المناسبة اللفظية بين الفعلين، فالأول خبري موافق للشروط، والثاني فعل طلبي (أمر) مخالف للشروط، ولهذا تقع الجملة برمتها في محل جزم جواب الشرط، فلولا الفاء لم يرتبط أول الكلام بآخره[2]. فضلاً عن الإحالة القبلية في الضمير المستتر في (فليستعد) إلى ضمير الفاعل المتصل (نا) في (أحبنا).

وبعد أن حبك النص غيابياً وسبك حضورياً نأتي إلى بيان المراد منه، فقد ذهب أغلب الشراح إلى أن المراد من قوله (عليه السلام) هو الصبر على عوارض الفقر ورفض الدنيا والزهد فيها[3]. إلا أن الدراسة تميل إلى ما ذهب إليه الشيخ محمد جواد مغنية إذ يقول: ((يريد الإمام من هذه الجملة التي قبلها* أن من أحب أهل البيت تراكمت عليه المصائب، وسكت عن بيان السبب لوضوحه، وهو أن الولاء لأهل البيت ولاء لله والحق، إذ لا شيء عندهم إلاّ العلم والإيمان والإخلاص والجهاد في حرب الباطل وأهله، ومن سلك هذه السبيل تظاهرت عليه قوى الشر والباطل وعلى الذين

---

(1) أسرار البلاغة: ١١١.

(2) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١/٢٥٢-٢٥٣.

(3) ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ١٨/٢٢٠، وشرح ميثم البحراني: ٥/٣٦٢، وشرح الشيخ محمد عبده: ٥٢٤.

* يقصد الشيخ محمد جواد مغنية بذلك الحكمة السابقة وهي قوله (عليه السلام): (لو أحبني جبل لتهافت). (نهج البلاغة: ٤٨٨، حكمة:١١١).

يتبعونه بإحسان، وأعدت له ولهم كل ما تستطيعه من قوة. والأمثلة على ذلك من كل عصر وقصر لا تحصى كثرة))[1].

وهذا يعني إذا ما حورب محب أهل البيت وحوصر من كل اتجاه فقد انقطعت به سبل العيش، وهذا بدوره يؤدي إلى فقره وجوعه. أما ما ذهب إليه بقية الشراح فإنه لا يوافق القرآن الحكيم إذ يقول:﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾[2]، و﴿ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾[3]، فالله جلّ وعلا يحث على الغنى والاستغناء، بل إن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ذم الفقر وعدّه كفراً، إذ قال: (كاد الفقر أن يكون كفراً)[4].

كما أن القول بأن الإمام عنى بهذه الحكمة ترك الدنيا والزهد فيها يناقض أقواله (عليه السلام) في ذم الفقر، إذ يقول: (الفقر يخرس الفطن عن حجته)[5]، و (الفقر في الوطن غربة)[6]، و (الفقر الموت الأكبر)[7]، و (الفقر منقصة للدين)[8]. ومن خلال هذا القول الأخير للإمام ومع حديث الرسول المصطفى (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يستطيع البحث أن يقول: إن المال والغنى يعينان على الدين وعلى تطبيق تعاليم السماء، وبذلك يترجح الرأي الثاني.

---

[1] في ظلال نهج البلاغة: ٢٨٥/٤.

[2] النور:٣٢.

[3] النور: ٣٣.

[4] من قوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): (كاد الفقر أن يكون كفراً، وكاد الحسد أن يغلب القدر). أصول الكافي: ١٧٨/٢، باب الحسد.

[5] نهج البلاغة:٤٨٧، حكمة:٢.

[6] المصدر نفسه: ٤٩٥، حكمة: ٥١.

[7] المصدر نفسه: ٥١٦، حكمة:١٥٣.

[8] المصدر نفسه: ٥٤٣، حكمة:٣١٠.

ومما جاء منه في نهج البلاغة **قوله (عليه السلام): (مَن أيقنَ بالخَلَفِ جادَ بالعطيةِ)**[1]. فقد خالف الإمام (عليه السلام) بين لفظي (الخلف والعطية)، والخلف معناه: العوض أو البدل، أما العطية فتعني: الصدقة[2]. هذا يعني استبطانهم لأضداد عميقة، فالخلف يعني أخذ المال من المولى سبحانه مُنزِّل الأرزاق، والعطية (الصدقة) تعني إعطاء المال إلى الفقراء، و(أخذ وأعطى) ضدين[3]. والعلاقة الغائبة بين المتخالفين هي علاقة (السبب بالمسبب)، أي أن اليقين بالخلف هو سبب استنزال الرزق.

يؤكد هذه العلاقة وأثرها في حبك النص، سبكه على المستوى الحضوري بأسلوب الشرط، إذ إن فعل الشرط سبب في حصول جوابه[4]، لأن (من) هنا شرطية[5]، والفعل (أيقن) فعل الشرط وجوابه (جاد)، وقد ارتبطت جملة فعل الشرط مع جوابه ارتباطاً وثيقاً، حتى أنه لا يستغني فعل الشرط عن جوابه في إتمام المعنى[6]. فضلاً عن ذلك فإن (الخلف والعطية) جاءا مجرورين بحرف الجر (الباء)، وتعلق الأول بالفعل (أيقن)، في حين تعلق الثاني بالفعل (جاد)، وهذا سبك ثان. كما أن الإحالة بالضمير المستتر (هو) في (أيقن) هي إحالة بعدية إلى الضمير المستتر نفسه في (جاد).

ولعل الغاية من إيراد الحكمة بهذين المستويين ــ الغيابي (السببية) والحضوري (الشرط والتعلق) ــ هي ((التنبيه على أقوى الأسباب الباعثة عليها [أي على الصدقة] وعلى البذل في أكثر الخلق ليعتمد فيسهل معه البذل وهو الثقة بالله واليقين بالخلف منه، كما نطق به وعده تعالى: ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ﴾[7].))[8].

---

(1) نهج البلاغة: ٥١١، حكمة:١٣٠.

(2) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٣٠٦/٤، وشرح السيد عباس الموسوي: ٧٦٨.

(3) ينظر: معجم مقاييس اللغة:٤٧، مادة (أخذ).

(4) ينظر: سر صناعة الإعراب: ٢٥٣/١.

(5) ينظر: حروف المعاني: ٥٥.

(6) ينظر: أسرار البلاغة: ١١١.

(7) التغابن: ١٧.

(8) شرح ميثم البحراني: ٣٨٤/٥.

ومن التقابل التخالفي الخفي **قوله (عليه السلام): (ما عالَ امرؤٌ أقتصدَ)**[1]. فالعيلة: هي الافتقار. والاقتصاد: هو الادخار. وضد الافتقار: الغنى[2]. وضد الاقتصاد: التبذير[3]. والغنى الذي يستدعيه لفظ افتقر (العيلة) يوافق التبذير الذي استدعاه لفظ اقتصد، وعليه يكون المعنى: (ما استغنى من بذر)، أي أن النص بأكمله استدعى ضده.

إلا أن الإمام (عليه السلام) لم يأتِ بهذا النص المستدعى، لأنه خاص بالأغنياء فقط دون غيرهم، أما النص الأول فيشملهم جميعاً، أي يشمل الأغنياء والفقراء. لأن المراد من الادخار: هو ادخار الأموال المؤدية إلى الغنى، أو المراد منه: الاستغناء عمّا في أيدي الناس وعدم الحاجة إليهم، وهذا ناتج من الاقتصاد، أي الإنفاق باعتدال أو الاعتدال في النفقة بقدر الحاجة بدون إفراط ولا تفريط[4]. إذن العلاقة بين اللفظين المتخالفين (عال، واقتصد) هي علاقة (سبب بمسبب)، لأن الاقتصاد سبب عدم العيلة أي الفقر، كما أنه سبب الاستغناء أو الغنى.

ومما زاد من تأكيد العلاقة بين (عال واقتصد) على المستوى الحضوري، هو نفي العيلة أو الفقر بـــ (ما) النافية لدخولها على الفعل (عال)، وهي هنا نافية غير عاملة لدخولها على الأفعال[5]، ثم حاجة الفعل إلى فاعل وهو الاسم الموصول (مَن) بمعنى الذي وصلته (اقتصد) المكملة لمعناه، كل ذلك جعل النص يرتبط ظاهره بباطنه ليشكل وحدة نصية متكاملة.

ومن التقابل التخالفي الخفي أيضاً **قوله (عليه السلام): (مَن لانَ عودُهُ كَثُفتْ أغصانُهُ)**[6]. فالألفاظ المتخالفة هنا هي (لان وكثف)، ولان ضده: خشن[7]، وكثف بمعنى غلظ[8]، وضد الغليظ:

---

(1) نهج البلاغة: ٥١١، حكمة: ١٣٢.
(2) ينظر: القاموس المحيط: ٤٢٦، مادة (ف.ق.ر).
(3) ينظر: المصدر نفسه: ٢٩٤، مادة (ق.ص.د).
(4) ينظر: شرح ميثم البحراني: ٣٨٥/٥، وشرح السيد عباس الموسوي: ٧٦٨.
(5) ينظر: حروف المعاني: ٥٣، والصاحبي: ٢٧١.
(6) نهج البلاغة: ٥٢٣، حكمة: ٢٠٤.
(7) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٩١٠، مادة (ل.ي.ن).
(8) ينظر: القاموس المحيط: ٧٨٢، مادة (ك.ث.ف).

الرقيق[١]. والرقة توافق اللين في عدم خشونتهما. وإنما جاء بلفظ (كثف) دون لفظ (غلظ) لدلالة الأخير على الشدة والقسوة اللتين لا تناسبان المراد، لأنه (عليه السلام) يريد كثرة الأغصان لا غلظها وسمكها، ذلك أن المراد من اللين: التواضع ولين العريكة، والمراد من كثافة الأغصان: اجتماع الأعوان والأتباع وكثرتهم . والمعنى: أن من كانت له فضيلة التواضع وطيب العشرة كثرت أعوانه وأتباعه وقوي باجتماعهم عليه[٢].

وعلاقة التخالف بين اللفظين ضرورة يحتمها المعنى، ذلك أن العود إذا لان، أي دبت فيه الحياة فقد كثفت أغصانه وكثرت والتفت، أما إذا تعامل الإنسان بالخشونة والجفاف فلا حياة في العود، وهذا يعني قلة الأغصان والأعوان. فالعلاقة بين اللفظين على هذا المعنى هي علاقة (لازم بملزوم)، أي أن من لوازم كثافة الأغصان لين العود، كما أن لين العشرة سبب في كثرة الأنصار. هذا على المستوى الغيابي للنص.

أما على مستوى ظاهر النص ففضلاً عن السبك المعجمي بعلاقة التخالف بين اللفظين فقد ارتبطا بسياق شرطي من خلال الأداة الشرطية (مَن)[٣]، وقد جعله أسلوب الشرط متماسكاً، لأن جوابه يتم وقوعه بوقوع فعله[٤]، وفعله وجوابه هما (لان وكثف)، ولم تدخل (الفاء) في الجواب لتعلقهما بالشرط لفظياً ومعنوياً بانقلابهما إلى المستقبل بكلمة الشرط ولذلك لم يحتاجا إلى الرابط[٥]، مما يؤكد ارتباط اللفظين المتخالفين في النص ارتباطاً وثيقاً. فضلاً عن الإحالة بضمير (الهاء) في (عوده) إحالة بعدية إلى الضمير نفسه في (أغصانه)، وبذلك تم السبك النحوي.

ومـــن التقابل التخالـــفي الخفي أيضاً **قوله (عليه السلام): (حَسدُ الصديقِ مِن سُقْمِ المودةِ)**[٦].

---

[١] ينظر: القاموس المحيط: ٨١٧، مادة (ر.ق.ق).
[٢] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٤٢١/٥، وشرح السيد عباس الموسوي: ٧٨٦.
[٣] ينظر: حروف المعاني: ٥٥.
[٤] ينظر: سر صناعة الإعراب: ٢٥٣/١.
[٥] ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١١١/٤-١١٢.
[٦] نهج البلاغة: ٥٢٣، حكمة: ٢٠٨.

فضد الحسد: الغبطة*، وضد السقم (المرض): الصحة[١]، وهنا الإمام خالف بين الحسد والسقم لعلاقة خفية أو غائبة بينهما هي علاقة (البعض بالكل)، فالإنسان كما يصاب بالأمراض العضوية يصاب بالأمراض النفسية، وهي كثيرة منها: الحسد، فالحسد بعض من هذه الأسقام أو أحدها.

أكد هذا المعنى على المستوى الحضوري حرف الجر (مِن) بدلالته على التبعيض[٢]، فإنما كان اختيارها دون حرف الجر (في) للإشارة إلى كثرة الأمراض النفسية التي تخل بالمودة، كالحسد، والكذب، والغيبة، والغيرة، وغيرها كثير.

هذا فضلاً عن الربط أو السبك النحوي الذي أدته (مِن) في النص العلوي من خلال تعلق الجار والمجرور بالفعل (حسد)، وإنما جعل الحسد من سقم المودة، لأن الحسد لا يجتمع مع الصديق، فإذا اجتمع مرضت المودة بين الصديقين وزالت، لأن من لوازم الصداقة الغبطة لا الحسد[٣].

---

* الغبطة: بكسر الغين، هو أن تتمنى مثل حال المغبوط دون زوال نعمته، وهي ضد الحسد: الذي يتمنى صاحبه زوال نعمة المحسود. (ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٧٨٢، مادة (غ.ب.ط).).

[١] ينظر: القاموس المحيط: ٢٢١، مادة (ص.ح.ح).

[٢] ينظر: الصاحبي: ٢٧٢، والجنى الداني: ٣٠٩.

[٣] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٤٢٢/٥، وفي ظلال نهج البلاغة: ٣٤٨/٤.

المبحث الثالث: التقابل التخالفي التناقضي و التضايفي:

في التمهيد تناولت الدراسة قضية التضاد والتخالف، وأثبتت سعة التخالف وشموله للتضاد[١]، وبمعنى أدق توضح لنا في هذا الفصل وفي المبحثين الأول والثاني كيف استبطنت الألفاظ المتخالفة لأضدادها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إمكانية استبطان الألفاظ المتخالفة لنقائضها أو متضايفاتها ولا سيّما إذا ما عرفنا بأن لغة المنطق قد وسعت من مصطلح التخالف وجعلته يشمل التماثل فضلاً عن التقابل بأنواعه[٢].

يؤكد هذا المعنى تعريف ابن الأثير للتقابل إذ قال: إن التقابل ((لا يخلو الحال فيه من وجهين: إما أن يقابل الشيء ضده أو يقابل بما ليس ضده وليس لنا وجه ثالث))[٣]. هذا يعني: أو يقابل بالتخالف أو التضايف أو التماثل فجميعها لا تتقابل الألفاظ فيها بالتضاد، بل إن ((كل متضاد مختلف وليس كل مختلف متضاداً، كما أن كل متضاد ممتنع اجتماعه، وليس كل ممتنع اجتماعه متضاداً))[٤].

وعملية البحث عن علاقة النقيض أو التضايف من علاقات التخالف الخفية*، وهي بحث على المستوى الداخلي للنص أو البنية العميقة، وهذا ما يكشفه ذهن المتلقي من خلال تفاعله مع النص.

ومن التقابل التخالفي المستبطن لألفاظ متناقضة **قوله** (عليه السلام): (**مَن أسرعَ إلى الناسِ بما يكرهونَ قالُوا فيه ما لا يعلمونَ**)[٥]. فقد استبطن لفظ (يكرهون) نقيض (لا يعلمون) الموجب المثبت، أي (يعلمون) و(يعلمون ولا يعلمون) من الألفاظ المتناقضة، ومعنى الحكمة: (من أسرع إلى

---

[١] تُراجع صفحة:١٦-١٧.

[٢] تُراجع صفحة: ١٩-٢٠.

[٣] المثل السائر: ١٤٤/٣.

[٤] الفروق اللغوية: ١٥٧.

* وإنما أفردتها الدراسة بمبحث خاص حتى لا تلتبس مع غيرها من النصوص التي استنبطت تخالفاً فقط.

[٥] نهج البلاغة: ٤٧٤، حكمة: ٣١.

الناس بما يعلمون قالوا فيه بما لا يعلمون)، وعلم الناس حقيقة والحقيقة كما قيل جارحة، ولهذا عبر عنها الإمام علي (عليه السلام) بقوله: (يكرهون).

ودليله قوله تعالى: ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾[1]، لأن من شأن الطبع النفرة من الحقيقة وبغضها وبغض قائلها، ولغرض دفعها يُقبح قائلها بالاتهامات الباطلة أو الكاذبة ليوافقهم السامعون فيدفعون ما قيل في حقهم من إدانات صادقة أو حق وحقيقة[2]. ولعل السبب في إيراد اللفظ الخلافي دون اللفظ النقيضي، هو لإبراز هذا المعنى أو هذا الفعل الذي يصير إليه الناس عند سماعهم ما يكشف عن حقيقتهم أمام المجتمع. أما العلاقة الغيابية التي ربطت بين اللفظين المتخالفين هي (السببية).

أما على المستوى التركيبي فقد وردت الألفاظ المتناقضة في أسلوب شرطي جعل الأول منهما في تركيب فعل الشرط، إذ الاسم الموصول (ما) وصلته (يكرهون) مجرور بالباء، وهو متعلق بـــ (أسرع). والثاني في تركيب جواب الشرط، حيث الاسم الموصول (ما) وصلته (لا يعلمون) مجرور بالباء ومتعلق بـــ (قالوا). والشرط تركيب واسلوب يضم جملتين مرتبطتين بعضهما ببعض ارتباطاً وثيقاً هما جملتا (فعل الشرط وجواب الشرط)، بحيث لا تكتمل دلالة إحداهما إلا بوجود الأخرى وإن قدرت المعنى تقديراً[3].

هذا يعني أن النص ارتبط ربطاً لفظياً سببياً بأسلوب الشرط، وبذلك يؤكد العلاقة الغيابية بينهما. فضلاً عن الإحالة بالضمير المستتر (هو) في (أسرع) إحالة بعدية إلى ضمير (الهاء) المتصل في (فيه)، والإحالة بواو الجماعة في (يكرهون، وقالوا، ولا يعلمون) إحالة قبلية إلى (الناس)، وهذا ما جعل النص متماسكاً متعلقاً بعضه ببعض. كما أن استعمال أسم غير محدد، وهو (الناس) فيه إحالة خارجية مقامية تتعدى من خلالها حدود النص بزمانه ومكانه وشخوصه.

---

[1] المؤمنون: ٧٠.

[2] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٥/٣٢٠، وفي ظلال نهج البلاغة:٤/٢٣٨.

[3] ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ١٤.

ومثله أيضاً **قوله (عليه السلام): (لا تَسْتَحِ مِن إِعطاءِ القليلِ فإنَّ الحرمانَ أقلُّ مِنهُ)**[1]. فالجملة الأولى جاءت تقابلاً خلافياً للجملة الثانية، ذلك أن الجملة الثانية قد استبطنت (الأمر) المقابل لنقيضه في الجملة الأولى، وهو (النهي)، لأن المعنى (بل استح من الحرمان)، أي منع إعطاء الفقير[2]. وفي إبراز هذا المعنى يقول الشيخ البحراني: ((وكلما كان الحرمان* أقل منه فينبغي أن لا يستحي منه بل من الحرمان الذي هو أقل منه))[3]، أي بل أن يستحي من الحرمان.

وفي ورود (النهي) في الجملة الأولى ترغيب بمساعدة الفقراء والمحتاجين مؤكداً هذا المعنى بـــ (إنّ) زيادة في الترغيب والحث[4]. وهذا يعني ارتباط النص ببعضه في بنيته السطحية من خلال النهي والتأكيد.

والعلاقة بين اللفظين المتناقضين هي (السببية)، ذلك أنك إذا استحيت من إعطاء القليل كنت سبباً في حرمان الفقير، والذي يؤكد هذه العلاقة على المستوى الحضوري هو ربط الجملتين بالفاء ((السببية، وذلك غالب في العاطفة جملة أو صفة))[5]، وهي هنا عاطفة جملة على جملة، فالفاء في قوله (فإن الحرمان أقل منه) لبيان علة النهي عن الخجل من إعطاء القليل للفقير فهي إذن للربط السببي ارتباط السبب بالمسبب.

فضلاً عمّا في اسم التفضيل (أقل) من إحالة بدلالته على المشاركة[6] بين (لا تستح، واستح)، والمعنى: لا تستح من إعطاء القليل بل استح من الحرمان الذي هو أقل منه. وبذلك ارتبطت الجملتان فزادت من سبك النص. فضلاً عن الإحالة بضمير (الهاء) المتصل في (منه) إحالة قبلية إلى (القليل).

---

(1) نهج البلاغة: ٤٦٩، حكمة: ٦٢.

(2) ينظر: شرح ميثم البحراني: ٣٣٣/٥، وشرح السيد عباس الموسوي: ٧٤٦.

* سياق الكلام يبيّن أن المراد الإعطاء لا الحرمان، أي: وكلما كان الإعطاء قليل فينبغي أن لا يستحي ... .

(3) شرح ميثم البحراني: ٣٣٤/٥.

(4) ينظر: قصار حكم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، رسالة ماجستير: ١٣٨-١٣٩.

(5) المغني: ١٦٩.

(6) ينظر: الهمع: ١١٤/٥-١١٦.

ومن التقابل التخالفي الذي استبطن تناقضاً سلبياً فقط دون إيجابه، أي منفياً دون إثباته، **قوله (عليه السلام): (لا يَقِلُّ عملٌ معَ التقوى، وكيفَ يَقِلُّ ما يُتقبَّلُ)**[1]. فالنفي في (لا يقل) جاء تقابلاً خلافياً مع الاستفهام في (كيف يقل)، والمعنى النقيضي السلبي له هو (لا يقل) فالاستفهام هنا مجازي خرج لغرض النفي[2]. وإنما عدل الإمام علي (عليه السلام) عن النفي إلى الاستفهام، لأن الاستفهام عن القلة أعمق دلالة من نفيها، لما فيه من مراجعة للنفس، من خلال سؤال المتلقي عن الكيفية، أي كيف يقل عمل عبد مع قبوله؟ فكل عمل مقبول مرضي لا يقل. فالاستفهام هنا ربط بين الجملتين وهذا ما لا نجده بالنفي، لأنه عندها سيختلف المعنى، فلو قلنا: (لا يقل عمل مع التقوى، ولا يقل ما يتقبل) صار لدينا جملتان منفردتان كل بمعناها، ولا علاقة لواحدة بالأخرى. أما (كيف) فقد جعلت نفي قلة العمل مشروطاً بقبوله، كما أنها جعلت قبوله مشروطاً بتقوى صاحبه، فضلاً عن تأكيدها لنفي قلة العمل، وتأكيدها لقبوله. إذن العلاقة الغيابية المستبطنة بين اللفظين المتخالفين (لا يقل، وكيف يقل) هي (الترابطية أو التأكيدية).

أكد هذا المعنى على مستوى ظاهر النص ربط الجملتين بالواو لاتفاق الجملتين في الخبرية معنىً لا لفظاً، فمع وجود مناسبة التقابل بالتناقض بين الجملتين يكون المعنى: العمل المقبول لا يقل وعدم قلته مرتبط أو موصول بتقوى صاحبه. وبذلك ارتبطت الجملتان وسبك النص واتصل بعضه ببعض.

ومن التقابل التخالفي التناقضي **قوله (عليه السلام) في صفة الغوغاء: (هُمُ الذينَ إذا اجتمعوا غَلَبُوا، وإذا تَفرَّقوا لم يُعرفوا)**[3]. فقوله (غلبوا) تقابل خلافي مع (لم يعرفوا)، والعلاقة المستبطنة بينهما هي التناقض، أي أن (لم يعرفوا) استبطن نقيض (غلبوا) المنفي وهو (لم يغلبوا).

---

[1] نهج البلاغة: ٥٠١، حكمة: ٨٩.

[2] ينظر في الأغراض المجازية للاستفهام: علم المعاني، علوان: ٩٧، وعلم المعاني، عتيق: ١٠٤.

[3] نهج البلاغة: ٥٢٠، حكمة: ١٨٩.

وإنما ذكر الإمام (عليه السلام) اللفظ الخلافي دون اللفظ النقيضي للإشارة إلى أن الغوغاء ــ وهم أوباش الناس وعامتهم ــ إذا تفرقوا لم يعرفهم أحد لخمول ذكرهم وخفوت صوتهم[١]، ولذلك فهم لا يَغلِبون فرادى أما إذا اجتمعوا على شيء فهم يَغلِبون.

وقد جعل أحد الباحثين هذه الحكمة من التقابلات المتناظرة إيقاعياً، ويقصد بذلك التوافقات التي ربطت النص في علاقات ثنائية تسهم في موسقة النص، ويقصد بذلك التوازي الذي جاء على صعيد الجملة الشرطية بين (إذا اجتمعوا غلبوا) و (إذا تفرقوا لم يعرفوا). فضلاً عن تطابق حرف الروي بينهما[٢]. وهذا ما يسمى في حقل الدراسات النصية السبك المعجمي بالتكرار التركيبي، له دوره في تماسك النص.

إلا أن علاقة الثنائية وإن كانت موجودة في الحكمة العلوية إلا أنها ليست العلاقة الغيابية التي ربطت النص وحبكته ــ كما في علاقة التخالف ــ وإنما هي علاقة سطحية ظاهرية، كما أن المقابلة بين الصيغتين (غلبوا، ولم يعرفوا) تؤكد علاقة التخالف بينهما وتقويها، فضلاً عن إثباتها لعلاقة التناقض، لأن نفي صيغة المضارع (لم يعرفوا) معناه تساويهما في الزمن، لقلبه إلى الماضي بأداة الجزم (لم) هذا من جهة، ومن جهة أخرى معناه إثبات لنفي الغلبة، أي: (لم يغلبوا).

وفضلاً عن ارتباط النص بعضه ببعض بعلاقة التناقض فقد ارتبط على مستوى التركيب بالواو، حيث يتم الوصل بين الجملتين عندما يكون للجملة الأولى موقع من الإعراب وقُصد إشراك الجملة الثانية في هذا الحكم الإعرابي، وذلك حين تكون هناك مناسبة بين الجملتين ولا مانع من الوصل[٣]، ((وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد، إذ لا يكون للجملة موضع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد))[٤]، فجملة (إذا اجتمعوا غلبوا) جاءت صلة للموصول (الذين) فشاركتها جملة (إذا تفرقوا لم يعرفوا) في وقوعها صلة ثانية للموصول، وهذا يعني أن في النص

---

[١] ينظر: شرح الشيخ محمد عبده: ٥٤٣، وفي ظلال نهج البلاغة: ٣٣٩/٤، وشرح السيد عباس الموسوي: ٧٨٢.
[٢] ينظر: المستويات الجمالية في نهج البلاغة: ٨٤-٨٧، وهامش: ٣٢.
[٣] ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن: ٢٤١.
[٤] دلائل الإعجاز: ٢٢٣.

إحالة بالاسم الموصول (الذين) إحالة بعدية إلى الجملتين الشرطيتين. وهذا يعني من جهة أخرى اتفاقهما في أسلوب الشرط، فكلاهما جملة شرطية[١]، أو كما قلنا سابقاً السبك المعجمي بالتكرار التركيبي. وبذلك تعمقت المناسبة بينهما وهي علاقة التناقض بين الجملتين.

أما من التقابل التخالفي المستبطن للألفاظ المتضايفة **قوله (عليه السلام) لرجل أفرط في الثناء عليه وكان له متهماً: (أنا دُونَ ما تقولُ وفوقَ ما في نفسِكَ)**[٢]. فلفظ (دون) جاء تقابلاً خلافياً للفظ (فوق)، ذلك أنه استبطن المقابل التضايفي له وهو (تحت).

فالفوقية والتحتية إذن من الألفاظ المتضايفة، فـ ((فوق يقتضي تحت))[٣]. إلا أن الإمام (عليه السلام) عدل عن لفظ (تحت) إلى لفظ (دون) ومقابلها الخلافي (فوق) ربما لأن (دون) فيها إطراء الرجل للإمام بما هو فيه أو بما ليس فيه، فاختار (دون) بدلالتها على التقليل، كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَغْفِرٌ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾[٤]، أي ما كان أقل من ذلك[٥]. ولم يختر (تحت) بدلالتها على الانفصال، وذلك لأن ((تحت تستعمل في المنفصل ... يقال: المال تحته))[٦]، ذلك أنه ربما ما ذكره الرجل كان موجوداً في الإمام (عليه السلام)، ومتصلاً فيه ولكن ليس بطريقة قوله هو. وكذلك الحال مع (فوق)، فهي للمنفصل أيضاً، ((تقول: السماء فوق الأرض، فلا يقتضي ذلك أن تكون السماء من الأرض ...))[٧]، ولأن ذاته (عليه السلام) منفصلة عمّا في نفس القائل فهي فوق ما تحدثه به نفسه، فربما كان ما يدور في نفس هذا الرجل ذماً للإمام (عليه السلام) بدليل قول الشريف الرضي: (وكان له متهماً)، وبدليل جواب الإمام نفسه المشعر بذلك[٨] اختار (فوق) بدلالتها على الانفصال،. وهو ما

---

[١] ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ١٣٩.
[٢] نهج البلاغة: ٤٩٩، حكمة:٧٨.
[٣] الفروق اللغوية: ١٨٥.
[٤] النساء: ٤٨.
[٥] ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٣٢٤.
[٦] المصدر نفسه: ١٦٤.
[٧] الفروق اللغوية: ١٨٥.
[٨] ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ١٨٦/١٨، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢٦٦/٤.

يريده الإمام علي (عليه السلام). هذا يعني أن ما أظهره لسان الرجل وكتمه قلبه شيء واحد هو الزيف والنفاق. إذن العلاقة الغيابية التي ربطت بين اللفظين المتخالفين (دون، وفوق) هي (المشابهة).

وجعل أحد الباحثين هذه الألفاظ المتقابلة خلافياً من الأضداد المتقابلة تقابلاً اتجاهياً متدرجاً[1]، وهذا مجانب للصواب، ذلك لأنها من الألفاظ المتخالفة، فضلاً عن أنها في العمق من الألفاظ المتضايفة، ويبدو أن الباحث قد خلط أو دمج بين الأضداد والتضايف. إلا أنه في تحليله لهذه الحكمة وصل إلى تقابل في العلاقة الغيابية غير التضايف، هي: الأضداد وذلك من خلال مقابلة الجمل، أي بين (أنا دون ما تقول) و (فوق ما في نفسك)، وفي تحليله هذا يذهب إلى غير ما ذهبنا إليه. وفيه يقول: ((يسلط هذا التقابل (دون ما تقول/ الزائف) x (فوق ما في نفسك/ الحقيقي) على توضيح أن الحقيقي الذي (في النفس) هو غير الحقيقي الموضوعي المتمثل في شخصية الإمام (عليه السلام) كما هي في الواقع بأبعادها جميعاً، وأن الحقيقي الذي هو في النفس هو ما يعبر عن الحقيقية الذاتية للمنافق الذي يبخس الحقائق موضوعيتها من جانبين متقابلين: الأول: جانب القول، مزيف (للمبالغة فيه تملقاً)، والآخر: جانب التصور، حقيقي (يبخس الحقيقة موضوعيتها). وفي كلتا الحالين يوجه الإمام (عليه السلام) النقد الذي يعري الناظر إلى الأشياء نظرة غير موضوعية للكشف عن حقيقتها كما هي في الواقع، وهي هنا (ذات الإمام/أنا) التي كثيراً ما نظر إليها الناظرون نظرة ذاتية تؤدي إلى فساد العقيدة، لأنها لا تستند إلى أساس عقلي متين))[2].

أما دراستنا فقد جعلت (دون ما يقول) محتملاً للزيف والحقيقة، ولهذا عدل الإمام إلى اللفظ الخلافي (دون) بدلالته على القلة، ولم يستعمل اللفظ التضايفي (تحت) لدلالته على الانفصال، لأنه ربما قاله الرجل موجوداً في الإمام (عليه السلام). أما (فوق ما في نفسه) فهو الزيف والكذب بعينه، ولهذا جاء بلفظ (فوق) بدلالته على الانفصال.

---

[1] ينظر: أساليب البديع في نهج البلاغة، اطروحة دكتوراه: ١٢٠، ١٢٢.

[2] المصدر نفسه: ١٢٢.

وهذا ما يؤكده السبك المعجمي بتكرار الاسم الموصول (ما)، من خلال ما يؤديه هذا التكرار من وحدة الإحالة، فضلاً عن وظيفته في ربط النص. كما أن السبك النحوي بالإحالة بالضمير المستتر (أنت) في (تقول) الذي فيه إحالة بعدية إلى ضمير المخاطَب (الكاف) في (نفسك)، له أثره في شدّ النص بعضه ببعض.

ومنه أيضاً **قوله (عليه السلام): (نحنُ النُمْرُقَةُ الوسطى بها يَلحقُ التالي وإليها يَرجِعُ الغالي)**[1]. وبما أن الغالي من ((غلا في الأمر غلواً: جاوز حده))[2]، أي تعداه. بمعنى آخر: السابق لأهل البيت (عليهم السلام)، بدليل قوله (عليه السلام) (يرجع)، والرجوع لا يكون إلا إلى الوراء. وبهذا المعنى يكون (الغالي) تقابلاً خلافياً مع (التالي) والذي معناه (اللاحق) بدلالة (يلحق). والسابق واللاحق لفظان متضايفان.

وهناك دلالة أخرى تؤكد أن معنى (التالي) هو اللاحق ومعنى (الغالي) هو السابق، ألا وهي مجيء مفعول يلحق بـــ (الباء) ((والباء معناها الإلصاق))[3]، ومفعول يرجع بـــ (إلى) بدلالتها على ((انتهاء الغاية في الزمان والمكان))[4]. وهذا ما ينبض به النص، إذ اللاحق للشيء يبقى لاحقاً إلى أن يتصل به أو يلتصق به. والسابق على الشيء يرجع القهقرى إلى أن ينتهي إليه أو ينتهي إلى غايته التي خرج عنها عندها ينتفي الغلو عنه، ولا يتصف به إلا من لم يصل إلى هذه الغاية. والعلاقة الغيابية التي ربطت بين المتخالفين (التالي، والغالي) هي (الزمانية، والمكانية)، لأن الاثنان يصارعان الزمان والمكان وصولاً إلى الهداية وبر الأمان.

و((النُمْرُقَة ـــ بضم فسكون فضم ففتح ـــ الوسادة، وآل البيت أشبه بها للاستناد إليهم في أمور الدين كما يستند إلى الوسادة لراحة الظهر واطمئنان الأعضاء، ووصفها بالوسطى لاتصال سائر النمارق بها، فكأن الكل يعتمد عليها، إما مباشرةً أو بواسطة ما بجانبه، وآل البيت على

---

(1) نهج البلاغة:٥٠٥، حكمة: ١٠٤.
(2) القاموس المحيط: ١٢١١، مادة (غ.ل.ا).
(3) شرح المفصل: ٤٧٣/٤.
(4) الجنى الداني: ٣٨٥.

الصراط الوسط العدل، يلحق بهم من قصر ويرجع إليهم من غلا وتجاوز))[1]. ولعل في قوله (عليه السلام) الوسطى إشارة إلى قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[2]. وإنما قدم المسند إليه (نحن) على المسند وتابعه (النمرقة الوسطى)، لإفادة تخصيص المسند بالمسند إليه[3].

وفضلاً عن السبك المعجمي بعلاقة التخالف التي ربطت أجزاء النص بعضه ببعض، فإن هناك علاقة تركيبية ربطت بين أجزائه أيضاً، وهي شبه الجملة من الجار والمجرور (بها يلحق التالي) المتعلقة بـــ (النمرقة) بوصفها اسماً مؤولاً بما يشبه الفعل، إذ لابد من تعلق شبه الجملة من الجار والمجرور بالفعل أو ما يشبه الفعل أو ما أوّل بما يشبهه[4]، أي لتأولها بـــ (المُسندِة)، وهي اسم مفعول من غير الثلاثي (أسند) يشبه الفعل، وعطف شبه الجملة الثانية (وإليها يرجع الغالي) على متعلق الجملة الأولى، أي الإحالة بضمير (ها) في (بها، وإليها) إحالة قبلية إلى (النمرقة)، فضلاً عن وجود المناسبة بين شبه الجملتين، وهي علاقة التخالف التي جمعت بين (التالي والغالي) كما توضح سابقاً. كل ذلك جعل النص مترابطاً كلمة بكلمة وعبارة بعبارة.

ومن التقابل التخالفي التضايفي أيضاً **قوله (عليه السلام): (لكلِّ مُقبلٍ إدبارٌ، وما أدبرَ كأنْ لم يكُنْ)**[5]. فمقبل ومدبر من الألفاظ المتضايفة، وقد تكررت في الجملة التي بعدها ولكن بألفاظٍ متخالفةٍ مستبطنةٍ لتضايفٍ، ذلك أن (أدبر) خلافي مع (لم يكن) الذي استبطن المقابل التضايفي له وهو (لم يقبل). والتقدير: (وما أدبر كأن لم يقبل).

كما يمكن أن نوجه الحكمة توجيهاً آخر غير التقابل التضايفي ألا وهو التقابل النقيضي (الرجوع) بين (لكل مقبل، ولم يقبل) والتقدير: (لكل مقبل إدبار وما أدبر كأن لم يقبل)، وبذلك ارتبط النص غيابياً بعلاقتي التضايف والتناقض.

---

[1] شرح الشيخ محمد عبده: ٥٢٤.
[2] البقرة: ١٤٣.
[3] ينظر: التقديم والتأخير في نهج البلاغة، رسالة ماجستير: ١٩.
[4] ينظر: المغني: ٤١٥.
[5] نهج البلاغة:٥١٥، حكمة:١٤٢.

أما على مستوى ظاهر النص فقد ارتبطت الجملة الثانية بالأولى بالواو الحالية، لأنه إذا وقعت الجملة حال، فلابد من رابط يربطها بصاحب الحال[١]، أي أن قوله: (وما أدبر كأن لم يكن) جملة شرطية حال من الأولى*، جاءت لتأكيد إدبار ما أقبل، ولهذا حذف ضمير الشأن اسم (كأنْ) المخففة العائد على الإدبار، والتقدير: وما أدبر كأنْه لم يكن[٢]. وفي حذفه تنبيه على عدم وجود الإدبار فكيف يقبل ما لم يدبر، كما أن في هذا الحذف سبك معجمي بالتكرار، لكون المحذوف مشتق من مادة المذكور، فضلاً عن إحالته بالمرجعية إلى ما سبق ذكره، وهي إحالة قبلية إلى الإدبار. وقد تحقق السبك المعجمي بالتكرار أيضاً، أي تكرار اللفظ نفسه، وهو (إدبار، وأدبر) في النص، وما يؤديه هذا التكرار من وظيفة الربط في النص، بدلالته على وحدة المحيل.

ويمكن أن نوجه الحذف توجيهاً آخر إذ جاء في كتاب (معاني النحو) أن تخفيف (كأنّ) وتشديدها ((إنما يكون بحسب الغرض، فإن كانت العناية منصبة على المسند إليه (المشبه) جيء بها مشددة في الأكثر... وقد تكون العناية منصبة على الحالة التشبيهية لا على المشبه فيؤتى بها مخففة))[٣]. وعلى قوله هذا فإن العناية في الحكمة العلوية منصبة على الحالة التشبيهية الفعلية (لم يكن) لا على المشبه ضمير الهاء في: (كأنْه)، أي أن المقصود من قوله (عليه السلام): (وما أدبر كأن لم يكن) هو الاهتمام بنفي الوجود أو الإقبال.

إلا أن للدراسة رأياً آخر في توجيه هذه (العناية) كما يعبر عنها الدكتور فاضل السامرائي، ذلك أن الأمر لا يخلو من ذكر المتضايفين أيضاً، فالعلاقة بينهما حتمية لأننا إذا ما ذكرنا الإدبار ذُكر الإقبال بصورة تلقائية والعكس صحيح، فالعلاقة بينهما ترابطية وعليه تكون العناية منصبة عليهما أيضاً. فمعنى قوله (عليه السلام) وما أدبر كأن لم يكن: كأنّ الإدبار لم يقبل من الأساس حتى

---

[١] ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢/٤٠-٤١.

* إذ إن من شروط الجملة الحالية أن تكون خبرية، لا طلبية ولا تعجبية، وبذلك خرجت الجملة الشرطية من هذا القيد، وصح وقوعها حالاً بعد الواو. (ينظر: الهمع: ٤/٤٢-٤٣).

[٢] ينظر: شرح ميثم البحراني: ٥/٤٠٠.

[٣] معاني النحو: ١/٣٢٦.

يدبر. وبذلك انعكس المعنى، فنفي الإقبال (لم يكن: اللفظ الحاضر، ولم يقبل: اللفظ الغائب) هو من نفى الإدبار لا العكس.

فضلاً عمّا في ذلك النفي من خرق للمصاحبة المعجمية على المستوى الغيابي للنص، لأن قوله (عليه السلام): (لم يقبل) معناه: أدبر، وهذا يعني أنه ليس تضاداً معه. وبذلك ارتبط المتخالفان أو المتضايفان أو المتناقضان مع بعضهما البعض قلباً وقالباً.

ومثله **قوله (عليه السلام): (صوابُ الرأي بالدُّولِ، يُقبِلُ بإقبالِها ويَذهبُ بِذهابِها)**[1]. فقوله: (يقبل بإقبالها) يقابل قوله: (يذهب بذهابها) تقابلا خلافياً، إلا أنه استبطن المعنى التضايفي له وهو (يدبر بإدبارها).

والمراد من قوله (عليه السلام): إن الرأي الصائب يقبل بإقبال الدولة، أي قوتها واجتماع كلمتها، ويذهب بذهاب الدولة، أي نهايتها بسبب ضعفها وتفرق كلمتها. ولهذا اختار الإمام علي (عليه السلام) اللفظ الخلافي دون اللفظ التضايفي، لأن معنى نهاية الشيء لا نجده في لفظ الإدبار ــ وهو الرجوع إلى الخلف ــ كما نجده في لفظ الذهاب الذي لا نلمس الرجوع فيه.

وقد ارتبط النص بعضه ببعض بوقوع الجملتين ــ الموصولتين بالواو (يقبل بإقبالها ويذهب بذهابها) لوجود المناسبة بينهما، وهي مناسبة التخالف المستبطنة للتضايف ــ التفسيريتين* للجملة التي قبلها وهي (صواب الرأي بالدول)، كما أن الضمير المستتر (هو) في (يُقبل، ويَذهب) فيه إحالة قبلية إلى (الرأي)، والضمير المتصل (ها) في (بإقبالها، وبذهابها) فيه إحالة قبلية إلى (الدول)،. فضلاً عن السبك المعجمي بتكرار اللفظ نفسه في (يُقبل بإقبالها، ويَذهب بذهابها)، وما فيه من أثر في ترابط النص، بدلالته على وحدة المحيل. وبالسبك والحبك اتسمت الحكمة بالنصية.

---

[1] نهج البلاغة: ٥٤٥، حكمة: ٣٣٠.

* والجملة التفسيرية: ((هي الفضلة الكاشفة لحقيقة ما تليه)). (المغني: ٣٨٤).

نتائج الدراسة

((الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادّون، ولا يؤدي حقه المجتهدون))[1]، فبفضله وصلنا إلى ما وصل إليه الواصلون، فعسانا أنْ نكون بالنتائج محقون. فبعد مضي الوقت الطويل، ونهاية الدرس والتحصيل، استطعنا أن نصل إلى غاية التفصيل والتحليل.

فبعد أن تناولت الدراسة مفهوم التقابل وجدته قد حقق التقابل بأنواعه جميعاً حضوراً متميزاً، وهيمنةً أسلوبية في العبارات القصيرة لأمير المؤمنين(عليه السلام) (الحكم والمواعظ)، إذ لا تكاد تخلو عبارة من عباراته التي يوظف فيها التقابل لإنتاج الدلالة.

وكما وصلت الدراسة إلى عدّ التقابل أداة قرائية إجرائية تربوية تعليمية، أو اجتماعية، أو أخلاقية، أو سياسية، أو علمية، في قراءة عبارات نهج البلاغة وتحليل نصوصها، لتخرج بعد ذلك بتقابلات عديدة تكاد تكون لا نهاية لها في النصوص المدروسة.

من ذلك الجمع بين ضدين متنافرين على مستوى الدلالة المعجمية في قوله(عليه السلام): (مَن رضيَ عن نفسهِ كثُر الساخطُ عليهِ) من خلال العلاقة الركنية بين فعل الشرط وجوابه (رضي، وكثر الساخط)، ليعطي صورة اجتماعية خطيرة على الفرد والمجتمع، إذ برضى الإنسان عن نفسه يكثر الساخطين، بل المعنى معكوس، أي على الإنسان أن يبحث عن رضى الناس عنه لا رضاه عن نفسه.

ويشير النص الذي يتقابل فيه المتضادين (خذلوا الحقَ ولم ينصروا الباطلَ) إلى أن المجتمع يقسم على ثلاث فئات لا على فئتين كما يظن البعض، فهناك فئة الحق، وفئة الباطل، والفئة الثالثة هي المتخاذلة، ومن ثُمَّ فإن (لم ينصروا) ليست تضاداً مع (خذلوا) وهنا تبرز عبقرية الإمام علي (عليه السلام) في كيفية استعمال إمكانياته الخاصة فأخرجهما عن العلاقة الضدية من خلال الأداة (لم).

---

[1] نهج البلاغة: ٤١، خطبة: ١.

وتبرز عبقرية الإمام علي (عليه السلام) أيضاً من خلال الجمع بين ضدين متنافرين في حكم واحد هو الصبر، في قوله (عليه السلام): (الصبرُ صبران: صبرٌ على ما تكرهُ، وصبرٌ عمّا تحبُ)، هذا يعني أن الصبر كما يكون علاجاً للنفس على وقوع المكروه فهو نفسه يكون علاجاً للنفس على خسارة المحبوب. هذا يدل على أن العلاقة التي حبكتهما معاً هي (المساواة). وفي ضوء ذلك نستطيع أن نقول أن الإمام يعطينا درساً اجتماعياً مهماً وقوياً لاستمرار الحياة، ومواجهة مصاعبها، إذ يقرن وقوع المكروه وفقد المحبوب، بعلاج واحد هو الصبر.

وقد بيّن الإمام (عليه السلام) في مقابلته بين المتضادين (المؤمن، وأهل النفاق) قوة المؤمن وجلادته في مقابل ضعف المنافقين وبلادتهم في قوله: (الحكمةُ ضالةُ المؤمنِ، فخُذِ الحكمةَ ولو من أهلِ النفاق). وبارتباطهم بالأداة الشرطية (لو) الدالة على التقليل تأكد هذا المعنى. ومعنى التقليل هو أن شرطها قليل مرغوبٌ عنهُ، كما أن شرطها بعيد الوقوع لزهادته. وهذا ما أكدته الحكمة، إذ إن أهل النفاق أبعد من أن يؤخذ بنصحهم وكلامهم فكيف يأخذ المؤمن حِكَمَهُم. وهذا يعني أن العلاقة الغيابية التي ربطت بينهما هي (العددية)، إذ نلاحظ أن المؤمن، وهو فرد واحد يقابل أهل النفاق، وهم مجموعة لا حصر لها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة المؤمن وضعف المنافقين، لدرجة أن المؤمن يستطيع أن يستفيد منهم دون الإضرار بعقيدته.

ونجد التقابل كأداة اجتماعية في قوله (عليه السلام): (قلوبُ الرجالِ وحشيةٌ فمن تألّفها أقبلتْ عليهِ) فقد جعل الإمام علي (عليه السلام) الوحشة أصلاً في طبيعة القلوب تُستمال بالتآلف، أي بالاجتماع بها والانضمام إليها حتى تتآلف. إذن العلاقة بين الوحشة والألفة هي كعلاقة الداء بالدواء، فكأنهما متضايفان. وبذلك يعطينا الإمام علي (عليه السلام) الطريقة المثلى للتعايش الاجتماعي، ليسود نوع من السلام بين أفراد المجتمع.

وقد يكون التقابل ذا هدف سياسي، ويكون لفظ (الوحشة) هنا كناية عن القلوب المغلقة العميقة، أو الغامضة المبهمة المشبّعة بالأسرار، التي لا يأتي بزمام هذه الأسرار إلا من خبرها فتُقبل هي علينا بما لها وعليها، وليس إقبالها كإقبالنا، فشتّان ما بين الاثنين. وبوجود (الفاء)

الاستئنافية بدلالتها على التعقيب والاتصال الزمني، يتوضح المراد، فالاستئناف جاء لبيان كيفية استمالة القلوب الوحشية، فهو متعلق بالذي قبله ببيان طريقة الاستمالة عن طريق استئناف الكلام، وهذه الطريقة هي الألفة والتآلف، أو الاطمئنان والأمان.

والعلاقة الغيابية التي ربطت بين الضدين المجازيين المتقابلين (الجوع، والشبع) هي (المساواة)، وذلك في قوله (عليه السلام): (احذروا صولةَ الكريمِ إذا جاعَ، واللئيمِ إذا شبعَ)، فكما يؤدي جوع الكريم إلى الثورة، فكذلك يؤدي شبع اللئيم إلى الجور. والثورة والجور هما بيان للصولة، وشتان ما بين الصولتين، فالأولى في الحق والثانية في الباطل. وهذا يعني أن الحكمة العلوية تدعو إلى التوازن والتعادل في توزيع الثروات حتى تستقر الحياة، (فما جاع فقير إلاّ بما مُتع به غني).

أما النص العلوي (الغنى والفقرُ بعدَ العرضِ على اللهِ) فقد استبطن اسمي (الغنى، والفقر) الدنيويين هذين على سبيل المجاز[1]. أما على مستوى ظاهر النص فالمعنى الحقيقي للغنى والفقر هو بعد العرض على الله يوم القيامة، وهناك يظهر الغنى بالسعادة الحقيقية، والفقر بالشقاء الحقيقي. وهذا المعنى تؤكده العلاقات الحضورية، إذ نجد النص يلفت أذهان المتلقين، وذلك من خلال التحديد بالتعريف بـــ (أل) في (الغنى، والفقر)، الذي فيه إحالة خارجية إلى المتلقي على اختلاف طبقاتهم إلى حقيقة مصيرية معروفة لكنها غائبة، ربما تجاهلها الأغنياء ويأس منها الفقراء، فيعكس الصورة ليوضح طريق النجاة، ويعطي بذلك صورة جديدة لهذين المعنيين في عالم ما وراء الدنيا ليقربه إلى أذهان المتلقين

وقد يكون التقابل ذا بعد علمي طبي فسلجي، وذلك في تقابل المتماثلين في قوله (عليه السلام): (امشِ بِدائِكَ ما مشى بِكَ)، والعلاقة بين المشيين هي (الترابطية)، ذلك أن مشي الإنسان بمرضه مرتبط بمشي المرض به، فلولا مشيه بالإنسان لما استطاع المشي إذا ما تأزمت حاله وتفاقم مرضه. ومعنى هذا أن الإمام (عليه السلام) يشير علينا بأن لا نسرع إلى الطبيب أو نلجأ إلى

[1] ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ١٢٨/٢٠.

الفراش، أو نستعمل الدواء إلا بعد الاضطرار من عــدم وجــود وسيلة للشفاء إلا بهم، لأن الدواء إن لم يفد فهو يضر. وقد أثبت السبك التركيبي اختلاف اللفظين المتماثلين باللفظ، إذ اللفظ الثاني جاء ظرفاً للأول، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أكد العلاقة الترابطية للمتلقي حتى لا يتوهم أو ينخدع بأن المعنى في اللفظ الثاني هو نفسه في اللفظ الأول.

وفي تقابل المتماثلين (ماءُ وجهِكَ جامدٌ يُقطرُهُ السؤالُ، فانظرْ عندَ مَنْ تُقطِرُهُ)، إذ وقع اللفظ الثاني (تقطره) في جملة معطوفة على ما قبلها بالفاء الرابطة الدالة على التعقيب بمهلة، ويسمى الربط اللفظي الزمني، هذا يعني أن التقطير الثاني لم يلِ الأول، وفي هذا النص يعطينا الإمام (عليه السلام) نوع من التأني والتفكر في اختيار من نسأله حاجتنا، فكأنه قال: إذا أردت سؤال الحاجة، فاختر من هو أهل للسؤال من أصحاب الشرف والكرامة الذين يحفظون كرامات الناس ويعرفون قيمة السؤال، ثم سل حاجتك، وتقدير الكلام: (فانظر عند من لا يقطره). فالإمام يحاول أن يرسم صورة واضحة لمن يقضي الحوائج دون أن يقطر ماء وجوهنا.

وفي ضوء التقابل التماثلي بين الجمل في قوله (عليه السلام): (الغنى في الغربةِ وطنٌ، والفقرُ في الوطنِ غربةٌ)، إذ مثلما وطّن الغنى الغريب عكس المعنى فبانَ حال الفقير الذي غرّبه فقره، ليبيّن أثر الفقر ودوره في هدم الشعور بالوطنية ومعاناة الأفراد وضياع انتماءاتهم لأوطانهم، وبالوصل بين المتنافرين يستطيع المتلقي أن يتعقل وجودهما معاً، أي يمكن أن يكون الغنى لشخص غريب في بلد ما سبباً للمواطنة، في حين يكون الفقر لشخص آخر سبباً لغربته وانتفاء وطنيته في البلد نفسه.

وجعلت العبارات العلوية المتلقي في حركة دائمة مع التقابل التماثلي جملة بجملة في قوله (عليه السلام): (أحبِبْ حبيبكَ هوناً ما عسى أنْ يكونَ بغيضكَ يوماً ما، وأبغِض بغيضَكَ هوناً ما عسى أنْ يكونَ حبيبكَ يوماً ما)، التي حركت الزمن وقلبته رأساً على عقب، فهذه الحكمة تدعو إلى الاعتدال في حب الحبيب وبغض البغيض، فربما دارت الأيام فصار الحبيب عدواً والعدو حبيباً، فإن حدث

هذا الانقلاب كان الإنسان على استعداد تام له حتى لا يقع في الندم. فالإمام يدعو إلى المساوة في الكمية أو المقدار سواءً في حب الحبيب أم بغض البغيض.

وفي التقابل التماثلي المعنوي أشار (عليه السلام) إلى درجات البلاء وتفاوتها بالشدة والضعف، وإلى ما يقابلها من درجات النعم وتفاوتها بالشدة والضعف أيضاً، وذلك في قوله (عليه السلام): (ألا وإنَّ مِن البلاءِ الفاقةَ، وأشدُّ مِن الفاقةِ مرضُ البدنِ، وأشدُّ مِن مرضِ البدنِ مرضُ القلبِ، ألا وإنَّ مِنَ النعَمِ سَعَةُ المَالِ، وأفضَلُ مِن سَعَةِ المَالِ صحةُ البَدَنِ، وأفضَلُ مِن صِحَّةِ البَدَنِ تقوى القلْبِ). ومعنى هذا أن الجمل في الحكمة العلوية قد اختلفت في الكمية أو المقدار شدة وضعفاً، إلا أنها من جانب آخر تماثلت في معنى عميق هو تشابهها في (الهيأة أو الكيفية)، باعتبارها جميعاً من البلاءات. فالإمام (عليه السلام) يقرن الخير والشر في البلاء، لقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[1].

أما في تقابل المتناقضين في قوله (عليه السلام): (اعقِلُوا الخبرَ إذا سمعتموهُ عقلَ رعايةٍ لا عقلَ روايةٍ فإنَّ رواةَ العلمِ كثير ورعاتَهُ قليلٌ)، ففي هذا النص اثبت عقل الخبر (عقل رعاية) ثم نفاه بـــ (لا عقل رواية) مع مجيء صيغة الأمر به (اعقلوا) دون ذكر نقيضه النهي (لا تعقلوا). والعلاقة بين إثبات العقل ونفيه هي (الإبدالية)، أي بدلاً من أن تعقله عقل رواية أعقله عقل رعاية، ولهذا وردت صيغة الأمر به دون النهي عنه، وهذا يعني أن الإمام يؤكد على مسألة تربوية تعليمية، هي عقل الخبر أو العلم، سواء أكان عقلاً بالتطبيق أم عقلاً بالتنظير، لأنه مرغوب فيه بل يُشجع عليه، لذا لم يرد النهي عنه.

ومن تقابل المتناقضين التقابل بالسلب الوارد في عبارة (لا خيرَ في الصمتِ عن الحكمِ كما أنَّهُ لا خيرَ في القولِ بالجهلِ)، فقوله (لا خير) في الموضعين ارتبطا بعلاقة (المشابهة)، ذلك أن الصمت أو السكوت عن الحكم بإظهار الحق وإحقاقه يشبه الناطق بالجهل الذي لا يعرف الحق من الباطل أو الحلال من الحرام، فكأنما العالم إذا سكت عن الحق فهو كالجاهل في الباطل، وفي

[1] الأنبياء: ٣٥.

السكوت عن الحق ضياع لحقوق الإنسان، وسيادة الظلم والقهر في المجتمع المتمثل بالجهال. وهذا باعتقادي ما أراد الإمام أن ينوه عليه ويشير إليه.

وكما أن هناك درس أخلاقي في التقابل التراجعي في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا يُعابُ المرءُ بتأخيرِ حقِّهِ، إنَّما يُعابُ مَن أخذَ ما ليسَ لَهُ)، إذ قابل بين (لا يعاب، ويعاب)، وفيها يعطي الإمام (عليه السلام) صورة عامة وغير معروفة يثني عليها مرة، ويوبخها مرة أخرى حسب المقام أو الظرف الذي ترد فيه، فربما يؤخر المرء حقه مراعاة لظروف غيره، وفي ذلك من سمو الأخلاق وطيبة النفس لا نجده عند الآخذ لحق غيره.

وفي تقابل المتضايفين يعطينا الإمام (عليه السلام) درساً تربوياً يسهم في بناء الأسرة، ويقوي الروابط بينها، وذلك في قوله: (مودةُ الآباءِ قَرابةٌ بين الأبناءِ، والقَرابةُ إلى المودةِ أحوجُ مِن المودةِ إلى القرابةِ)، إذ قابل بين (الآباء، والأبناء)، وفيها فضّل المودة بين الآباء والأبناء على القرابة أو صلة الدم بينهما، لأن المودة أصل في المعاونة ومستغنية عن القرابة، فقد لا تكون مع القرابة معاونة إذا فقدت المحبة، فالأقرباء بحاجة إلى المودة. أما الأوداء فلا حاجة بهم إلى القرابة. هذا يعني أن (مودة الآباء) المحبة والتصافي بين الآباء إذا نشأ عليه الأبناء وتربوا في أجوائه يصبح ذلك كصلة القربى والدم.

ومن دروس الاقتصاد التي وجدناها في عبارات نهج البلاغة قوله (عليه السلام) في تقابل المتخالفين: (ما عالَ امرؤٌ أقتصدَ)، والمراد من الاقتصاد: هو ادخار الأموال المؤدية إلى الغنى، أو المراد منه: الاستغناء عمّا في أيدي الناس وعدم الحاجة إليهم، وهذا ناتج الاقتصاد، أي الإنفاق باعتدال أو الاعتدال في النفقة بقدر الحاجة بدون إفراط ولا تفريط. إذن العلاقة بين اللفظين المتخالفين (عال، واقتصد) هي علاقة (سبب بمسبب)، لأن الاقتصاد سبب عدم العيلة أي الفقر، كما أنه سبب الاستغناء أو الغنى.

أما من الإرشادات الاجتماعية التي تؤدي إلى كثرة الأعوان والأنصار في تقابل المتخالفين فنجدها في قوله (عليه السلام): (مَن لانَ عودُهُ كَثُفتْ أغصانُهُ) فالألفاظ المتخالفة هنا هي (لان

وكثف)، وكثف بمعنى غلظ، وإنما جاء بلفظ (كثف) دون لفظ (غلظ) لدلالة الأخير على الشدة والقسوة اللتين لا تناسبان المراد، لأنه (عليه السلام) يريد كثرة الأغصان لا غلظها وسمكها، ذلك أن المراد من اللين: التواضع ولين العريكة، والمراد من كثافة الأغصان: اجتماع الأعوان والأتباع وكثرتهم . والمعنى: أن من كانت له فضيلة التواضع وطيب العشرة كثرت أعوانه وأتباعه وقوي باجتماعهم عليه. وغير ذلك كثير.

ونسألكَ اللهمَّ الصوابَ في الأقوالِ والحُسنَ في الفِعال

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي ــ غريب اسكندر ــ دار الشؤون الثقافية العامة ــ بغداد ــ العراق ــ ط/١ــ ٢٠٠٩.
- الإتقان في علوم القرآن ــ السيوطي (أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: ٩١١هــ) ــ تحقيق: مركز الدراسات القرآنية ــ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ــ المملكة العربية السعودية ــ د.ط ــ د.ت.
- أساس البلاغة ــ الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، ت: ٥٣٨هــ) ــ تحقيق: محمد باسل عيون السود ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/١ــ ١٤١٩هــ ــ ١٩٩٨م.
- أساسيات المنطق ــ الشيخ محمد صنقور علي ــ بهمن آرا ــ إيران ــ ط/١ــ ١٤٢٧هــ ــ ٢٠٠٦م.
- أساليب الجملة الإفصاحية في النحو العربي ــ دراسة تطبيقية في ديوان الشابي ــ الدكتور: عبد القادر مرعي الخليل ــ عَمّان ــ الأردن ــ د.ط ــ ١٩٩٥م.
- أساليب المعاني في القرآن ــ السيد جعفر السيد باقر الحسيني ــ مؤسسة بوستان كتاب ــ إيران ــ ط/٢ــ ١٤٣٠هــ .
- أساليب النفي في العربية (دراسة وصفية تاريخية) ــ الدكتور مصطفى النحاس ــ الكويت ــ د.ط ــ ١٩٧٩م.
- الاستثناء في القرآن الكريم (نوعه ــ حكمه ــ إعرابه) ــ حسن طه الحسن ــ مطبعة الزهراء الحديثة ــ موصل ــ العراق ــ د.ط ــ ١٩٩٠م.

- أسرار البلاغة (في علم البيان) ــ الجرجاني (الإمام عبد القاهر، ت: ٤٧١هـ) ــ تحقيق: محمود محمد شاكر ــ مطبعة المدني ــ القاهرة ــ دار المدني ــ جدة ــ د.ط ــ د.ت.
- أسرار العربية ــ الأنباري (كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، ت: ٥٧٧هـ) ــ تحقيق: محمد بهجت البيطار ــ مطبعة الترقي ــ دمشق ــ د.ط ــ ١٩٥٧م.
- الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي ــ الدكتورة ابتسام أحمد حمدان ــ مراجعة وتدقيق: أحمد عبد الله فرهود ــ دار القلم العربي ــ حلب ــ سوريا ــ ط/١ــ ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧م.
- الأسلوب (دراسة لغوية إحصائية) ــ الدكتور: سعد مصلوح ــ دار الفكر العربي ــ القاهرة ــ مصر ــ ط/٢ ــ ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م.
- الأسلوبية والأسلوب ــ الدكتور عبد السلام المسدي ــ الدار العربية للكتاب ــ تونس ــ ط/٣ ــ د.ت.
- إشكالات النص (دراسة لسانية نصية) ــ الدكتور عبد الكريم بن جمعان ــ النادي الأدبي العربي، الرياض ــ والمركز الثقافي العربي، بيروت ــ ط/١ ــ ٢٠٠٩م.
- الأصول (دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو ــ فقه اللغة ــ البلاغة) ــ الدكتور: تمام حسان ــ عالم الكتب ــ القاهرة ــ د.ط ــ١٤٢٥هـ ــ٢٠٠٢م.
- أصول الكافي ــ الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، ت: ٣٢٩هـ ــ منشورات الفجر ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/١ ــ ١٤٢٨هـ ــ ٢٠٠٧م.
- الأضداد في كلام العرب ــ أبو الطيب (عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، ت: ٣٥١هـ) ــ تحقيق: عزة حسن ــ ط١/ ــ دار طلاس ــ دمشق ــ١٩٩٦م.
- الأضداد في اللغة ــ محمد حسين آل ياسين ــ مطبعة المعارف ــ بغداد ــ العراق ــ ط/١ ــ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م.

- إعجاز القرآن ــ الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب، ت: ٤٠٣هـ) ــ تحقيق: أحمد صقر ــ مصر ــ ط/٣ــ ١٩٧٢م.
- الألفاظ الكتابية ــ الهمذاني (عبد الرحمن بن عيسى، ت: ٣٢٠هـ) ــ ضبط وتصحيح: أحد الآباء اليسوعيين مدرس البيان في كلية القديس يوسف ــ مطبعة الآباء اليسوعيين ــ بيروت ــ لبنان ــ د.ط ــ ١٨٨٥م.
- الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب ــ الدكتور: عباس رشيد الددة ــ دار الشؤون الثقافية العامة ــ بغداد ــ العراق ــ ط/١ ــ ٢٠٠٩م.
- أنوار الربيع في أنواع البديع ــ ابن معصوم المدني(السيد علي صدر الدين بن معصوم، ت: ١١٢٠ هـ) ــ تحقيق: شاكر هادي شكر ــ النجف الأشرف ــ العراق ــ ط/١ ــ ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م ــ ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م.
- أوساط البلاغة العربية ــ الدكتور مصطفى الجويني ــ دار المعرفة الجامعية ــ مصر ــ د.ط ــ ١٩٩٩م.
- الإيضاح في علوم البلاغة ــ الخطيب القزويني (قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، ت: ٧٣٩هـ) ــ تحقيق: لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر ــ مطبعة السُّنة المحمدية ــ القاهرة ــ أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد ــ د.ط ــ د.ت.
- البحث البلاغي عند العرب (الموسوعة الصغيرة، ١١٦) ــ الدكتور أحمد مطلوب ــ منشورات دار الجاحظ للنشر ــ بغداد ــ العراق ــ د.ط ــ ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م.
- بداية المعرفة (منهجية جديدة في علم الكلام) ــ الاستاذ العلّامة السيد حسن مكي العاملي ــ الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت ــ لبنان ــ د.ط ــ ١٤٣٠هـ ــ ٢٠٠٩م.
- البديع ــ ابن المعتز (عبد الله بن المعتز، ت: ٢٩٦هـ) ــ تحقيق: اغناطيوس كراتشقوفسكي ــ د.م ــ د.ط ــ ١٩٣٥م.

- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ــ الدكتور جميل عبد المجيد ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ مصر ــ د.ط ــ ١٩٩٨م.
- البديع في شعر شوقي ــ الدكتور منير سلطان ــ الناشر: منشأة المعارف بالاسكندرية ــ مصر ــ ط/٢ ــ ١٩٩٢م.
- البديع في ضوء أساليب القرآن ــ الدكتور عبد الفتاح لاشين ــ دار الفكر العربي ــ القاهرة ــ مصر ــ د.ط ــ ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٩م.
- البديع في نقد الشعر ــ أُسامة بن منقذ، ت: ٥٨٤هـ ــ تحقيق: أحمد أحمد بدوي والدكتور حامد عبد المجيد ــ الإدارة العامة للثقافة ــ مصر ــ د.ط ــ د.ت.
- بديع القرآن ــ ابن أبي الأصبع المصري، ت: ٦٥٤هـ ــ تحقيق: حفني محمد شرف ــ مطبعة ومكتبة النهضة ــ مصر ــ ط/١ ــ ١٩٥٧م.
- البرهان في علوم القرآن ــ الزركشي (الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله، ت: ٧٩٤هـ) ــ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ــ المكتبة العصرية ــ بيروت ــ لبنان ــ د.ط ــ ٢٠٠٦م.
- البلاغة الاصطلاحية ــ الدكتور عبده عبد العزيز قلقيلة ــ دار الفكر العربي ــ القاهرة ــ مصر ــ ط/٣ ــ ١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م.
- بلاغة الخطاب وعلم النص ــ الدكتور صلاح فضل ــ عالم المعرفة ــ الكويت ــ د.ط ــ ١٩٩٢م.
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ــ عبد الرحمن حسن جنبكة الميداني ــ دار القلم، دمشق ــ الدار الشامية، بيروت ــ ط/١ ــ ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م.
- البلاغة الميسرة ــ عبد العزيز بن علي الحربي ــ دار ابن حزم ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/٢ ــ ١٤٣٢هـ ــ ٢٠١١م.

- بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي) ــ الدكتور محمد عبد المطلب ــ دار المعارف ــ مصر ــ ط/٢ ــ ١٩٩٥م.
- بنى البديع في القران الكريم (دراسة فنية) ــ أميرة جاسم خلف العتابي ــ مؤسسة البديل للدراسات والنشر ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/١ ــ ١٤٣٣هـ ــ ٢٠١٢م.
- البيان والتبيين ــ الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت: ٢٥٥هـ) ــ تحقيق: عبد السلام محمد هارون ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ ط/٧ ــ ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م.
- تأملات إسلامية حول المرأة ــ السيد محمد حسين فضل الله ــ دار الملاك ــ د.م ــ ط/٨ ــ ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م.
- تأويل مشكل القرآن ــ ابن قتيبة (الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت: ٢٧٦هـ) ــ تحقيق: السيد أحمد الصقر ــ مكتبة دار التراث ــ القاهرة ــ مصر ــ د.ط ــ ١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٦م.
- تحرير التحبير (في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن) ــ ابن أبي الأصبع المصري، ت: ٦٥٤هـ ــ تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف ــ لجنة إحياء التراث الإسلامي ــ القاهرة ــ مصر ــ د.ط ــ ١٩٦٣م.
- التضاد في النقد الأدبي ــ منى علي سليمان الساحلي ــ منشورات جامعة قار يونس ــ بنغازي ــ ليبيا ــ د.ط ــ ١٩٩٦م.
- التطور اللغوي (مظاهره وعلله وقوانينه) ــ الدكتور رمضان عبد التواب ــ مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض ــ ط/١ــ ١٤٠٤هـ ــ١٩٨٣م.
- التفكير المنطقي ــ الدكتور عبد اللطيف محمد العبد ــ دار الثقافة العربية ــ القاهرة ــ مصر ــ ط/٣ ــ ١٤١٧هـ ــ ١٩٧٧م.
- التقابل الجمالي في النص القرآني (دراسة جمالية فكرية وأسلوبية) ــ الدكتور حسين جمعة ــ منشورات دار النمير ــ دمشق ــ سوريا ــ ط/١ ــ ٢٠٠٥م.

- التقابل والتماثل في القرآن الكريم ــ الدكتور فايز عارف القرعان ــ عالم الكتب الحديث ــ إربد ــ الأردن ــ ط/١ ــ ٢٠٠٦م.
- تقابلات النص وبلاغة الخطاب نحو تأويل تقابلي ــ محمد بازي ــ الدار العربية للعلوم ــ بيروت ــ ط/١ ــ ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠م.
- التلخيص في علوم البلاغة ــ الخطيب القزويني (قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، ت: ٧٣٩هـ) ــ تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي ــ دار الفكر العربي ــ القاهرة ــ ط/١ ــ ١٩٠٤م.
- التناسب البياني في القرآن الكريم ــ أحمد أبو زيد ــ منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ــ الرباط ــ د.ط ــ ١٩٩٢م.
- جمهرة الأمثال ــ أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل، ت بعد: ٣٩٥هـ) ــ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطاش ــ المؤسسة العربية الحديثة ــ القاهرة ــ ط/١ ــ ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م.
- الجنى الداني في حروف المعاني ــ المرادي (الحسن بن قاسم، ت: ٧٤٩هـ) ــ تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/١ ــ ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٢م.
- حروف المعاني ــ الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، ت: ٣٤٠هـ) ــ تحقيق: علي توفيق الحمد ــ دار الأمل ــ الأردن ــ ط/٢ ــ ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م.
- الحيوان ــ الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت: ٢٥٥هـ) ــ تحقيق: عبد السلام محمد هارون ــ دار الكتاب الكتاب العربي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/٣ ــ ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٩م.

- خزانة الأدب وغاية الأرب ــ ابن حجة الحموي (أبو بكر بن علي بن عبد الله، ت: ٨٣٧هـ) ــ تحقيق: الدكتورة: كوكب دياب ــ دار صادر ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/١ ــ ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠١م.
- الخصائص ــ ابن جني (أبو الفتح عثمان، ت: ٣٩٢هـ) ــ تحقيق: محمد علي النجار ــ دار الهدى ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/٢ ــ ٢٠٠٠م.
- خصائص الأسلوب في الشوقيات ــ محمد الهادي الطرابلسي ــ منشورات الجامعة التونسية ــ د.ط ــ ١٩٨١م.
- دراسات في القران الكريم ــ السيد أحمد خليل ــ دار المعارف ــ مصر ــ د.ط ــ ١٩٧٢م.
- دراسات منهجية في علم البديع ــ الدكتور الشحات محمد أبو ستيت ــ دار خانجي ــ القاهرة ــ ط/١ ــ ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٤م.
- دراسة الصوت اللغوي ــ الدكتور أحمد مختار عمر ــ عالم الكتب ــ القاهرة ــ د.ط ــ ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني ــ الإمام عبد القاهر الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، ت: ٤٧١هـ) ــ قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ د.ط ــ د. ت.
- دلالة الألفاظ ــ الدكتور إبراهيم أنيس ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ القاهرة ــ مصر ــ ط/٥ ــ ١٩٨٤م.
- الدلالة الإيحائية في الشعر العربي الحديث ــ عفاف موفو ــ تقديم: الدكتور شكري المبخوت ــ دار الجيل ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/١ ــ ٢٠٠٧م.
- الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى ــ الدكتور حامد كاظم عباس ــ دار الشؤون الثقافية العامة ــ بغداد ــ العراق ــ ط/١ ــ ٢٠٠٤م.

- ديوان ابن زيدون ورسائله ــ شرح وتحقيق: علي عبد العظيم ــ نهضة مصر ــ د.ط ــ د.ت.
- ديوان أبي تمام (بشرح الخطيب التبريزي)، ــ تحقيق: محمد عبده عزام ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ مصر ــ ط/٥ ــ ٢٠٠٦م.
- ديوان أبي نواس ــ تحقيق: إيفالد فاغنر ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/٢ ــ ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م.
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ــ شرح وتعليق: الدكتور محمد حسين ــ مكتبة الآداب ــ الجماميز ــ مصر ــ د.ط ــ د.ت.
- ديوان البحتري ــ تحقيق: حسن كامل الصيرفي ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ مصر ــ ط/٣ ــ د.ت.
- ديوان الحُطيئَة (برواية وشرح ابن السكيت، ت: ٢٤٦هـ) ــ تحقيق: الدكتور نعمان محمد أمين طه ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ ط/١ ــ ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م.
- ديوان عنترة ــ تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي ــ المكتب الإسلامي ــ د.م ــ ١٩٦٤م.
- ديوان النابغة الجعدي، ت: ٥٠هـ ــ تحقيق: الدكتور واضح الصمد ــ دار صادر ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/١ ــ ١٩٩٨م.
- الذريعة الى أصول الشريعة ــ الشريف المرتضى (أبو القاسم علي بن الحسين، ت: ٤٣٦هـ) ــ تحقيق: الدكتور أبو القاسم كرجي ــ مطبعة عقد دانشكاه ــ طهران ــ إيران ــ ١٣٤٨هـ.
- رسائل الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت: ٢٥٥هـ) ــ تحقيق: عبد السلام محمد هارون ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م.
- روائع البيان في خطاب الإمام (الجوانب البلاغية واللغوية في بيان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)) ــ الدكتور رمضان عبد الهادي ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/١ ــ ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٢م.

- سحر البلاغة وسرّ البداعة ــ الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ت:٤٣٠هـ) ــ وقف على طبعه: أحمد عبيد ــ المكتبة العربية ــ دمشق ــ ط/١ ــ د.ت.
- سر صناعة الإعراب ــ ابن جني (أبو الفتح عثمان، ت: ٣٩٢هـ) ــ تحقيق: الدكتور حسن هنداوي ــ دار القلم ــ دمشق ــ ط/٢ ــ ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م.
- سر الفصاحة ــ ابن سنان الخفاجي (أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد، ت: ٤٦٦هـ) ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/١ ــ ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م.
- شذا العرف في فن الصرف ــ الشيخ أحمد الحملاوي ــ مطبعة الراية ــ بغداد ــ العراق ــ د.ط ــ ١٩٨٨م.
- شرح الحدود النحوية ــ الفاكهي (عبد الله بن أحمد بن علي، ت: ٩٧٢هـ) ــ تحقيق: الدكتور زكي فهمي الآلوسي ــ بيت الحكمة ــ بغداد ــ العراق ــ د.ط ــ د. ت.
- شرح ديوان الفرزدق ــ تعليق: عبد الله الصاوي ــ المكتبة التجارية الكبرى ــ مصر ــ د.ط ــ د.ت.
- شرح الرضي على الكافية ــ الاستراباذي (رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، ت: ٦٨٨هـ) ــ تحقيق: يوسف حسن عمر ــ جامعة قان يونس ــ بنغازي ــ ليبيا ــ ط/٢ ــ ١٩٩٦م.
- شرح شعر زهير بن أبي سلمى (صنعه أبي العياس ثعلب) ــ تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة ــ مطبعة الغوثاني ــ دمشق ــ سوريا ــ ط/٣ ــ ١٤٢٨هـ ــ ٢٠٠٨م.
- شرح المفصل للزمخشري ــ ابن يعيش (موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، ت: ٦٤٣هـ) ــ تحقيق: الدكتور إميل بديع يعقوب ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/١ ــ ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م.

- شرح نهج البلاغة ــ ابن أبي الحديد (عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني، ت: ٦٥٦هـ) ــ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ــ دار الكتاب العربي ــ بغداد ــ العراق ــ ط/١ ــ ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م.
- شرح نهج البلاغة ــ السيد عباس علي الموسوي ــ دار الهادي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/٢ ــ ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٤م.
- شرح نهج البلاغة ــ الشيخ محمد عبده ــ خرج مصادره: فاتن محمد خليل اللبون ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/١ ــ ١٤٢٨هـ ــ ٢٠٠٧م.
- شرح نهج البلاغة ــ ميثم البحراني (كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم، ت: ٦٧٩هـ) ــ تحقيق: سيد حيدر الموسوي ــ أنوار الهدى ــ قم ــ إيران ــ ط/١ ــ ١٤٢٧هـ .
- شعر دعبل الخزاعي، ت: ٢٤٦هـ ــ صنعه: الدكتور عبد الكريم الأشتر ــ مطبوعات مجمع اللغة العربية ــ دمشق ــ ط/٢ ــ ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.
- شعر يزيد بن الطثرية ــ صنعه: حاتم صالح الضامن ــ بغداد ــ العراق ــ د.ط ــ ١٩٧٣م.
- الصاحبي (في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها) ــ ابن فارس (الإمام العلامة أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: ٣٩٥هـ) ــ تحقيق: أحمد السيد أحمد صقر ــ دار إحياء الكتب العربية ــ القاهرة ــ د.ط ــ ١٩٧٧.
- الصحاح في اللغة والعلوم (تجديد صحاح العلامة الجوهري، إسماعيل بن حماد، ت: ٣٩٣هـ ، المصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية) ــ تقديم: الشيخ عبد الله العلايلي ــ إعداد: نديم مرعشلي، وأُسامة مرعشلي ــ دار الحضارة العربية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/١ ــ ١٩٧٤م.

- صحيح مسلم ــ ابن مسلم (الإمام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: ٢٦١هـ) ــ صدقي جميل العطار ــ دار الفكر ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/١ــ ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م.

- الصناعتين (الكتابة والشعر) ــ أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل، ت بعد: ٣٩٥هـ) ــ تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ــ دار إحياء الكتب العربية ــ القاهرة ــ ط/١ ــ ١٣٧١هـ ــ ١٩٥٢م.

- الطراز ــ ابن حمزة العلوي (الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، ت: ٧٤٥هـ) ــ تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي ــ المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/١ ــ ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م.

- ظواهر أسلوبية في الشعر الحديث في اليمن (دراسة وتحليل) ــ الدكتور أحمد قاسم الزمر ــ مركز عبادي ــ صنعاء ــ اليمن ــ ط/١ ــ ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٦م.

- علم البديع ــ الدكتور عبد العزيز عتيق ــ دار الآفاق العربية ــ القاهرة ــ مصر ــ ط/١ ــ ١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٦م.

- علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع ــ الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيّود ــ مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ــ القاهرة ــ مصر ــ دار المعالم الثقافية ــ الأحساء ــ المملكة العربية السعودية ــ ط/٢ ــ ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م.

- علم البديع رؤية جديدة ــ الدكتور أحمد أحمد فشل ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ مصر ــ د.ط ــ ١٩٩٦م.

- علم الدلالة – أحمد مختار عمر ــ عالم الكتب ــ القاهرة ــ مصر ــ ط/٥ ــ ١٩٩٨هـ.

- علم الدلالة – أف آر بالمر ــ ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة ــ الجامعة المستنصرية ــ بغداد ــ العراق ــ د.ط ــ ١٩٨٥م.

- علم الدلالة – جون لاينز ــ ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة ــ كلية الآداب ــ جامعة البصرة ــ العراق ــ د.ط ــ ١٩٨٠م.
- علم الدلالة (النظرية والتطبيق) ــ الدكتور فوزي عيسى، والدكتورة رانيا فوزي عيسى ــ دار المعرفة الجامعية ــ د.م ــ د. ط ــ ١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٩م.
- علم الدلالة والمعجم العربي ــ الدكتور عبد القادر أبو شريفة ــ دار الفكر ــ عَمّان ــ الأردن ــ ط/١ ــ ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م.
- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) ــ الدكتور محمود السعران ــ دار النهضة العربية ــ بيروت ــ لبنان ــ د.ط ــ د.ت.
- علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات) ــ الدكتور سعيد حسن بحيري ــ الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ومكتبة لبنان ناشرون ــ ط/١ ــ ١٩٩٧م.
- علم المعاني ــ الدكتور قصي سالم علوان ــ جامعة البصرة ــ العراق ــ د.ط ــ ١٩٨٥م.
- العمدة (في محاسن الشعر وآدابه ونقده) ــ ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي، ت: ٤٥٦هـ) ــ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ــ دار الجيل ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/٥ ــ ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م.
- العين ــ الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، ت: ١٧٥هـ) ــ تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي ــ دار الرشيد ــ بغداد ــ العراق ــ د.ط ــ ١٩٨٢م.
- عيون أخبار الرضا ــ الصدوق (أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، ت: ٣٢٨هـ) ــ منشورات الفجر ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/١ ــ ١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨م.
- فجر الإسلام ــ أحمد أمين ــ مكتبة النهضة المصرية ــ مصر ــ ط/١٠ ــ ١٩٦٥م.
- الفروق اللغوية ــ أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل، ت بعد: ٣٩٥هـ) ــ تحقيق: محمد إبراهيم سليم ــ دار العلم والثقافة ــ القاهرة ــ مصر ــ د.ط ــ د.ت.

- فصول في فقه العربية ــ الدكتور رمضان عبد التواب ــ مكتبة دار التراث ــ القاهرة ــ مصر ــ ط/١ ــ ١٩٧٣م.
- فقه اللغة ــ الدكتور حاتم صالح الضامن ــ جامعة بغداد ــ العراق ــ د.ط ــ ١٤١١هـ ــ ١٩٩٠م.
- فقه اللغة وسر العربية ــ الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ت:٤٣٠هـ) ــ تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي ــ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ــ مصر ــ الطبعة الأخيرة ــ ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م.
- فن البديع ــ الدكتور عبد القادر حسين ــ دار الشروق ــ بيروت ــ القاهرة ــ ط/١ ــ ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.
- في البلاغة العربية (علم المعاني ــ البيان ــ البديع) ــ الدكتور عبد العزيز عتيق ــ دار النهضة العربية ــ بيروت ــ لبنان ــ د.ط ــ د.ت.
- في ظلال نهج البلاغة (محاولة لفهم جديد) ــ شرح: محمد جواد مغنية ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/٣ ــ ١٩٧٩م.
- في النحو العربي نقد وتوجيه ــ الدكتور مهدي المخزومي ــ دار الشؤون الثقافية العامة ــ بغداد ــ العراق ــ ط/٢ ــ ٢٠٠٥م.
- القاموس المحيط ــ الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب، ت: ٨١٧هـ) ــ إعداد: محمد عبد الرحمن المرعشلي ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/٢ ــ ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م.
- القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي ــ الدكتور محمود البستاني ــ مجمع البحوث الإسلامية ــ مشهد ــ إيران ــ ط/١ ــ ١٤١٤هـ .

- قواعد الشعر ــ ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى، ت: ٢٩١هـ) ــ تحقيق: الدكتور رمضان عبد التواب ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ مصر ــ ط/٢ ــ ١٩٩٥م.
- الكتاب ــ سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت: ١٨٠هـ) ــ تحقيق: عبد السلام هارون ــ القاهرة ــ مصر ــ ط/٢ ــ ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م.
- كتاب الأضداد ــ ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم) ــ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ــ مطبعة حكومة الكويت ــ ط/٢ ــ ١٩٨٦م.
- كشاف اصطلاحات الفنون ــ التهاوني (محمد علي الفاروقي، ت: في القرن الثاني عشر الهجري) ــ تحقيق: الدكتور لطفي عبد البديع ــ مراجعة: أمين الخولي ــ الهيأة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ــ ١٩٧٢م.
- لسان العرب ــ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري، ت: ٧١١هـ) ــ تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/٣ ــ د. ت.
- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ــ محمد خطابي ــ المركز الثقافي العربي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/١ ــ ١٩٩١م.
- المثل السائر (في أدب الكاتب والشاعر) ــ ضياء الدين ابن الأثير، ت: ٦٣٧هـ ــ تحقيق: الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة ــ دار نهضة مصر ــ مصر ــ ط/١ ــ ١٣٧٩هـ ــ ١٩٥٩م.
- المجاز وأثره في الدرس اللغوي ــ الدكتور محمد بدري عبد الجليل ــ دار الجامعات المصرية ــ الاسكندرية ــ مصر ــ د.ط ــ ١٩٧٥م.

- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ــ ابن سيده (علي بن إسماعيل، ت: ٤٥٨هـ) ــ تحقيق: الدكتور مراد كامل ــ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ــ مصر ــ ط/١ ــ ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م.
- مختار الصحاح ــ الرازي (زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، ت: بعد ٦٦٦هـ) ــ تحقيق: أحمد إبراهيم زهوة ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ لبنان ــ د.ط ــ ١٤٢٨هـ ــ ٢٠٠٧م.
- مدخل الى علم اللغة ــ الدكتور محمود فهمي حجازي ــ دار قباء ــ القاهرة ــ مصر ــ د.ط ــ د.ت.
- مدخل الى علم اللغة النصي ــ فولفجانج هاينه من، وديتر فيهفيجر ــ ترجمة: الدكتور فالح بن شبيب العجمي ــ جامعة الملك سعود ــ الرياض ــ المملكة العربية السعودية ــ د.ط ــ ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٩م.
- المذهب البديعي في الشعر والنقد ــ الدكتور رجاء عيد ــ منشأة المعارف ــ الاسكندرية ــ مصر ــ د.ط ــ د.ت.
- المزهر (في علوم اللغة وأنواعها) ــ السيوطي (أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: ٩١١هـ) ــ تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي ــ مكتبة دار التراث ــ القاهرة ــ مصر ــ ط/٣ ــ د.ت.
- المستويات الجمالية في نهج البلاغة (دراسة في شعرية النثر) ــ نوفل هلال أبو رغيف ــ دار الشؤون الثقافية العامة ــ بغداد ــ العراق ــ ط/١ ــ ٢٠٠٨م.
- المصباح (في المعاني والبيان والبديع) ــ ابن الناظم (بدر الدين ابن مالك محمد بن محمد بن عبد الله، ت: ٦٨٦هـ) ــ تحقيق: حسني عبد الجليل يوسف ــ مكتبة الآداب ــ مصر ــ د.ط ــ د.ت.

- معاني الابنية في العربية ــ الدكتور فاضل صالح السامرائي ــ المكتبة الوطنية ــ بغداد ــ ط/١ ــ ١٩٨١م.
- المعاني في ضوء أساليب القرآن ــ الدكتور عبد الفتاح لاشين ــ دار المعارف ــ مصر ــ ط/٣ ــ ١٩٧٨م.
- معاني النحو ــ الدكتور فاضل صالح السامرائي ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/١ ــ ١٤٢٨هـ ــ ٢٠٠٧م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن ــ السيوطي (أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: ٩١١هـ) ــ تحقيق: أحمد شمس الدين ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/١ ــ ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م.
- معجم البلاغة العربية ــ الدكتور بدوي طبانة ــ دار المنارة، جدة ــ دار الرفاعي، الرياض ــ المملكة العربية السعودية ــ ط/٣ ــ ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م.
- معجم البلدان ــ الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي. ت: ٦٢٦هـ) ــ دار صادر ــ بيروت ــ د.ط ــ د.ت.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ــ الدكتور أحمد مطلوب ــ المجمع العلمي العراقي ــ د.ط ــ ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ــ محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار الحديث ــ مصر ــ د.ط ــ ١٩٨٨م.
- معجم مقاييس اللغة ــ ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ت: ٣٩٥هـ) ــ تحقيق: الدكتور محمد عوض مرعب، والآنسة فاطمة محمد أصلان ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان ــ د.ط ــ ١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨م.

- المغني (مغني اللبيب غن كتب الأعاريب) ــ ابن هشام الأنصاري (جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد، ت: ٧٦١هـ) ــ تحقيق: الدكتور مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله ــ راجعه: سعيد الأفغاني ــ دار الفكر ــ بيروت ــ لبنان ــ ط/١ ــ ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م.
- مفتاح العلوم ــ السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، ت: ٦٢٦هـ) ــ تحقيق: أكرم عثمان يوسف ــ دار الرسالة ــ بغداد ــ ط/١ ــ ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م.
- مفردات ألفاظ القرآن ــ الراغب الأصفهاني (الحسين بن المفضل، ت: ٥٠٣هـ) ــ تحقيق: صفوان عدنان داوودي ــ دار القلم، دمشق ــ الدار الشامية، بيروت ــ ط/١ ــ ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م ــ منتشورات ذوي القربى ــ قم، إيران ــ ط/٣ ــ ١٤٢٤هـ.
- المفصل (في صنعة العربية) ــ ــ الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، ت: ٥٣٨هـ) ــ تحقيق: محمود توفيق ــ مطبعة حجازي ــ القاهرة ــ مصر ــ د.ط ــ د.ت.
- مقاصد الفلاسفة ــ أبو حامد الغزالي ــ تحقيق: محمود بيجو ــ مطبعة الصباح ــ دمشق ــ ط/١ ــ ١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م.
- المقتضب ــ المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد، ت: ٢٨٥هـ) ــ تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة ــ لجنة إحياء التراث الإسلامي ــ القاهرة ــ مصر ــ د.ط ــ ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٤م.
- مقدمة في علم المصطلح ــ الدكتور علي القاسمي ــ بغداد ــ العراق ــ ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م.
- المقرر في توضيح منطق المظفر ــ السيد رائد الحيدري ــ دار الفقه ــ قم ــ إيران ــ ط/١ ــ ١٤٢٥هـ.
- من أسرار اللغة ــ الدكتور إبراهيم أنيس ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ مصر ــ ط/٥ ــ ١٩٧٥م.

- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ــ السجلماسي (أبو محمد القاسم الأنصاري، ت: ٧٠٤هـ) ــ تحقيق: الدكتور علال الغازي ــ مكتبة المعارف ــ الرباط ــ المغرب ــ ط/١ ــ ١٤٠١هـ ــ١٩٨٠م.
- المنطق ــ الشيخ محمد رضا المظفر ــ دار المعارف ــ بيروت ــ لبنان ــ د.ط ــ ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م.
- المنطق الصوري (منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة) ــ الدكتور علي سامي النشار ــ دار المعرفة الجامعية ــ مصر ــ د.ط ــ ٢٠٠١م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ــ حازم القرطاجني (أبو الحسن حازم بن محمد بن الحسن الأوسي، ت: ٦٨٤هـ) ــ تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة ــ دار الكتب الشرقية ــ تونس ــ د.ط ــ ١٩٦٦م.
- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ــ الدكتور علي زوين ــ دار الشؤون الثقافية العامة ــ بغداد ــ العراق ــ ١٩٨٦م.
- الموازنة (بين شعر أبي تمام والبحتري) ــ الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر، ت: ٣٧٠هـ) ــ تحقيق: السيد أحمد صقر ــ دار المعارف ــ مصر ــ ط/٢ ــ ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م.
- الميزان في تفسير القرآن ــ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ــ مؤسسة السيدة المعصومة ــ قم ــ إيران ــ ط/١ ــ ١٤٢٦هـ.
- النحو الوافي ــ الدكتور عباس حسن ــ دار المعارف ــ مصر ــ ط/٤ ــ ١٩٧٣م.
- نظرية التأويل التقابلي ــ الدكتور محمد بازي ــ منشورات ضفاف ــ بيروت ــ لبنان ــ ٢٠١٣م.
- نقد الشعر ــ قدامة بن جعفر (أبو الفرج، ت: ٢٢٧هـ) ــ تحقيق: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ د.ط ــ د.ت.

- نهج البلاغة ــ ضبط: الدكتور صبحي الصالح ــ دار الكتاب المصري، القاهرة ــ دار الكتاب اللبناني، بيروت ــ ط/٤ ــ ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م.
- نهج البلاغة ــ تحقيق: السيد هاشم الميلاني ــ إعداد: مكتبة الروضة الحيدرية ــ العتبة العلوية المقدسة ــ النجف الأشرف ــ العراق ــ ١٤٣١هـ.
- الهمع (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع) ــ السيوطي (أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: ٩١١هـ) ــ تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ لبنان ــ د.ط ــ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٢م.
- الوساطة (بين المتنبي وخصومه) ــ القاضي الجرجاني (علي بن عبد العزيز، ت: ٣٦٦هـ) ــ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي ــ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ــ مصر ــ ط/٤ ــ ١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٦م.

الرسائل الجامعية:

- أساليب البديع في نهج البلاغة (دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية) ــ خالد كاظم حميدي الحميداوي ــ اطروحة دكتوراه ــ كلية الآداب ــ جامعة الكوفة ــ ١٤٣٢هـ ــ ٢٠١١م.
- أسلوب التقابل في الربع الأخير من القرآن الكريم (دراسة أسلوبية) ــ عماري عز الدين ــ رسالة ماجستير ــ كلية الآداب ــ جامعة الحاج لخضر باتنة ــ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ــ ٢٠١٠م.
- أسلوب الشرط في نهج البلاغة (دراسة نحوية تطبيقية) ــ يُسرى خلف سمير ديوان السّعيدي ــ رسالة ماجستير ــ كلية الآداب ــ جامعة المستنصرية ــ ١٤٣٠هـ ــ ٢٠٠٩م.
- الاغتراب عند الإمام علي (عليه السلام) من خلال نهج البلاغة ــ محمد مشعالة دامخي ــ اطروحة دكتوراه ــ كلية الآداب ــ جامعة الحاج لخضر باتنة ــ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ــ ٢٠١٠م.

- التقابل الدلالي في الحديث النبوي الشريف (دراسة بلاغية في كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان لواضعه محمد فؤاد عبد الباقي ــ أسماء سعود ادهام خطاب ــ اطروحة دكتوراه ــ كلية الآداب جامعة الموصل ــ ٢٠٠٥م.

- التقابل الدلالي في الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين (عليه السلام) ــ حوراء غازي عناد السلامي ــ رسالة ماجستير ــ كلية التربية للبنات ــ جامعة الكوفة ــ ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠م.

- التقابل الدلالي في نهج البلاغة ــ تغريد عبد فلحي الخالدي ــ رسالة ماجستير ــ كلية التربية للبنات ــ جامعة الكوفة ــ ١٤٢٨هـ ــ ٢٠٠٧م.

- التقديم والتأخير في نهج البلاغة (دراسة نحوية أسلوبية) ــ رافد ناجي وادي الجليحاوي ــ رسالة ماجستير ــ كلية التربية (صفي الدين الحلي) ــ جامعة بابل ــ ١٤٣٠هـ ــ ٢٠٠٩م.

- دراسة أسلوبية في سورة مريم ــ معين رفيق أحمد صالح ــ رسالة ماجستير ــ جامعة النجاح الوطنية ــ نابلس ــ فلسطين ــ ٢٠٠٣م.

- مباحث دلالية في شرح نهج البلاغة للشيخ كمال الدين ميثم البحراني ــ وصال عبد الواحد خضير الخرساني ــ رسالة ماجستير ــ كلية التربية للبنات ــ جامعة الكوفة ــ ١٤٣٢هـ ــ ٢٠١١م.

- الطباق في القرآن الكريم (دراسة بلاغية) ــ نعم هاشم خالد سليمان الجماس ــ رسالة ماجستير ــ كلية التربية ــ جامعة الموصل ــ ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م.

- ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية ــ عبد الكريم محمد حافظ العبيدي ــ رسالة ماجستير ــ كلية الآداب ــ الجامعة المستنصرية ــ ١٤١٠هـ ــ ١٩٨٩م.

- قصار حكم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) (دراسة تحليلية) ــ ميثاق هاشم حسين علي المياحي ــ رسالة ماجستير ــ كلية التربية ــ الجامعة المستنصرية ــ ١٤٣٣هـ ــ ٢٠١٢م.

البحوث والدراسات المنشورة:

- الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي ــ الدكتور كاصد الزيدي ــ مجلة آداب الرافدين ــ جامعة الموصل ــ عدد/٢٦ ــ لسنة/١٩٩٤م.
- ظاهرة التقابل الدلالي في سورة الزمر ــ الدكتور أحمد نصيف الجنابي ــ مجلة الرسالة الاسلامية ــ الدار العربية ــ بغداد ــ ١٩٨٨م.
- ظاهرة التقابل في علم الدلالة ــ الدكتور أحمد نصيف الجنابي ــ مجلة أداب المستنصرية ــ الجامعة المستنصرية ــ بغداد ــ العراق ــ العدد/١٠ ــ ١٩٨٤م.
- العربية من نحو الجملة الى نحو النص (ضمن الكتاب التذكاري لجامعة الكويت، دراسات مهداة الى ذكرى عبد السلام هارون) ــ الدكتور سعد مصلوح ــ د.ط ــ ١٩٩٠م.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية نموذجاً) ــ د.م ــ مجلة علوم اللغة ــ المجلد/٩ ــ العدد/٢ ــ ٢٠٠٦م.
- مباحث لغوية من حياة اللغة العربية بين الفصحى واللهجات المعاصرة (المعرب والدخيل في اللغة العربية) ــ دار البلاغة ــ بيروت ــ لبنان ــ د.ط ــ ١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م.
- ملمح الوصف بالفعل الإسنادي في التركيب النحوي ــ الدكتور فاخر هاشم الياسري ــ مجلة المورد ــ دار الشؤون الثقافية العامة ــ بغداد ــ العدد الأول ــ ١٤٣٠هـ ــ ٢٠٠٩م.
- النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص ــ الدكتور يوسف سليمان عليان ــ المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها ــ جامعة مؤتة ــ الأردن ــ المجلد/٧ ــ العدد/١ ــ ١٤٣٢هـ ــ ٢٠١١م.

الكتب المترجمة:

- سيميائية اللغة ــ تأليف: جوزف كورتيس ــ ترجمة: الدكتور جمال حضري ــ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ــ بيروت ــ لبنان ــ ٢٠١٠م.
- النص والخطاب والإجراء ــ تأليف: روبرت دي بوجراند ــ ترجمة: الدكتور تمام حسان ــ عالم الكتب ــ القاهرة ــ ط/١ ــ ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م.

Abstract

Praise be to Allah from Him, we wish completion and acceptance the good works He and His Prophet Mohammed (PbH).

During our preparatory and upon reviewing the linguistic curricula taught literatures, we knew that it is in continuous movement never been stopped and in permanent loop never been calm so that it is renewed and released from the old without separation from it as it is in need to quote from it so that studying the text concluded integrated text without division , segmentation or partition; i.e. phonetic level never been studied independently from the grammatical level nor studying syntax away from the phonetic level , but studies all levels together in one subject and on one text. This curricular is the association law or association curricula by its two level : The essence of association (associating text by its elements present in the text) and the nonappearance (associating text with absent elements), the first one is done through distribution while the second is done through election and some of which is characterized with literature behavioral speech and their role in forming and pivoting text.

In the second degree after Holy Quran and Hadith of the Prophet (PbH) are studied later pertaining their superiority and their huge status , Approach of Rhetoric(Nahj Al Balagha) is came its speeches were taken from Imam Ali (PbH) . In fact, my wish is that my Doctorate study to be in this great proverbs book so that my thesis is titled: Semantic Equivalence in the aphorisms of Imam Ali (PBH) and his sermons In The Approach of Rhetoric.

Preliminary is the basis to form the straits of the thesis as it is the theoretical material of the thesis discussing the Equivalence by language and terminology and the twin of equivalence and antithetic and is there twin or both terms are of one meaning. And then the equivalence in Hadith semantics and expansion of term and at last the Prince of Rhetoric and its approach(PbH).

In First chapter : I entered in its applications which is the equivalence of two antonyms upon showing the intention by it in language and terminology as it is divided by three parts; the first is real antonyms and the second is metaphor and the third is the equivalence of real antonyms with metaphor antonyms or what is called antonym delusion.

Abstract

Second chapter is about the equivalence of two similarities which is divided by three sections the first was is about the similarity equivalence singular by singular or what is called by the Rhetoric scientists by confusion and the second one is the similarity equivalence sentence by sentence or what is called in the moral creativity (Al Badee'a) arts by conversion and replacement while the third one is called morale similarity in which the following types of Al Badee'a arts are entered : Consideration the peer, similarity of terms of sentence (the beginning of the sentence with its end) and giving sentences of relative meanings (Tafweef) as I studied all that as it has all its meaning.

Third Chapter is about the equivalence of two antonyms which has three pivots the first pivot as the equivalence of negative with positive which is the meaning of negative and positive synonyms and the second pivot is about regression as its meaning is the antonyms and thus I called it the equivalence of antonyms . Third pivot is about the equivalence of two added meaning as a different concept rather than antonyms equivalence . We studied due to the rarity of application on both of them and for other reasons e enlisted in its situ.

Last chapter is about with antonyms equivalence including first section. First the apparent antonyms equivalence or moral synonyms and the second one is about the hidden antonyms equivalences (hidden synonyms) while third one is studied the range of difference of entering two antonyms and added antonyms within it so that the title became added and antonyms confusion equivalence by which the study is concluded.

The conclusion or results of the result , it argued the most important points are concluded by the research or study ending with references .

Researcher

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Basra University/ College of Education for Human Sciences
Department of Arabic Language

The Equivalence in the Short Phrases In Nahj Al Balagha Analytical Study

A thesis submitted by the student
Anwar Aziz Jalil Al Asadi

To
The Council of College of Education for Humanitarian Sciences - Basra University
as a part of Ph.D. Degree Requirement in
Arabic Language and Its Literature

Under supervision of
Dr. Saleema Jabbar Ghanim

May. 2015 **Raj. 1436**